ماري فاراي

حياة الأحلام للجوارب اليتيمة

مكتبة

رواية

المركز الثقافي العربي

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

ماري فاراي

حياة الأحلام للجوارب اليتيمة

الكتاب

حياة الأحلام للجوارب اليتيمة

تأليف

ماري فاراي

ترجمة

عفاف بنكيران

مراجعة

هيئة التحرير

في المركز الثقافي العربي

الطبعة

الأولى، 2024

الإيداع القانوني:

2023MO5220

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9920-657-75-4

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

العنوان الأصلي للرواية:

Marie Vareille

La vie rêvée
des chaussettes orphelines

© Charleston, une marque
des éditions Leduc.s, 2019
All rights reserved

t.me/soramnqraa

ماري فاراي

مكتبة
t.me/soramnqraa

حياة الأحلام للجوارب اليتيمة

رواية

ترجمة: عفاف بنكيران

المركز الثقافي العربي

إلى فانسان، حبي الكبير في حياتي الصغيرة.

لا وجود للصدف، لا وجود إلا للمواعيد.

بول إيلوار

النجاح هو أن تنتقل من فشل إلى فشل دون أن تفقد حماسك.

ونستون تشرشل

يوميات أليس

مكتبة
t.me/soramnqraa

لندن، 20 أغسطس 2011

صبيحة هذا اليوم، كان أول موعد لي مع الطبيبة النفسية. أردت الذهاب إلى هناك بقدر ما أردت أن ألقي بنفسي في نهر التايمز. اضطررت جراء توتّري لتدخين سيجارتي الأولى منذ ثمانية عشر شهراً، أمام مبنى نوثينغ هيل مقر عيادته. في طريقي إلى المنزل، تخلصت من العلبة وغمرت نفسي بالعطر. لم أرد أن يكتشف أوليفر الأمر.

عاد أوليفر للتو من العمل. يمكنني سماعه وهو يخلع معطفه في الردهة. من خلال الرائحة التي فاحت، أدركت أنه أحضر طبقاً من السمك والبطاطا من الحانة الموجودة بالأسفل. منذ انتقالنا للعيش في لندن، أخذ أوليفر على محمل الجد اندماجه في المدينة وقرر أن يعيش كل الصور المبتذلة وكليشيهات المرشدين السياحيين. لقد أضحى يحتسي الجعة الداكنة ويتناول السمك والبطاطا ثلاث مرات في الأسبوع والفاصوليا الحمراء على الإفطار ويرتشف يوميّاً الشاي مع قليل من الحليب على الساعة الخامسة مساءً. وأتوقع رؤيته في أي لحظة بزي الحرس الملكي لينفّذ لي مراسم حرس قصر بكنغهام. . .

أما أنا، فأشتاق للولايات المتحدة وأحلم بالعودة إليها لكنني لا أجرؤ على إخباره.

في نهاية المطاف، لم تكن الجلسة بذلك السوء. لست بحاجة إلى العلاج بنظري، لكن هذا يسعد أوليفر... لم تتحدث الطبيبة النفسية كثيراً، طرحت أسئلة قليلة عن المشكلة التي أعاني منها، إلا أنها أنهت المحادثة بغرابة طالبة مني أن أكتب.

- أن أكتب ماذا؟ سألتُ باستغراب، أنا لا أتقن الكتابة...

- الأمر لا يتعلق بكتابة رواية يا أليس، احتفظي بدفتر يوميات ودوِّني فيه حياتك فحسب.

- لماذا؟

- لأن الكتابة تريح، وعلاوة على ذلك، تلقي الضوء على بعض المشاعر المدفونة أو المكبوتة.

- ليس لدي ما أكتب عنه، أنا فتاة عادية.

- ماذا تقصدين «بعادية» يا أليس؟

- لا يحدث لي شيء على الإطلاق.

- جرّبي الكتابة التلقائية إذاً. أخرجي كل ما يجول في ذهنك، دون تفكير. صفحتان، يا أليس، للجلسة القادمة.

لذلك اشتريت هذا الدفتر. لقد جذبني غلافه الفيروزي اللطيف ذو النقاط الصفراء أكثر من اقتناعي بسبب شرائه، كما أعجبت بالاقتباس الموجود على الغلاف: «لا وجود للصدف، لا وجود إلا للمواعيد».

على أي حال، كل هذا لا يغير حقيقة أن ليس لدي ما أقول. ففي الواقع، لا يحدث لي شيء مثير للاهتمام على الإطلاق.

2018

فصل الخريف

«لقد س ئمتُ من التعامل بودٍّ،
وفتح الأبواب والتصرف بأدبٍ،
أنا لست الفتاة اللطيفة التي يريدونني أن أكونها،
أنا آسفة يا عزيزي، لكنني أرغب في التحرر».

سكارليت س. ر. والفينيق الأزرق، **أطلق سراحي**

على منضدة السرير، ينتقل المنبه من الساعة 5:44 إلى 5:45. مع إبقاء الغرفة مظلمة، أجلس في سريري. أتمدّد (ثلاث ثوانٍ)، أفصل هاتفي من الشحن (أربع ثوانٍ)، ثم أزيل وضعية الطيران (ثانيتين). أضعه من جديد على المنضدة المتراصفة مع حافة السرير، على بُعد نصف المسافة بين علبة الحبوب المنومة وكوب الماء، الذي هو بدوره على بُعد عشرة سنتيمترات من مرطب اليدين. أمد يدي لألتقط الكوب... و...

تلتقط يدي الفراغ مرة، مرتين، وثلاث مرات. لا كوب ماء ولا مرطب اليدين.

لا تراصف.

لا ترتيب.

الفوضى فقط.

تنفّسي يا أليس.

المفتاح الكهربائي ليس في موضعه. باهتياج وقلق، شرعتُ في الاستشعار والبحث عنه. أشعلتُ الأضواء. هذا ليس سريري، وهذه ليست منضدتي، وهذه ليست غرفتي. تتصبّب يداي عرقاً. تشنجتُ في مكاني لبرهة من الزمن وأنا في حالة من الدهشة والحيرة، غير

قادرة على التفكير. لا مجال للتنفس. لقد تأخرت. لكي أكون في المكتب في تمام الساعة 7:00 صباحاً، ينبغي أن أصل إلى محطة وول ستريت في الساعة 6:53، وهو الأمر الذي يستحيل تحقيقه إلا إذا كنتُ في مترو الأنفاق في الساعة 6:32 على أبعد تقدير، وغادرت منزلي إذاً في الساعة 6:24. كما لا يمكن أن يحدث كل هذا على النحو الصحيح إلا إذا انتظرت الإشارة الضوئية لأقل من دقيقة في تقاطع شارعَي ويليام وباين. ومن أجل ذلك، يجب أن أستيقظ في الساعة 5:46.

غير أن المنبه يشير إلى 5:47.

من أعماق ذكرياتي، أعادني صوت أنجيلا المطَمْئن والمريح إلى الواقع.

تنفّسي يا أليس.

5:48. بدّد الهلع سديم الحبة المنومة دفعة واحدة. أنا لم أتأخر أبداً. أبداً. لأول مرة منذ أربع سنوات وستة أشهر وأسبوعين وأربعة أيام، قد لا أتمكن من الوصول إلى العمل عند الساعة 7:00. قد أصل في الساعة 7:04 أو أسوأ من ذلك 7:13.

تلقائيّاً، تلفّ يدي اليسرى معصمي الأيمن، فذكّرني على الفور تماس الحلي النحاسية لسواري بهدير الأمواج التي تداعب الرمال الرطبة وكذا رائحة النسيم المالح قبالة شاطئ ناراغانسيت. رائحة السعادة المتبخرة من طفولتي. أسمع صوت البحر وهمهمة الرياح التي يتخللها صراخ طيور النورس وصفارات الإنذار للعبّارات المتجهة نحو بلوك آيلاند. أتنفّس وأنا أعد إلى أربعة، بعمق وبطء.

من جديد، يتردد صدى صوت أنجيلا المهدئ في أذني.

تنفّسي يا أليس، سيكون كل شيء على ما يرام.

واحد. شهيق.

اثنان. تذكرت، أنا في الفندق.

ثلاثة. أنا على بعد 3623 ميلاً من نيويورك.

لا. هنا نستعمل وحدة الكيلومتر.

أنا على بُعد 5834 كيلومتراً وبضعة أمتار عن منزلي: أنا في باريس.

أربعة. أنا لم أتأخر عن العمل. أنا لم يعد لديّ عمل.

خفّ العبء عن صدري وعاد الهواء إلى رئتَي. فتحت عينَي. الغرفة لا تشوبها شائبة، كل ركن من أركانها نظيف ومصطفّ ومرتب. الكرسي أمام المكتب، وقائمة خدمة الغرف والمفكرة وقلمها الحاد متوازية بشكل مثالي.

كل شيء على ما يرام.

أنا لم أتأخر عن أي مكان. لدي موعد في الساعة 10:00. لن ينهار العالم اليوم.

مرت ثلاثة أسابيع منذ أصابتني آخر نوبة هلع. كانت أنجيلا محقّة. هذا الرحيل المستعجل كان خطيراً. الكثير من المشاعر والكثير من الأشياء الجديدة للتعامل معها. لكن لم يكن لدي خيار. كان من الضروري أن أرحل.

رتّبت السرير بعناية مع التأكد مراراً وتكراراً من عدم وجود أي طيات متبقية. وضعتُ الوسائد بإتقان ثم أزلت غباراً مجهرياً دقيقاً عن القماش كريمي اللون. لن تنجز الخادمة هذا العمل على نحو أفضل. ستحسبني بلهاء أو مجنونة. وستكون محقة.

لستِ بحاجة إلى هذه الطقوس يا أليس. لا بد لي من التعامل مع نوبات الهلع. لا بد لي من أخذ الأمر على عاتقي لأبدو طبيعيةً.

بجهدٍ جهيدٍ، نحّيتُ الوسائد جانباً وسحبت اللحاف وخربت الملاءات. منعت نفسي من النظر إلى الطيات وهذا الركن المدمر المشكل من اللحاف المفتوح على السرير المربع تماماً. يجب أن أعيد بناء حياة جديدة، فلهذا السبب عبرت المحيط الأطلسي. هنا، يمكن أن أكون فتاةً عاديةً. فتاةً عاديةً لم يحدث لها شيء على الإطلاق.

10:04. موعدي متأخرٌ بأربع دقائق. تلاشت مئتان وأربعون ثانية من حياتي وتوارت في الفراغ. هناك ستون دقيقة في كل ساعة وستون ثانية في كل دقيقة.

قمتُ بشد شعري ذي تسريحة ذيل الحصان للمرة العاشرة. أنا لا أفهم. لتصل في الوقت المحدد، يكفي أن تغادر في الوقت المحدد. مبدئيّاً، أنا لا أعيش في زمان ومكان مختلفين عن الآخرين، ومع ذلك، من الواضح أنني الشخص الوحيد في العالم الذي فك شيفرة لغز الحياة العظيم هذا، الذي لم تنجح الغالبية العظمى من البشر في فهمه:

مدة المسار = وقت التنقل + وقت المشي + هامش الأمان.

أشعر أحياناً أنني المالكة الوحيدة لهذه الحقيقة المروعة: وقتنا محدود. أود أن أحذر أولئك الذين يهدرون الوقت، وهو أثمن ما منحنا إياه الكون، في أنشطة طائشة لا طائل منها: لا أعلم إن كنتم على دراية بهذا الأمر، لكن سنموت يوماً ما. فالحياة قصيرة وغير دائمة ولكل لحظة أهميتها. يندثر الوقت ويزيل معه أي احتمال

لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، تاركاً وراءه الندم وكذا شظايا الأصداف التي جرفتها مياه البحر أثناء الجزر.

كفى.

تنفّسي.

فكّري في أشياء أخرى.

في ظل جو رماديّ كئيب، بدأت خيوط المطر الخفيف تتهاطل وكأنها طرحة عروس، لكني فتحت معطفي رغم ذلك. كانت السماء الباريسية مكفهرّة وملبدة بالغيوم، إلا أن درجة الحرارة لم تنخفض دون خمسين درجة فهرنهايت. كم درجة مئوية؟ يجب أن أتعلّم التحدث بالدرجة المئوية.

تدفّق سيل من الرجال والنساء من محطة بيلفيل، حاملين مظلاتهم مثل زهور رمادية تتفتح الواحدة تلو الأخرى. تعثرت امرأة في عجلة من أمرها أمامي، بالكاد تمكنت من الإمساك بها من ذراعها. إنها حامل. سألتها قلقلة:

- هل تأذيتِ؟

- لا، أنا بخير. شكراً لك.

بدت مذعورة ومتأخرة، وانحنت بسرعة لتلتقط محتويات حقيبتها الملقاة على الإسفلت، فإذا بي أهرع لمساعدتها.

- لا تنحني، سأقوم بذلك.

لممتُ أغراضها وهاتفها وعلبة مناديل وقلم حبر وبعض العملات المعدنية.

- أنا ممتنةٌ لك، تنهدتْ بارتياحٍ، فظهري يؤلمني كثيراً...

تبادلنا ابتسامة، وللحظة قصيرة أراحني تعبيرها الدافئ. أحجمتُ عن الرغبة الغريزية في وضع يدَي على بطنها المستدير،

المشدود بسبب الحياة الصغيرة التي يحتويها. وها أنا ذا وحيدة من جديد، بعد اختفائها وسط الحشد وتوديعها لي متمنية لي يوماً سعيداً. شعرتُ بذبذبات المترو تحت قدمي. تنفرد باريس ذات المليونَي ومائتي ألف نسمة باكتظاظها وحركتها وغمغمتها. كنت محقة في مجيئي إلى هنا. إنه المكان المثالي للاختفاء والاندماج مع زحمة الأجساد مجهولة الهوية، والنسيان والتناسي من قبل العالَم.

- أليس سميث؟

وقفتْ أمامي امرأة قصيرة القامة ترتدي معطفاً واقياً من المطر باللون البيج. امرأة في الخمسينات من عمرها، أنيقة ذات شعر شائب مصفف على شكل كعكة ومثبَّت بمثبِّت شعر. مددتُ يدي لأصافحها.

- صباح الخير.

- مذهل! أنا جين ثومسون من وكالة **فيلد آند ثومسون**، أخبرتني بلغة انجليزية متقنة، لقد تحدثنا عبر الهاتف...

- سعيدة بلقائك.

- اتبعيني، واصلتْ بنبرة حازمة، فاتحة مظلتها الإسكتلندية فوق رأسي. كما ترين، إنها على بُعد خطوتين من محطة مترو بيلفيل.

تنحنحت، ليس هذا ما طلبته.

- أنا أفكر ربما في حي ماريه أو مونمارتر...

توقفتْ ثم انفجرتْ ضاحكة.

- ولِم لا ديزني لاند! أعلم أن الأمريكيين يحبّون ماريه ومونمارتر لكنهما حيّان سياحيان بامتياز. ففي ماريه مثلاً، من الصعب المشي في الشوارع في عطلات نهاية الأسبوع لازدحام

الأرصفة؛ أما بالنسبة إلى مونمارتر، فهي منطقةٌ بعيدةٌ ومكتظةٌ بالسياح والنشالين. ونظراً لميزانيتك، ولأكون صريحةً، فالأمر لا يستحق حتى التفكير...

- آوه، حسناً.

أخفيتُ خيبة أملي تحت ابتسامة متكلفة. كنت قد تخيلت نفسي بسذاجة في شقة ذات عوارض مكشوفة تطل على ساكري كور، لكني شعرت بالحرج لأنني بدوت مبتذلةً إلى هذا الحد.

مررنا أمام مطعم صيني، ومصبغة، ومطعم يوناني تعرض نافذته كتلة من اللحم على سيخ يتقاطر منها الدهن. تذكرت صور واجهة متحف أورسيه المضيئة أو حديقة القصر الملكي التي تحدها الأروقة والتي تحدثنا عنها في حصص اللغة الفرنسية. لقد تعلمت كلمة «هوسماني» في كتابي المدرسي الأمريكي، وأتذكر تعريف المصطلح تحت صورة مبنى مهيب بشرفات أنيقة من الحديد المطاوع: «**يرجع تاريخه إلى سلسلةٍ كبيرة من الترميمات التي نظمها المحافظ هوسمان في منتصف القرن التاسع عشر**».

وبناءً عليه، ونظراً للحالة المزرية لحساباتي المصرفية، لم يكن لديّ خيار سوى التخلي عن فكرة السكن في شارع ريفولي أو في حي مونمارتر أو ماريه، فقررت أن أضع كامل ثقتي في جين ثومسون.

توقفتْ أمام بوابة متشققة الطلاء مخصصة لدخول العربات لبناية محصورةٍ بين محل حلويات شرقية ومدرسة ابتدائية، أدخلت رمزاً ثم فتحت لي الباب.

- إنه طابق الخدم القديم، سترين، إنه مشرقٌ وهادئٌ للغاية.

نفضتْ مظلتها بقوة على حجارة الردهة المتصدعة. أخذنا

المصعد إلى الطابق السادس والأخير، فإذا بنا ندخل شقة صغيرة مفروشة، تنفتح فيها غرفة المعيشة على مطبخ مجهز بالكامل. «يطلقون عليه هنا اسم المطبخ الأمريكي، أوضحت لي، فأنت لن تشعري بالغربة». كان كل شيء قد أُعيدَ تصميمه منذ آخر مستأجرٍ، بحيث كان الأثاث عمليّاً والخزائن مدمجةً، كما كانت هناك أريكة ونظام موسيقى ومكبرات صوت... أما في غرفة النوم، فكانت نافذة المَنوَر تسمح بمرور الضوء على الرغم من سوء الأحوال الجوية، كما استطاع الحمّام رغم مساحته المنحصرة في ثلاثة أمتار مربعة أن يحتوي حوض استحمام. كان المكان صغيراً وذا طابع محايد، أبيض ونظيفاً.

فتحتُ النافذة الوحيدة الموجودة في الغرفة الرئيسية وألقيت نظرةً خاطفةً على الخارج. كانت الشقة تطل على المدرسة الابتدائية المجاورة، بحيث كان بإمكاننا سماع صخب المدينة وأبواق السيارات النادرة الغارقة في بقبقة قطرات المطر. عادت بي ذاكرتي إلى الغناء شبه المستمر لصفارات الإنذار في مانهاتن وطنين وحدات تكييف الهواء في الصيف. لا أدري إن كنت أحب هذا المكان، فبساطته طمأنتني وأرهبتني في آنٍ واحدٍ.

قرع جرس ذو صوتٍ مدوٍّ، فاجتاح سرب من الأطفال ساحة المدرسة، يلعبون تحت المطر وقلنسوات معاطفهم الملونة منسدلةٌ على رؤوسهم. جعلتني سمفونية صرخاتهم الفرحة أبتسم. كانت هذه أول ابتسامة لي منذ وصولي، فبدت الشقة أكثر ترحيباً فجأة - بسبب رنين الضحك الطفولي في الساحة على الأرجح، لكن بدا لي وكأن رائحة الشوكولاتة الساخنة فاحت في الأرجاء.

راقبتني جين ثومسون من زاوية عينها وأنا أجول في الغرفتين من

جديد، وبدا وكأن بدلتي السوداء الكلاسيكية وتسريحة ذيل الحصان المتقنة تطمئنانها.

- كم عدد الشقق التي قمت بزيارتها حتى الآن؟

- إنها الأولى. هل يمكن إزالة نظام الموسيقى والمكبرات الصوتية من غرفة المعيشة؟ إنها تشغل مساحةً كبيرة.

- سأبحث الأمر مع المالكة، لكني لا أرى سبباً لاعتراضها.

- أيضاً، لدي قط صغير، ألن يشكل مشكلةً؟

- أوه كلا، صاحت بابتسامةٍ عريضةٍ، فالمالكة تحب الحيوانات وأنا كذلك! ما اسم قطك؟

- ديفيد، أجبتها وأنا أغلق النافذة.

اتسعت عيناها، فلا بد أنها تساءلت عما إذا كانت تسمية الحيوانات الأليفة بأسماء أشخاص هوساً أمريكياَ.

- حسناً، أنا مستعدة لاستئجارها، وكلما أسرعنا كان ذلك أفضل. كم بدل الإيجار؟

- ألف ومائة يورو، بما في ذلك الرسوم... أعلم أن هذا يفوق ميزانيتك، لكن باريس مدينةٌ باهظةُ الثمن و...

- هذا يناسبني.

يا لها من كذبة! إنه مبلغ كبير جداً، وسيتعين عليّ أن أعثر على وظيفة بسرعة، لكنني سأتدبر أمري. لا بد لي من المضي قدماً. على أية حال، سيكلفني المكوث في الفندق أكثر من ذلك، كما يتوجب عليّ أن أُخرج ديفيد في أسرع وقت من المأوى الذي تركته فيه الليلة الماضية لأن الفندق لا يستقبل القطط.

- حسناً، إذا كان جواز سفرك بحوزتك، فسأستنسخ نسخة عنه

في الوكالة، فهي على بُعد خمس دقائق، ويمكنني إعداد العقد بحلول الغد . . .

- ممتاز.

- من ناحية أخرى، عقود الإيجار في فرنسا صارمة جداً، فأنا أحتاج إلى ضمانات، إلى وثائق مثل كشوفات الرواتب الأخيرة وسجلات الضرائب ومقتطف من حسابك المصرفي، كما أود الاتصال بالمالكين السابقين. . .

وثلاث زهرات من زهرة إديلويس وكوب من حليب اللاما وبركة البابا. . . عقّبتُ سراً قبل أن أبدي تفهماً زائفاً.

- نعم، بإمكاني إعطاؤك أرقاماً لتتصلي بها في نيويورك . . .

- حسناً، وإذا كنتِ قد عشت في أكثر من شقةٍ، فلا تترددي في تزويدي بأكبر عدد ممكن من الأشخاص، فكلما زادت الضمانات التي سأحصل عليها، كان ملفك أكثر متانة.

فكرت لوهلة.

- لقد عشت في لندن قبل بضع سنوات، يمكنني أن أزوّدك برقم المالك السابق أيضاً.

- آه نعم، لندن، مذهل، فلنمضِ بالأمور على هذا النحو إذاً.

بدت مرتاحة كما لو أن القرب الجغرافي من إنجلترا قد يجعل الضمانات أقوى. أما بالنسبة إليّ، فمجرد ذكر لندن مزق قلبي، لكنني ابتلعت ألمي واكتفيت بالابتسامة بأدبٍ.

يوميات أليس

لندن، 22 أغسطس 2011

مكتبة
t.me/soramnqraa

7:05 مساءً.

حسناً.

إذا كانت الطبيبة النفسية تريد مني أن أكتب يومياتي، فليكن. إنها مجرد مسألة وضع كلمات واحدةً تلو الأخرى. لا شيء مستحيلاً في ذلك. فليجرؤ أحد أن يدّعي أنني لا أفعل كل ما في وسعي.

المعضلة: هل يجب أن أقارب الأمر بوضع «يومياتي العزيزة»؟ أم أن أخترع صديقةً وهميةً لأكتب لها كل هذا؟ في هذه الحالة، سيتوجب عليّ أن أجد محاوراً ملهماً. من؟ ماذا عن: «عزيزتي البروفيسورة مكغونغال».

أوه كلا، هذا مخيفٌ!

فتى وسيم؟ «عزيزي رايان غوسلينغ...» أو ممثلٌ شهيرٌ ذو وجهٍ ودودٍ. وجهٌ يوحي بالثقة. «عزيزي بروس ويليس...؟».

هل يمكنني أن أروي قصة حياتي لبروس ويليس؟ أكثر من البروفيسورة مكغونغال على الأرجح.

أعدت للتو قراءة هذه السطور الأولى. كان أوليفر محقاً في إرسالي لاستشارة طبيب، فمن الواضح أنني بحاجة إلى تحليلٍ نفسيٍّ.
نهاية هذه اليوميات.

8:20 مساءً.

عزيزي بروس ويليس،
لا داعي للهلع، فها أنا عدت.
أنا في سريرنا. يعمل أوليفر على حاسوبه مثل كل مساء، وأعددت لنفسي شاياً بالأعشاب. بحثت في غضون ذلك عن «الكتابة التلقائية» على ويكيبيديا: «الكتابة التلقائية هي نمط من الكتابة لا يتدخل فيه الوعي ولا الإرادة».
فللوهلة الأولى، يتعلق الأمر بكتابة أي شيء، كيفما اتفق، وهو أمر لا يقل عن قدراتي.
لذا، بكتابة تلقائية، أي من دون تفكير، ومن دون وعي ولا إرادة، إليك يا بروس (هل يمكنني أن أناديك بروس؟) ما أضحت عليه حياتي:
أنا أستهلك عدداً أكبر من أجهزة كشف الحمل من مركز تنظيم الأسرة. لقد وضعت تقويماً على الثلاجة ورسمت قلوباً بالقلم الأحمر على كل تاريخ إباضة. أشعر بالخجل، لكن على أوليفر أن يعرف الأيام التي يفترض أن نقيم فيها العلاقة. تعديل، الأيام التي يفترض أن ننجب فيها طفلاً. فنحن لم نعد نقيم العلاقة، بل نعمل على إنجاب طفل. لقد أصبح الجنس عملاً شاقاً، وتمريناً مرهقاً

دائماً ما تكون نتيجته مخيبة للآمال. فحتى النظرة المتوهجة لزميلك كلايف أوين، يا بروس، لم تعد تثير أدنى رغبة داخلي.

ينقسم وقتي إلى نشاطين رئيسيين: إما أن أنتظر الإباضة وإما أن أنتظر دورتي الشهرية. ومن كثرة ملاحظتي لأعراضي المختلفة على جميع تطبيقات الهاتف المحمول المتاحة، أصبح بإمكاني التنبؤ بأي من هذين الحدثين في غضون بضع دقائق.

وهي بالمناسبة موهبة عديمة الفائدة تماماً.

المرحلة 1: الأيام التي تلي العلاقة الجنسية المخطط لها هي محنة طويلة أعيش فيها بالوكالة سباق حيوان منوي صاعد نحو رحمي. فأنا أهتف وأشجعه ذهنياً كمشجعة منتشيةٍ، وأتخيله يراوغ بقميصه الحامل «رقم 1» ويناور بمهارة ليتجاوز زملاءه في الدفعة. في هذه الأثناء، بويضتي الغبية ترتد على طول قناتَي فالوب بابتسامة مبتذلة باحثة عن هذا الحيوان المنوي الرفيق والذي يبدو أنه لن ينجح في لقائها أبداً.

المرحلة 2: أتوهم الغثيان، والتعب، وآلام الأربطة، والرغبة الشديدة في تناول كعكة شوكولاتة مغطاة بالكريمة المخفوقة في منتصف الليل (أعترف أن هذه النقطة الأخيرة لا تشكل بالضرورة دليلاً دامغاً على الحمل. فمن منا لا يشعر برغبةٍ شبه دائمةٍ في كعكة شوكولاتة مغطاة بالكريمة المخفوقة؟).

المرحلة 3: أصبحُ متأكدة من أنني حامل، وأتصرف مع أوليفر على نحوٍ لا يطاق (الهرمونات)، وأتناول طعاماً لأربعة أشخاص (في حال كانوا ثلاثة توائم) ولا أشتري الفوط الصحية (لن أحتاج إليها في التسعة أشهر المقبلة)، إلى اختبار الحمل، في اليوم السابق لموعد دورتي الشهرية المتوقع (اللعنة، لم تبقَّ لي فوط صحية).

المرحلة 4: في اليوم الأخير من دورتي، أستيقظ عند الفجر وأغلق على نفسي الحمّام دون إيقاظ أوليفر. بعد الرد بأدب على ابتسامة الرضيع القاتل للآمال المصور على العلبة، أعتذر لجهاز كشف الحمل لاضطراري للتبول عليه، وأحاول إغراءه لأن أجهزة كشف الحمل تحمل روح المعارضة، فهي تقول «نعم» عندما نتوقع «لا» و«لا» عندما نريد «نعم». أقوم بالاختبار وأنتظر ثلاث دقائق تستمر حوالي قرنين ونصف (وليست أسعد قرنين، بل قرنان من قبيل العاشر والثاني عشر، على شاكلة سلسلة صراع العروش[1]).

وأنا جالسة على المرحاض، ودون أن أكلف نفسي عناء رفع سروالي الداخلي، أعد الثواني وعيناي مثبتتان على الإطار الأبيض الصغير، وأدعو كل آلهة الكون أن تظهر علامة «زائد» تلك. حتى لو كانت ضبابية وغير واضحة. كل ما أريده هو علامة «زائد» صغيرة.

لا «زائد».

أعيد العد إلى عشرة مرة أخرى، غاضبةً من جميع أجهزة كشف الحمل التي تجرى في نفس اللحظة في جميع أنحاء العالم، الإيجابية منها التي تبكينا والسلبية التي تجعلنا نقفز فرحاً. الحياة غير منصفةٍ، بل عبثيةٌ تماماً.

أوليفر ينتظرني خلف الباب. لست بحاجة إلى إخباره بالنتيجة، لأنني أذرف عادة سيولاً جارفة من الدموع، فيأخذني بين ذراعيه، ويؤكد لي أن لا باس في ذلك، أننا في ريعان شبابنا ولدينا كل

---

(1) Game of Thrones: صراع العروش أو لعبة العروش هو مسلسل فنتازيا ملحمي من تأليف ديفيد بينيوف ودانيال وايس وإنتاج قناةِ إتش بي أو وهو اقتباس لسلسلة روايات **أغنية الجليد والنار** للمؤلف جورج ر. ر. مارتن – المترجمة.

الوقت... وفي حقيقة الأمر، ست وعشرون سنة هي سن جيدة لإنجاب طفل، لكن المشكلة هي أنه يكبرني بعشر سنوات.

وأستعيد أحياناً جهاز كشف الحمل من تحت قشرة موز في سلّة القمامة، في حال تغيرت النتيجة.

لا «زائد».

عودة إلى المرحلة 1.

فأسمح لنفسي بتدخين سيجارةٍ، سجارة واحدة (أحياناً اثنتين، ولكن ليس ثلاثاً أبداً)، لمواساة نفسي وأبدأ الدورة من جديد. اختبارات التبويض كل صباح، حمض الفوليك، تمارين اليوغا لتعزيز الخصوبة، والقلوب الحمراء على الثلاجة.

لم تكشف فحوصات الهرمونات والموجات فوق الصوتية وغيرها من تنظير الرحم (سأعفيك من التفاصيل الطبية، يا بروس) أي خلل. وكان أوليفر أكثر حظاً مني: فلم تتطلب فحوصاته سوى جلسة استمناء واحدة أمام شريط دي.في.دي إباحي من الثمانينيات.

لكن هناك نقطة إيجابية في هذه التجربة (يشجعني أوليفر على رؤية الجانب الإيجابي في كل تجربة): لقد حصلت على مقطع فيديو بانورامي لرحمي يمكننا مشاهدته كعائلة بعد عشر سنوات.

لم أعد أشرب الكحول، لم أعد أدخن (تقريباً)، توقفت عن احتساء القهوة والشاي الأسود وتناول الوجبات السريعة، أخلد إلى النوم على الساعة العاشرة مساءً، كما بدأت حصص التأمل. أتخم نفسي بزيت زهرة الربيع المسائية، وحمض الفوليك، والحديد، والفواكه، والبذور المختلفة والمتنوعة. مَن الأكثر صحة مني؟ الدالاي لاما[1] فقط. لقد رأيت اختصاصيين في العلاج الطبيعي،

(1) الزعيم الديني الأعلى للبوذيين التبتيين - المترجمة.

واختصاصيين في تقويم العظام، واختصاصيين في التنويم المغناطيسي، وحتى مدرب مبايض يزعم أنه تناسخ لروح كاهن من الأزتك. صلّيت وبكيت. لكن من دون جدوى. سبعة عشر شهراً من المحاولة ولم أحمل بعد.

تم قبول طلبي لاستئجار الشقة. ركبت المترو ونزلت من جديد في محطة بيلفيل، وأنا أحمل صندوق نقل ديفيد في يدٍ وحقيبتي في اليد الأخرى. في نيويورك، الشوارع مرقمة، متقاطعة أو متوازية. مرتبة. أما هنا، فلا وجود لمحور مستقيم، وتسود فوضى عبثية الشوارع المتشابكة. وجدت طريقي أخيراً ووصلت إلى الوكالة العقارية حيث عقد إيجاري ينتظر توقيعي فقط.

استقبلتني جين ثومسون بابتسامة عريضة.

- أليس، كنت أنتظرك! تفضلي، سأعيد لك جواز سفرك. لم أكن أعلم أن اسمك الكامل هو سميث-ريفيير . . . هل تربطك علاقة بسكارليت سميث-ريفيير؟

أشحت بنظري إلى الجهة الأخرى.

- أتعلمين، هناك أكثر من مليوني «سميث» في الولايات المتحدة وحدها كما أن «ريفيير» شائع بنفس القدر تقريباً في اللغة الفرنسية، لذا إحصائياً، هناك آلاف الأمريكيين الذين يحملون اسم سميث-ريفيير . . .

- آه حسناً. . . على أية حال، شكراً لك على إرسال رقم مالك

العقار السابق في لندن، يا له من رجل ودود! لقد أعطيته عنوانك الجديد، فهو لديه بريد ليرسله إليك.

غدت جين ثومسون، بعدما اطمأنت لكوني لا أنوي تنظيم عصابة مخدرات في الشقة، لطيفة جداً، تداعب ديفيد الذي يخرخر سروراً بينما أعيد قراءة العقد وأوقّعه. أعطتني بعدها ثلاث مجموعات من المفاتيح لمنزلي الجديد.

عند وصولي الشقة، أفرغت أمتعتي بسرعة، فأنا لم أجلب سوى الأساسيات، إذ لا تزال معظم أغراضي في حاوية على المحيط الأطلسي. وضعت وسادة ديفيد عند سفح السرير في غرفة نومي، وصندوقه أسفل نافذة غرفة المعيشة. تجول في الشقة المكونة من غرفتين بمشيةِ راقصة الباليه خاصته، مستكشفاً المكان، لينتهي به المطاف على الأريكة، فداعبت رأسه وأنا أشعر بالارتياح لرضاه الواضح.

- أتمنى أن يعجبك المكان، يا هري الصغير.

توجهت بعدها إلى السوبر ماركت لشراء طبق من اللازانيا المجمدة التي قمت بتسخينها في الميكرويف، بحيث كانت جاهزة عند خروجي من الحمام بالمنشفة، وشعري لا يزال مبللاً. ارتديت ملابس نومي وجلست أمام حاسوبي وشرعت في قراءة رسائل بريدي الإلكتروني.

من: صوفي هنري

إلى: آليس سميث

في: 5 سبتمبر 2018

الموضوع: طلب ترشيحك

عزيزتي أليس،
على الرغم من المزايا التي يتضمنها طلب ترشيحك، يؤسفني إبلاغك أن ملفك لا يتوافق مع ما نبحث عنه في بريت فايننس.
أتمنى لك كل التوفيق،
صوفي هنري
مديرة الموارد البشرية
بريت فايننس

أعدت قراءة الرسالة الإلكترونية أربع مرات محاولة التخلص من التوتر الذي تسببت فيه. إنه مجرد رد واحد. لقد أجريت مقابلات أخرى، ولديّ طلبات أخرى قائمة. فنحن لا نُصيب الهدف من المرة الأولى أبداً. استمررتُ في قراءة رسائل البريد الإلكتروني، بحيث قرأت كل إعلان، وكل رسالة عشوائية، وحتى رسائل الغياب الآلية من البداية إلى النهاية. تخيلت أنجيلا وهي تقلب عينيها إزاء سلوكي هذا، لكن الأمر أقوى مني. يقال إن رفرفة جناح فراشة في طوكيو قد تسبب إعصاراً في تكساس. لذلك، إذا أرسل لي أحدهم رسالة، فمن واجبي أن أقرأها. فإذا فاتتني معلومة مهمة، قد تؤدي سلسلة من العواقب إلى حدوث مأساة مروعة في مكان ما في العالم. وعندما اقتنعت أخيراً أنه لم يتسلل أي شيء حيوي إلى بريدي، أغلقت الرسائل الإخبارية وخلدت إلى النوم، بعد أن صففت بعناية على منضدة السرير مرطب اليدين، وعلبة الحبوب المنومة، وكوب الماء.

لم تعد تمطر، ففتحت الفاسيستاس[1]. تناولت حبة دواء، وأنا

(1) نافذة يمكن فتحها باتجاه الداخل - المترجمة.

في شبه غيبوبة استمعت إلى صدى المبنى وهو يصعد نحوي من الفناء، إلى أصوات الأشخاص الذين يعيشون معاً، ويأكلون ويتشاجرون ويحبون بعضهم بعضاً، فغمرني الحزن. وكما لو أنه شعر بوحدتي تتغلغل في غرفة المعيشة الصغيرة، أتى إليّ ديفيد وتكوّر في حضني وفرك أنفه على خدي، فأخذته بين ذراعَي بامتنان وعانقته وأنا أهمس له تهويدة. نالت مني حبوب النوم المنومة أخيراً فسقطت في نومٍ بلا أحلامٍ.

أغلقت باب الشقة وأطلقت تنهيدة طويلة. لن أجد عملاً في فرنسا أبداً. وضعت حذائي بجانب الحائط قبل أن أرتمي على الأريكة وآخذ كرة الفرو المخرخرة في حضني لأواسي نفسي.

لقد عدت لتوّي من آخر مقابلة حصلت عليها عقب عشرات طلبات الترشيح المرسلة من نيويورك. هم حتى لم يستقبلوني: كانوا قد وظفوا شخصاً آخر ونسوا إلغاء موعدي، أوضحت لي مديرة الموارد البشرية بابتسامةٍ متأسفةٍ. ابتلعت كبريائي ودموع خيبتي التي تجمعت لتشكل غصة في حلقي. قلت لهم لا بأس في ذلك، وألا يترددوا في الاتصال بي في حال وجود وظيفة شاغرة، وانتظرت خروجي إلى الشارع لأبكي.

مرت عشرة أيام على وصولي إلى باريس، ولم أتلقَّ سوى ردودٍ سلبيةٍ. كانت هذه المقابلة أملي الأخير. دفنت وجهي في رقبة ديفيد المكسوة بالفراء وتنهدت.

- هل تعتقد أن شخصاً ما سيرغب في توظيفي يوماً ما، يا هرّي؟

انهال عليّ الإرهاق المتراكم من الأسابيع القليلة الماضية، فاستجمعت كل طاقتي لأخلع ملابسي وآخذ حماماً ساخناً. حاولت

ترتيب أفكاري وأنا ألعب برغوة الاستحمام العطرة بأطراف أصابعي. فكرت في نيويورك بقلبٍ منفطرٍ وفي حياتي التي تركتها هناك، في مدخراتي؛ ثروة صغيرة جمعتها خلال أربع سنوات من العمل الدؤوب في مجال الأعمال المصرفية، تلاشت كلها قبل مغادرتي. شوّش الإرهاق معنوياتي وذاب القليل من التفاؤل المتبقي لي في الماء والصابون.

عند عودتي إلى الغرفة ملفوفةً في رداء الحمام، أشار صوت قادم من الحاسوب أنني تلقيت رسالةً. ازداد صداعي أكثر فأكثر، وغزا صدغَي الألمُ المتركز بين عينَي. أعلم أنه كلما تراكم التعب، ازدادت احتمالية تعرضي لنوبة هلع، ولكن ينبغي قراءة الرسائل الإلكترونية فور وصولها. إنها قاعدة، ويجب اتباع القواعد. دائماً. كانت لديّ رسالةٌ جديدةٌ على تطبيق لينكدن، من شخص غريب تماماً.

من: كريستوف لوموان

إلى: آليس سميث

في: 10 سبتمبر 2018

الموضوع: توظيف

مرحباً يا آليس،

رأيت على لينكدن أنك تبحثين عن وظيفة في باريس. أنا مؤسِّس شركة ناشئة تتمتع بإمكانيات قوية، لا يزال هدفها ونموذج عملها سريَين، ولهذا السبب لا يمكنني البوح بأكثر من ذلك. ملفك الشخصي قد يهمنا لمواصلة مشاريعنا.

لذا، إذا كنت متفرغة، أقترح عليك أن نلتقي غداً على الساعة 9:30 صباحاً في مساحة العمل المشتركة ذا سبيس، 67 شارع دو ماي، 75002 باريس.

مع خالص التقدير،

كريس لوموان

أعدت قراءة الرسالة الإلكترونية أربع مراتٍ. لم تكن هناك أي معلومات عن الشركة أو المنصب. أشارت سيرتي الذاتية على الإنترنت أنني عملت على عمليات الدمج والاستحواذ في بنك استثماري مرموق، ما دلّ على أنه لم تكن لديّ أدنى خبرة في تمويل الشركات أو في كيفية عمل شركة ناشئة، فلم أفهم لماذا جذب ملفي رجل أعمال مثل كريستوف لوموان.

لكنه حدد موعداً.

في وقت محددٍ.

في مكان محددٍ.

إذا رفضت، فسأفسد عليه جدول مواعيده. ومن خلال إعادة تنظيم الجدول، سيتعين عليه تعديل موعد أشخاص آخرين، وقد يؤدي اضطراب النظام القائم إلى الفوضى. قد يغادر شخص ما، رب أسرة مثلاً، منزله في وقت مبكر ليتصادف ذلك مع مرور سيارة أجرة، لمجرد أنه تم تأجيل الموعد، وبالتالي سيتعرض للدهس، أو أسوأ من ذلك، طفله في العربة...

كفى.

توقفي.

انتابني شعور طفيف بالغثيان وانتشر الصداع النصفي في رقبتي.

كل هذا في رأسي، يجب ألا أستسلم.

لا للتفكير الكارثي.

أمسكت معصمي بأصابعي. سواري ليس هناك. لقد خلعته لأغتسل. أرحت جبهتي بين يدَي المرتعشتين. ليس لدي الحق في الإخلال بالنظام الذي وضعه الكون. علينا أن نحترم ما هو متوقع دائماً. **هذا خطأٌ. الحياة مبنية على ما هو غير متوقعٍ**، همس لي صوت أنجيلا من بعيد. رحت أعد وأنا أتنفس ببطءٍ.

واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة.

تنفّسي.

أنا بحاجةٍ إلى وظيفةٍ، أياً كانت، وإلا سأضطر إلى اقتراض المال من أنجيلا، ما سيجعلها تقلق بشأني. وآخر شيء أريده هو أن أقلقها وأن أعكر حياتها بمشاكلي، مرة أخرى ومن جديد.

من: آليس سميث

إلى: كريستوف لوموان

في: 10 سبتمبر 2018

الموضوع: رد: توظيف

مرحباً يا كريستوف،

شكراً على رسالتك. سأكون سعيدةً لمقابلتك.

أراك غداً،

آليس سميث

كانت الساعة تشير إلى 17 : 13 فقط، لكنني كنت أترنح من التعب. انفجرت نقاطُ سوداء لامعة أمام عينَي كما لو كنت في ملهى

ليلي. أغلقت الستائر المطلة على ساحة المدرسة إذ كان الجرس سيرنّ قريباً. طويت ملابسي بعناية. أربع مرات متتاليةٍ للتأكد من عدم وجود أي تجاعيد. قمت بإعادة محاذاة الكرسي بالحائط، مرة، مرتين... **توقفي**. انزلقت تحت اللحاف، وابتلعت حبة منوم وديفيد ملتصقٌ بي.

عند استيقاظي، كان الليل قد أسدل ستاره. مرت النوبة، كانت خفيفةً، وإن كانت قريبةً بشكل خطيرٍ من سابقتها. دخلت تطبيق ديليفرو وطلبت سندويتش برغر باللحم المقدد والجبن، وبطاطا مقلية مغطاة بجبن الشيدر الذائب. فكرت في أنجيلا التي أمضت السنوات الأربع الماضية تحاول حثي على تحسين نظامي الغذائي، لكن دون جدوى. لكنني لم أتناول شيئاً منذ أمس ورغبت في أن أتوهم، ولو لوجبة، أنني ما زلت في الولايات المتحدة.

ألم يكن من الغريب أن يراسلني كريس لوموان في اللحظة التي كنت على وشك الإحباط؟ يا لها من صدفة غريبة. هذا إذا كنا نؤمن بالصدف. لكنني لا أؤمن بالصدف. لا أؤمن بالمصادفات، ولا بالحظ. أنا أؤمن بتسلسل الأحداث كما خطط لها الكون، بالنظام الثابت للعالَم حيث لكل ترسٍ صغيرٍ مكانه ودوره، وحيث يمكن لذرة غبار أن تعطّل هذا النظام. إن رفرفة جناح فراشة في طوكيو قد تسبب كارثة طبيعية في الطرف الآخر من العالم. هذا ما أؤمن به.

أحضرت لنفسي فنجان شايٍ وبحثت عن كريستوف لوموان على لينكدن. كان من الغريب أنه استغرق ثماني سنوات للحصول على شهادة الإجازة، حتى ولو كان ذلك من جامعة مرموقة جداً في مونتريال، ومنذ ذلك الحين، أسس تسع عشرة شركةً ناشئةً. انبهرت بهذه القائمة المذهلة، وبحثت عنها على غوغل الواحدة تلو الأخرى.

علمتُ أن كريستوف لوموان اخترع، من بين أمورٍ أخرى، مغرفة سفر قابلة للطي، وشراشف قابلة لإعادة التدوير، وتطبيق يفسّر شكل السحب. وبدا أيضاً أنه مبدعٌ في الفشل: فقد توقفت شركاته التسع عشرة كلها عن العمل. مشاكل تقنية، مشاكل مالية، مشكلة في نموذج العمل، مشكلة قانونية، مشكلة مع القرصنة... والشركة الناشئة الوحيدة التي تمكنت من الحصول على بعض المقالات الصحفية الجادة بتقديمها حلول للسلامة المعلوماتية سرّبت إلى العلن جميع البيانات السرية التي كان من المفترض أن تحميها، وذلك عن طريق إرسال هذه البيانات بالخطأ إلى عشرة آلاف جهة اتصال بدلاً من النشرة الإخبارية الإعلانية لليوم. وغني عن القول أن المقالات المعنية كانت بعيدة عن أن تكون إطرائيةً. رسمت مثابرة رجل الأعمال الشغوف هذا ابتسامة على وجهي، فلطالما شعرت بالحنان تجاه الأشخاص الذين لا يستسلمون أبداً.

رن الجرس. فتحت الباب واستلمت البرغر في كيس ورقيّ ثم شكرت عامل التوصيل الذي شكرني بدوره بحرارة على ما تركت له من بقشيش. عدت للجلوس أمام شاشتي وابتلعت وجبتي حتى آخر حبة بطاطا مقليةٍ وأنا أمرر صور رجل الأعمال المبتسم تحت نظر ديفيد المهتم، فسألته:

- هل تعتقد أنه لطيفٌ؟

تكوّر في حضني كجواب على سؤالي. تنهدت. لم يكن لديّ خيار آخر في واقع الأمر. لقد صرفت ما تبقى لي من مال في دفع الإيجار، ومهما كانت هذه الوظيفة، كنت بحاجة إلى أن أحصل عليها.

أُنشِئت المكاتب المشتركة لذا سبيس، وهي مساحة عمل مشتركة جديدة في باريس، في مصنع سابق لمناطيد الهواء. تدعم عوارض المصنع الخشبية المعاد طلاؤها باللون الأبيض زجاج السقف الضخم. في هذا الديكور المجرد، الذي تتخلله النباتات الخضراء والأرائك الأنيقة، شعرت وكأنني أتجول في صفحة من إنستغرام.

أعطتني مضيفةٌ مبتسمةٌ لا يقل عمرها عن خمس وعشرين سنة، وهو عمر قياسي نظراً للفتاة على الدراجة الصغيرة والشاب ببذلة الرياضة اللذين مرا أمامي للتو، أعطتني شارة برتقالية فلورية مقابل رخصة سياقتي الأمريكية التي احتفظت بها ككفالة، في حال راودتني فكرة سرقة شارة الزوار هذه لبيعها على موقع إيباي.

قمت بشد تسريحة ذيل الحصان خاصتي، وأعدت ضبط سترتي السوداء، وحاولت الجلوس بشكل مستقيم على المقعد القماشي الفضي غير المريح على الإطلاق.

- أليس؟

أدرت رأسي. وقف رجل أمامي راسماً ابتسامة عريضة على شفتيه.

- نعم، أنا أليس، قلت مصافحة إياه.

- سعيد بلقائك، أنا كريستوف، كريستوف لوموان.

كانت مصافحته قوية، وشعره بنيّاً أشعثَ على نحوٍ لا يدين للصدفة بشيء، ومظهره نموذجياً لجيله من رجال الأعمال: سماعات بلوتوث مزروعةٌ في أذنيه مثل لاقطين هوائيين أبيضين صغيرين، حذاءٌ رياضيٌّ باهظ الثمن، وسروال جينز باهت اللون صُنع على الأرجح على يد راهب بوذي في النيبال. ومن وراء نظارته ذات الإطار السميك، بدت لي نظرته البنية صادقة وودودة، وابتسامته جذابة، تماماً كما بدت على الصور التي رأيتها على الإنترنت. قد يُعتبر شاباً وسيماً، إلا أنني لم أبالِ على الإطلاق، نظراً لتأخره عن موعدنا إحدى عشرة دقيقة.

- اتبعيني، هل تريدين فنجان قهوة؟ شاياً أخضرَ؟ كوكاكولا زيرو؟ عصير الليتشي والفلفل الحلو؟

- كوب من الماء، شكراً لك.

سرت على خطاه وهو ينقر على هاتفه الذكي. وأنا أشد بيدَين متوترتَين على حزام حقيبتي، شعرت بالندم من أنني لم أتناول حبة مهدئة. لقد فشلت في جميع المقابلات التي أجريتها لأن هذا النوع من التمارين يرعبني، والخوف يجعلني متحفظة. فبحسب مدراء الموارد البشرية، فإن أرباب العمل السابقين «واجهوا صعوبة في تحديد شخصيتي». البرودة وضبط النفس هما الطريقتان اللتان ألجأ إليهما لإخفاء خوفي وقلقي.

- شكراً لك على مجيئك بسرعة، يا أليس. لقد انتقلنا إلى هنا منذ ثلاثة أسابيع. مكان لطيف، أليس كذلك؟

أخذنا مصعدٌ شفافٌ إلى الطابق العلوي حيث انفتح الباب على

مكاتب مشتركة واسعة، تمنح نوافذها الزجاجية رؤية خلابة على كنيسة القلب المقدس. لطالما كنت مفتونةً بهذا المبنى. حاولت إخفاء حماسي كسائحة أمريكية لم تغادر مزرعتها أبداً، إلا أنني لم أستطع المقاومة، وأبطأت خطواتي لأستمتع بالمنظر. كانت معظم المكاتب لا تزال فارغة، إلا أن المكان سادت فيه فوضى عارمة. صناديق، مجلدات، أوراق متناثرة، مضرب تنس الطاولة، حصيرة يوغا، وجورب حتى... أنا لا أفهم لماذا لا يرتب الناس من حولهم. كل ما عليهم فعله هو إعادة كل شيء إلى مكانه بعد استخدامه. ليس هذا بالأمر المعقد. في وجه تلك الفوضى، أشحت بنظري لأركز على الأوتاد المعدنية المستقيمة، والمتوازية، والمنتظمة، والمطمئنة للنوافذ.

- مرحباً بك في إيفرديريم! صاح كريستوف وهو يفتح باب قاعة اجتماعات تسمى «قاعة ستيف جوبز».

دخلتُ القاعة حيث تحيط أربع أرائك كبيرة بطاولة قهوة. تحت شاشة مسطحة، جلس رجل على إحدى الأرائك يكتب على حاسوبة بسرعة مذهلة، وعيناه مثبتتان على شاشته. انجذب انتباهي إلى يديه بشكل تلقائي، وأدهشني التناقض بين القوة الرجولية التي تنضحان بها والأناقة التي تداعبان بها المفاتيح، مثل عازف بيانو على لوحة مفاتيحه. وأنا أجلس، لم أستطع أن أمنع نفسي من إلقاء نظرة خاطفة على شاشته حيث تتالت خطوط البرمجة الخضراء على الخلفية السوداء واحدة تلو الأخرى، سلسة ومنتظمة كأنها ورقة نوتات موسيقية.

- جيرمي ميلر، شريكي، قال كريستوف وهو يجلس.

- صباح الخير.

- صباح الخير. لقد تأخرتِ، رد دون أن يرفع عينيه.

كان هذا ببساطة أقسى ملاحظة وُجهت لي منذ زمن طويل. شعرت بحلقي يتشنج وسمعت نفسي أجيب باقتضاب:

- أنا لا أتأخر أبداً.

توقف عن النقر على حاسوبه، ورفع رأسه وحدق بي للمرة الأولى بفضول، فأزعجتني نظرته الثاقبة. أبرز شعرُه البني الغامق القصير ولحيته الداكنة الخفيفة اللونَ الأزرق الصافي لعينيه. كان يرتدي قميص جينز وسروالاً باللون البيج، فبدا أكثر بساطةً بكثير من شريكه.

- إنه خطئي بالكامل، تدخّل كريستوف وهو يمدّ لي قنينة إيفيان. أنا الذي جعلت أليس تنتظر. كما تعلم، فالمبدعون دائماً ما يتأخرون، تابع وهو يغمزني بعينه.

استرخت عضلات ظهري، ووضعت خصلة من شعري خلف أذني وجلست على الأريكة.

- بالمناسبة، يا أليس، صاح كريستوف فجأة، لقد نسيت أن أخبرك بأهم شيءٍ، لدينا هنا حوض كراتٍ!

حدق بي بابتهاج، وكان من الواضح أنه يتوقع مني ردة فعل، وبما أنني لم أبادر بأي استجابة، أوضح:

- مثل الذي يوجد في محلات إيكيا.

ارتشفت رشفةً من الماء لأحافظ على رباط جأشي. لن أنجو من هذه المقابلة، فأنا بحاجة لأن يسألني أسئلةً حول سيرتي الذاتية، حول مزاياي (الانضباط، الدقة، القدرة على القيام بعمل استثنائي، المثابرة)، وعيوبي (عنيدة، انطوائية، و، آه نعم، طبعي قلق قليلاً، وبعض اضطرابات الوسواس القهرية الصغيرة. . .)، أسئلة عادية

واعتيادية. الأسئلة التي أعددت لها، فأنا لا أستطيع التعامل مع ما هو غير متوقعٍ. أنا لا أعرف، لم أعد أعرف كيف أتعامل مع ما هو غير متوقع. وضعت أصابعي على سواري، وداعبت حليَّه. فكرت في صوت الأمواج. تنفست برفق قدر الإمكان.

أغلقت القنينة ووضعتها على الطاولة. كان كريستوف يتصفح سيرتي الذاتية الآن، فاغتنمت الفرصة لإعادة التوازي بين قلمين مبعثرين. أخافتني هذه الحركة، خاصة وأنه بدا لي أن جيرمي ميلر، الشريك البغيض، لاحظها. لا بد لي من السيطرة على نفسي. أنا بحاجة إلى هذه الوظيفة لكي لا أضطر إلى طلب المساعدة من أنجيلا مرة أخرى، لكي أظل نشطةً، ولكي أُنسى. يجب أن أبدو طبيعية. أنا طبيعية **حقاً**.

- لقد عملتِ لبضع سنوات في جي بي مورغان في لندن، ثم في غولدمان ساكس في نيويورك لمدة...

ظلت جملته معلقة وأكملت تلقائياً:

- أربع سنوات وستة أشهر وأسبوعين وأربعة أيام.

اتسعت عيناه كما لو كنت قد غنيت للتو نسخة الراب من النشيد الوطني الأمريكي، ومن جديد، توقف شريكه لفحصي بفضول. عضضت شفتَي بتوتر.

- أنا أمزح فحسب، قلت بسرعة، أربع سنوات.

ومن جديد، بحثتْ أصابعي عن لمسة سواري المطمئنة، وتابعت نظرةُ جيرمي ميلر الفضولية حركتي وتوقفت على يدي الملتفة حول معصمي، فتركتُ تميمتي الثمينة وحاولت إخفاء توتري لكن دون جدوى.

ثم واصلت، محاولةً إبداء بعض الاهتمام.

- أعلم أنك أخبرتني بأن الأمر سريّ، لكني أريد أن أعرف، يا سيد لوموان، ما هو مجال تخصص شركتكم.

- ناديني بكريس، يا أليس، فلا وجود للشكليات والرسميات هنا. فيما يخص السرية، هي تقنية لجذب الناس الفضوليين والمستعدين للمغامرة. فأنا أريد أناساً مخـ-تلـ-فين. «إيفردريميون[1]». فالشيء الأساسي الذي يجب أن ترسخيه في ذهنك يا أليس هو أنه في إيفردريم، نتطلع لأشياء كبيرة، بل كبيرة جداً! نحن لا نقبل الرداءة. هل تقبلين الرداءة، يا أليس؟

- آه... لا...

- جيد! لأنه لدينا مشروع عظيم، مشروع فريد من نوعه سيحدث ثورة في حياة البشرية! نحن نعمل حالياً على تطوير حل رقمي سري سيساعد في حل مشكلة عالمية وفي تحسين حياة الملايين من الناس!

بهرني الحماس الذي تكلم به، فسألته بحذر:

- يبدو الأمر مثيراً. عن أي مشكلة نتحدث؟

تساءلت عما إذا كان قد اكتشف علاجاً للسرطان أو كيفية إحلال السلام في العالم أو التخلص من المجاعة. توهجت عيناه من الإثارة وأعجبتني طريقته الحماسية في تمجيد المشروع. صعد على طاولة القهوة تحت نظري المذهول، وأخذ نفساً عميقاً، وبحركة مسرحية من يده صاح قائلاً:

- لقد تبنّت إيفردريم مهمة لمّ شمل الجوارب اليتيمة، في كل أنحاء العالم!

---

(1) أي أناس يحلمون على الدوام، إذ إن EverDream تعني حرفياً الحلم الدائم - المترجمة.

كان من الصعب عليّ حينها تحديد ما إذا كان كريستوف لوموان مجنوناً أو منتشياً أو عبقرياً حقاً. عجزت عن الكلام لوهلة من شدة الصدمة. ولا بد أنه أخذ اندهاشي هذا على أنه ارتباك، لأنه واصل كلامه بنفس الابتسامة المنتصرة، موضحاً:

- هذه الجوارب التي ينتهي بها المطاف وحيدة في مجفف الملابس في نهاية عملية الغسيل! في عصر إعادة التدوير ومكافحة التبذير، لقد حان الوقت ليأخذ أحد زمام الأمور لمواجهة مشكلة الجوارب اليتيمة والتحدي البيئي الذي تمثله. حسناً، تخيلي! على تطبيق إيفردريم، سيمكنك التقاط صورةٍ لجوربك اليتيم، وتحديد مقاسه، وعلامته التجارية، ولونه، وسيتيح لك التطبيق فرصة التواصل مع شخص لديه جورب يتيم مطابق، وبالتالي سيُجمع شمل هذه الجوارب. ولن يكون بعدها جورب واحد وحيداً! مَن هي قاعدة عملائنا؟ العالم بأسره! ما عدا الأشخاص ذوي الساق الواحدة بطبيعة الحال، إلا أنه يتبقى لنا كمّ هائل من الناس.

تساءلت للحظة ما إذا كان يمزح، وبحثت عن كاميرا خفية، عن تفسير ما. تلى هذا التصريح صمت ملأه صوت أصابع جيرمي ميلر على المفاتيح. ضم كريستوف ذراعيه على صدره وهو لا يزال على طاولة القهوة، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.

- إذاً؟ هل أنت مستعدة لهذه المغامرة العظيمة، يا أليس؟ هل تقبلين تحدي ريادة الأعمال؟ هل ترفضين الرداءة؟

فتحت فمي. لم أكن أدري من أين أبدأ. حقيقة أن اسم **إيفردريم**، على سبيل المثال، لا يعني شيئاً، وأن معظم الناس لا يهتمون بفقدان جواربهم أو إعادة تدويرها، وأنه يتعين عليه أن يتوقف عن الهذيان، حتى إن كان ذلك في مكاتب ذا سبيس الرائعة. . .

ولكن صوت صغير ذكّرني بأنني بحاجة إلى هذا العمل، فتنحنحت قبل أن أعلن:

- يبدو هذا مثيراً للاهتمام... نموذج عمل... مبتكر... ولكنك على علم بأنني لا أعرف شيئاً عن مجال الويب، ولا التطبيقات، ولا البيئة... ولا حتى الجوارب اليتيمة، أليس كذلك؟

- أعلم ذلك، لكنك أمريكية والولايات المتحدة هي مستقبل إيفردريم! ما إن يحل الربيع، حتى نصبح عالميين! وإلى جانب ذلك، فإن سيرتك الذاتية أثارت إعجابنا، فأنت تتقنين لغتين، وحاصلة على شهادة من جامعة براون، وعملت في جي بي مورغان في لندن، وغولدمان ساكس في نيويورك... وعندما سنقوم بجمع الاستثمارات، قريباً جداً، سنحتاج إلى شخص بكفاءاتك...

- وماذا تتوقع مني أن أفعل بالضبط؟

- كل ما يتعلق بالمحاسبة، والجانب المالي، والأمور الإدارية...

- الأمور الإدارية؟

- نعم، أنا المبدع، وجيرمي يقوم بالبرمجة، ولدينا شخص يتولى التسويق وإدارة المجموعات، إلخ. لكن ليس لدينا أحد للقيام بالأمور...

توقفَ لحظة، متردداً في قول «المزعجة»، فاقترحت بلطف:

- المضجرة؟

- نعم، صحيح، المضجرة. لغتك الفرنسية ممتازة حقاً، يا أليس، وبالكاد لديك لكنة!

- لدي جنسية مزدوجة، فأنا من أم فرنسية وأب أمريكي.

- رائع، يروق لي هذا!

سألني بعض الأسئلة السخيفة، بما في ذلك لوني المفضل، أراني بقع حبر على جهاز آيباد الخاص به وسألني عما أراه (نورس، غيتارة، طائرة) ثم ختم:

- لقد انتهيت، جيرمي، هل لديك أسئلة؟

وددت أن يجيب بالنفي، لكن جيرمي ميلر رفع نظره عن شاشته وسأل:

- في سيرتك الذاتية، لم تتحدثي عما قمت به طوال عام 2013، بين نهاية إقامتك في لندن وبداية وظيفتك في نيويورك.

تنفست ببطء. علمت أنه سيتوجب عليّ أن أكذب. وعلى الرغم من كل الأكاذيب التي تفوهت بها في السنوات القليلة الماضية، فإن جزءاً مني ينفر دائماً من فكرة عدم قول الحقيقة.

- في عام 2013، قمت بجولة حول العالم، أجبت بهدوء، محدقة في النظرة الزرقاء الجليدية التي تراقبني.

أضاءت شرارة فضول عينيه للحظة وانتابني شعورٌ مزعج بأنه لم يصدقني.

- إنه لأمر رائع! صرخ كريستوف، هذه هي الروح التي نسعى إلى توظيفها في إيفردريم! أرى أنك تفهمين تماماً معنى مكافحة الرداءة، يا أليس.

- لماذا تركتِ نيويورك؟ واصل جيرمي، ولماذا ترغبين في الانتقال فجأة من قطاع التمويل والاستثمار إلى مجال الويب؟

- أردت دائماً أن أرى باريس... وفيما يخص التمويل والاستثمار، فسأكتفي بالسنوات التي عملت فيها في هذا المجال، فأنا أرغب الآن في تجربة شيءٍ أكثر... ريادة.

تخيلت الأسئلة التي تجول وراء تعبيره الجامد. **هل انتقلت**

وحدك؟ أأنت متزوجة؟ مُطلّقة؟ عازبة؟ هل لديك أطفال؟ هل لديك عائلة في باريس؟ أصدقاء؟

- رائع، يا أليس، قال كريستوف وهو يسحب من جيبه هاتفه الرجراج. سنوافيك بالمستجدات قريباً، لدي الآن مكالمة مع مستثمرين.

اعتقدت للحظة أنه كان هناك احتمال أن أنال الوظيفة، لكن هذه الطريقة المفاجئة لصرفي لم تبشر بالخير. صافحت تلقائيّاً اليد المدودة لي وأنا لا أزال تحت تأثير الصدمة، وهمست:

- شكراً على استقبالكم.

وقف جيرمي ميلر ورافقني دون أن يتفوه بكلمة. بحثت عن حجج قد تجعله يغير رأيه فيّ، لكنه رآني مرتبكة، وأعبث بسواري، وأضع الأقلام بشكل مستقيم... وأنا أتفهمه تماماً، فلماذا سيخاطر بتوظيف شخصٍ غريبٍ الأطوار مثلي؟

طلب من المضيفة أن تُرجع لي هويتي التي تركتُها مقابل شارة الزوار وسلَّمَتْه رخصة سياقتي. وما إن التفت نحوي، حتى تدفقت الكلمات من فمي، بنبرة تنقصها الثقة لتكون مقنعة فعلاً:

- لطالما حلمت بتأسيس شركة وأنا متحمسة حقاً للعمل في إيفردريم، وأتمنى أن تعطيني فرصة للحصول على هذه الوظيفة.

فوجئ بهذا الاعتراف غير المتوقع، فاحتفظ برخصة السياقة التي كان سيعيدها لي بين أصابعه، وحدّق بي قبل أن يرد:

- بصراحة، لا أفهم سبب ردك على رسالة كريس. إنه منصب مساعدة إدارية، وهو أقل بكثير من مستوى كفاءاتك وتجربتك. فمن حيث الراتب، نحن لا يمكننا أن ندفع لك عُشر المبلغ الذي كنت تتقاضينه من قبل، وستجدين نفسك تسددين الفواتير، وتراقبين

مخزون الأقلام وورق الطابعة... أما بالنسبة إلى شق المحاسبة الذي ذكره كريس لأنه لا يفرّق بين المحاسبة والتمويل، فلا أعتقد أنك ملمّة بمعايير المحاسبة الفرنسية...

ابتلعت ريقي، وشددت تسريحة ذيل الحصان بعصبية قبل أن أجيب بحماس مصطنع لإخفاء اليأس الكامن في صوتي:

- أنا أتعلَّم بسرعة، وقد يكون هناك بعض المهام المجهدة في البداية، لكنني أتطلع إلى فرص التقدم طويلة المدى...

- أنا آسف، ولكن سيكون توظيفك بمثابة هدرٍ وأنا لا أحب هدر المواهب.

كان لا يزال يمسك برخصتي بين أصابعه. ألقى نظرة خاطفة عليها وإذا بتعبير مذهول يعبر وجهه.

- اسمك الكامل هو سميث-ريفيير؟

- نعم، أمي فرنسية، لكني لم أعد أستخدم إلا «سميث»، يجب أن أغير وثائقي.

- لكن سميث-ريفيير... قال وهو يقطب حاجبيه، مثل سكارليت سميث-ريفيير؟

- نعم...، قلت بضحكة مصطنعة، لكن لا علاقة بيننا. هناك أكثر من مليونَي «سميث» في الولايات المتحدة وحدها كما أن «ريفيير» شائع بنفس القدر تقريباً في اللغة الفرنسية، لذا إحصائياً، هناك آلاف الأمريكيين الذين يحملون اسم سميث-ريفيير... ومع ذلك، وعلى الرغم من كل قوانين الاحتمالات، يُطرَح عليّ هذا السؤال منذ روضة الأطفال.

ظل صامتاً للحظة وهو يحدق بي بنظرته الزرقاء الثاقبة، فحاولت التنفس ببطء لإخفاء القلق الذي سببه هذا السؤال.

- الأرقام والإحصاءات هي أمور تروق لكِ، أليس كذلك؟ مثل تصفيف الأقلام؟

هززت كتفَي. كنت أعلم أنه لاحظ تحريكي للأقلام، لكنني كنت أفضل ألا يذكر الأمر.

- أحب الأرقام لأن لا لبس فيها. لا تترك الصيغة الرياضية مجالاً للصدفة، أو للحظ، أو لما هو غير متوقع. لا مجال لخيبة الأمل، فهناك نتيجة واحدة ممكنة. في الواقع، الأرقام تقول الحقيقة دائماً.

- على عكس الناس، تقصدين؟

- تماماً.

مدّ لي رخصتي وكانت نظرته حادة من جديد.

- من المضحك أنك تهتمين بالحقيقة، لأنني أجد صعوبة في تصديق أيٍّ مما قلتِه: أنك متحمسة حقاً لهذه الوظيفة، أو أنك جلت العالم، أو أنك رغبتِ في تغيير مجال عملك فجأة.

بالرغم من نبرة صوته الهادئة تماماً، إلا أن ملاحظته كانت بمثابة صفعة، وبعد بضع ثوانٍ من الدهشة، اجتاحني غضب عارم. من يحسب نفسه ليحكم على سلوكي دون أن يعرف شيئاً عن حياتي؟ كل هذه المقابلات ما هي إلا إجراءات صورية، يكسوها فن الكذب، والتظاهر في صورة زائفة. بدلاً من إضاعة صباحي، كان الأجدر بي أن أرسل طلبات جديدة. وضعت رخصتي في محفظتي، ورفعت رأسي وحدقت في عينيه مباشرة.

- أتريد الحقيقة؟ جيد جداً. أجد فكرة شركتكم عبثيّة، واسمها لا يعني شيئاً بالإنجليزية، ومن البديهي أنني أكثر كفاءة بعشر مرات مما تتطلبه هذه الوظيفة، لكن للأسف، لقد طُردت من وظيفتي

السابقة من دون تعويض، وأنا بحاجة إلى العثور على وظيفة أخرى على وجه السرعة كي لا أجد نفسي في الشارع. لكني أشك أن هذا النوع من الحقيقة، إن كشفتها لك، كان من شأنها أن تقنعك بأن توظفني. أنا فتاةٌ ذكيةٌ وجديةٌ، وصحيح أنني أرتب الأقلام عندما أشعر بالقلق، لكنني أتعلّم بسرعة، ولست بحاجة إلى راتبٍ خياليٍّ ولا أحسب ساعات عملي. ولو كنتَ كلفت نفسك عناء إعطائي فرصة، فلم تكن لتندم. آه نعم، شيء أخير: في عام 2013، لم أقم بجولة حول العالم، فعلاً. أنا لم أعمل لأنني كنت أمر بفترة اكتئاب. وبهذا، أتمنى لك يوماً سعيداً.

وأدرت ظهري لأعود أدراجي دون انتظار رد منه، راضية عن نفسي لأنني تصديت له، حتى وإن كنت قد فشلت في مقابلتي.

يوميات أليس

لندن، 1 سبتمبر 2011

مرحباً يا بروس،

رأيت الطبيبة النفسية هذا الصباح. قمت بترجمة الصفحات الأولى من مذكراتي لها، فابتسمت.

- كيف كان شعورك بعد كتابة كل هذا؟

- شعرتُ بالغباء... أعني لأني كتبت عن نفسي. أظن أنني خائفة من أن يقرأها أحد ما ويحكم عليها.

- نعم، الكتابة أمر حميميّ للغاية.

- ثم ما زلت لا أرى كيف يمكن أن تساعدني في أن أحمل.

- الكتابة العلاجية تساعد على إخراج المشاعر السلبية. وبكتابة ما يزعجك، تنسلُّ من روحك تلك الأمور السلبية التي تُضمِرك وتُقوِّضك، وكأنها تُطرَد من داخلك إلى الورقة. ألم تشعري بأن المقطع عن أجهزة كشف الحمل خفف عنك؟

هززت كتفَي.

- قليلاً... لا أعرف...

أومأت برأسها ثم ختمتْ:

- أنا لن أطلب منك قراءة هذه اليوميات مجدداً، إلا إذا كنت ترغبين في ذلك. وهكذا، سوف تكونين حرةً تماماً في كتابتك. استمري في الكتابة لمدة عشر أو عشرين دقيقة في اليوم، وحاولي أن تتحدثي عن طفولتك.

هززت كتفَي.

- ليس هناك الكثير لقوله، كانت طفولتي عادية. . .

- الحمل أو الرغبة في الحمل، لأنها تولِّد الكثير من الأسئلة، تجعلنا نسترجع بعض العناصر من طفولتنا.

- لست أدري من أين أبدأ. . .

- مثل معظم القصص، يا أليس: من البداية. سترين، الأمر أشبه بسحب خيط. عندما ستبدئين، لن تستطيعي التوقف.

طفولتي إذاً.

البداية.

حسناً. أولاً، والداي:

في عام 1973، أرادت الصدفة أن تلتقي والدتي، فرانسواز ريفيير، طالبة فرنسية في برنامج تبادل طلابي بجامعة رود آيلاند، بماثيو سميث في نادي محبي السينما. وأثناء نقاش محتدم حول روائع ثلاثينيات القرن العشرين، تشاجرا حول فيلم «ذهب مع الريح[1]»، الذي صرحت فرانسواز أنه أضخم عمل في تاريخ السينما

---

(1) **Gone with the Wind** أو ذهب مع الريح هو فيلم أُنتِج عام 1939، وهو مقتبس عن رواية مارغريت ميتشل الشهيرة - المترجمة.

فيما وصفه ماثيو بالعمل العنصري والسخيف والمحافظ. تفاقم نزاعهما لدرجة أنهما اضطرا إلى تمديد المحادثة حول كوب من مخفوق الحليب.

كان من المفترض بوالدتي أن تبقى ثلاثة أشهر في الولايات المتحدة، لكنها لم تستخدم تذكرة العودة أبداً. تزوجا بعد ذلك بعام، وكانا في الواحدة والعشرين من عمرهما.

قضى والداي الإحدى عشرة سنةً المقبلة محاولَين إنجاب طفلٍ (أنا). وبعد العديد من الفحوصات، أقر الطبيب النسائي أن احتمال حمل فرانسواز سميث-ريفيير (كانت قد ألصقت اسمها بجانب اسم والدي كي تحارب اضطهاد النظام الأبوي دون التخلي رغم ذلك عن الترف المتمثل في حمل لقبٍ أمريكيٍ) هي أقل من ثلاثة في المائة. كانت أول عملية تخصيب أنبوبي في الولايات المتحدة قد حدثت عام 1981، وقد تم إنشائي بعدها بثلاث سنوات في أنبوب اختبار فرأيت النور في مطلع يناير 1985. لم يكن والداي قادرَين على تحمّل تكلفة التخصيب الأنبوبي (كان أبي ميكانيكياً وأمي مترجمةً مستقلةً)، لكن أتيحت لهما الفرصة ليكونا جزءاً من برنامجٍ بحثيٍّ تموّله شركةُ أدويةٍ كبيرةٌ.

كان بودّي أن أتذكر الأشهر الأولى من حياتي. أتخيل والديّ، بعد أكثر من عشر سنوات من الانتظار، منحنيَين على مهدي، يراقبان في سعادة مفرطة تغريداتي الأولى، وابتساماتي الأولى، وضحكتي الأولى...

بعد ذلك بفترة وجيزة، تفاجأت أمي بعدم مجيء دورتها الشهرية، فذهبت لرؤية طبيبها النسائي الذي أكّد حملها بشكل طبيعي، متحدية بذلك الأطباء والاحتمالات.

وُلدت أختي في ديسمبر من نفس السنة، وتلاشت قناعات والدِي السياسية على مر السنين، فيما ظلت أمي من محبي فيلم «ذهب مع الريح».

أسمياها سكارليت.

مرت ثلاثة أيام وأنا في حالة اكتئاب، أنتظر ردّاً على الطلبات التي أرسلتها بعد الفشل الذريع لمقابلتي مع إيفردريم. وبالإضافة إلى إخفاقاتي المتكررة في العثور على عمل، كنت حزينة لأن باريس خيّبت أملي. كانت العاصمة الفرنسية بعيدة كل البعد عن باريس البطاقات البريدية التي حلمتُ بزيارتها وأنا طفلة، فباريس الحقيقية تترك أرصفتها تعجّ بفضلات الكلاب ومشرّدوها يرتجفون برداً طوال الليل على فتحات التهوية في مترو الأنفاق فيما تتسابق الجرذان على سكك الحديد. كما أن الأشجار نادرة مثلها مثل الابتسامات، وفنجان القهوة يكلف ثمن حقيبة يد.

وعلى عكس التوقعات، وبينما كنت مستلقيةً على سريري ألعب مع ديفيد، تلقيت مكالمةً من كريستوف لوموان. تركتها تنتقل إلى المجيب الآلي ثم استمعت إلى رسالته الصوتية:

«مرحباً يا أليس، كريستوف لوموان على الهاتف. يشرفني أن أبلغك أننا سنكون سعداء بالترحيب بك في فريق الإيفردريميين، ابتداءً من يوم الاثنين إذا استطعت، لأن المغامرة لا تنتظر! اتصلي بي بسرعة لنناقش عقدك. أراك قريباً».

استمعت للرسالة ثلاث مراتٍ، مذهولة. يبدو أنني تركت

انطباعاً جيداً بما يكفي لدى الرئيس التنفيذي الشاب للتصدي لرأي شريكه السلبي. أو أنهم بكل بساطة لم يتلقوا طلبات أخرى لمشروعهم العجيب. بدلاً من تعذيب عقلي، قررت أن أعيد الاتصال به. بدا كريستوف لوموان مصمماً على توظيفي. كدت أسأله عن السبب، لكنني امتنعت عن ذلك خوفاً من إفساد كل شيء. كان لدي عمل وهذا كل ما يهم.

ولتأكيد حقيقة أن حياتي باتت هنا الآن، وصلتْ أمتعتي من الولايات المتحدة بعد بضع ساعات. كنت قد بعت كل أثاثي وجزءاً كبيراً من أغراضي، لذا لم يسلمني عُمّال شركة النقل سوى عشرين صندوقاً فقط.

قضيت الأيام الموالية في التنظيف والكنس والتلميع واختبار طرق ترتيب مختلفة. فتحت معظم الصناديق، ولكن هناك بعض الصناديق لم أرغب حتى في لمسها، وهي الصناديق التي حملت ملصق «لندن»، وذلك الصندوق الكبير الذي كنتُ قد سجلت عليه حينها حرف «ف» بغضب بقلمٍ أسود. كدست الصناديق بعنايةٍ على طول جدار غرفة المعيشة بعد أن فككت ودفعت مكبرات الصوت ونظام الموسيقى في انتظار مجيء الوكالة لاستردادها، وغطيت بعد ذلك الصناديق بثوب أفريقي أصفر كبير ووضعت مصباحاً فوق قطعة الأثاث المرتجلة هذه. كانت النتيجة جميلة بصراحة، رغم أنني كنت أعلم أن إخفاء حقيقة الماضي يحتاج إلى أكثر من قطعة قماش ملونةٍ.

وبعدما انتهيت من كل هذا، ترددت في الاتصال بإيفردريم لأسأل ما إذا كان بإمكاني البدء على الفور، لكني غيرت رأيي وانتهى بي المطاف في أن أرتدي حذائي الرياضي وأن أخرج لأركض.

وعلى الرغم من الجو الكئيب، كانت الألوان الخريفية تلائم المدينة. حددت على تطبيق خرائط غوغل مساراً يبلغ خمسة أميال (يجب أن أفكر بالكيلومتر)، فأخذتني خطواتي إلى منتزه بوت-شومون. وأثناء الجري، شاهدت سيدة مسنة تجلس على مقعد وترمي فتات خبز للحمام، فابتسمتْ لي. حيّيتها بحركة صغيرة من يدي، ولو تجرأت، لكنت جلست بجوارها. مكتبة سُر مَن قرأ

شكلت الأوراق المتساقطة تحت قدمَي سجادةً بلون الزعفران، جعلت ذاكرتي ترجع لتلك النزهات التي لطالما أحببتها في صغري، عندما يؤجج الخريف أوراق القيقب بالأحمر والذهبي في رود آيلاند. كانت الرياح تورِّد وجنتَي وكنت أجلس على رمال شاطئ ناراغانسيت المهجورة ابتداءً من أواخر سبتمبر لمشاهدة المحيط. توقفت. عجزت فجأةً عن التنفس. دون أن أدرك، أسرعت تنفّسي فضاق نَفَسي. قضيت سنوات مراهقتي أقاتل من أجل مغادرة شواطئ البحر الضبابية لطفولتي، لكنني مستعدة اليوم لأن أعطي أي شيء لأعود إليها. ضاق حلقي لاستحالة هذه الفكرة. ليس بعد ما حدث. ليس بعد ما فعلتُ.

يوميات أليس

لندن، 10 سبتمبر 2011

عزيزي بروس ويليس،

كيف حالك؟ ها أنا قد عدت. لقد استأنفت هذه اليوميات بعد جلستي مع الطبيبة النفسية. في الحقيقة، ليس لدي شيء بنّاء أكثر لأقوم به.

لقد لاحظت أنني أكتب بالفرنسية بشكل غريزي. فربما يكون أسهل لي أن أكون صادقةً بالفرنسية، لغة والدتي، منه بالإنجليزية، لغة والدي. وهو أمر سخيف لأنك قد لا تفهم شيئاً في حال وقعتْ بين يديك هذه اليوميات، الموجهة إليك أصلاً.

أنا لم أخبرك كثيراً عن نفسي، يا بروس. اسمي أليس سميث-ريفيير، عمري ست وعشرون سنة، وقد تزوجت منذ سنتين (لكن في حال التقينا في الحياة الحقيقية، فالمرجو اعتباري عازبة، وحرة طليقة، ولطالما اعتقدت أن الشعر لدى الرجال أمر غير ضروري تماماً).

أنا أتكلم اللغتَين الإنجليزية والفرنسية، لذا أكتب هنا بالفرنسية، فربما تطمئنني فكرة أنه إذا عثر أوليفر على هذه اليوميات، فلن يفهم

كل الهراء الذي يدور في رأسي. أو ربما أنني، ببساطةٍ، أفتقد اللغة الفرنسية. وهو ما يذكرني بأنه ينبعي عليّ أن أتصل بأمي فور انتهائي من الكتابة، لأزف لها خبر حمل داكوتا.

على أيٍّ. خبر عاجل: أنا لم أحمل بعد. أنا وأوليفر نتشاجر كثيراً. لم أعد أتحمل تكراره لما يقول لي الآخرون طوال اليوم: «توقفي عن التفكير في الحمل». وكأنني لم أكن أعلم ذلك. لكن التفكير بأنه عليّ التوقف عن التفكير في الأمر في الوقت الذي أفكر فيه، يعني التفكير فيه أكثر. لذا شكراً لكم على النصيحة، سيد يودا[1].

تفتقد لوحة مفاتيحي رمز تعبيري لامرأة تنتف شعرها من الغيظ وهي تسجل مواعيد الإباضة. (ملاحظة: هناك أشخاصٌ يتمثل عملهم في اختراع رموز تعبيرية).

يوم أمس إذاً، أخبرتني داكوتا عن حملها على سكايب.

- إنه حادث، فقد قمنا بذلك دون حماية مرة واحدة فقط، وحدث ذلك على الفور! فزعت في البداية، فكما تعلمين، لم تكن لديّ أبداً رغبة في إنجاب الأطفال، ولكن الآن نحن سعيدان جداً.

- مباركٌ لكما، سعدتُ كثيراً لهذا الخبر، قلت بابتسامة صادقة كابتسامةِ سياسيٍّ عشية الانتخابات.

الترجمة: بالطبع يا داكوتا، أنا سعيدةٌ جداً لكونك خصبة كحقل من القُرّاص المعدلة وراثياً. فلا يكفي أنك تدخنين أكثر من محطة طاقة تعمل على الفحم، بل في المرة الأخيرة التي اعتنيت بابنة أختك، لقد نسيتيها في متجر آبل طوال الظهيرة. حقّاً.

---

(1) Yoda هو شخصية خيالية من عالم حرب النجوم - المترجمة.

أعلم يا بروس، هذا مشين، فكوني المرأة الوحيدة في الكون غير الحامل حالياً ليس عذراً لكي أصبح شريرةً وأن أطلق الأحكام على صديقاتي. وأسوأ ما في ذلك هو أنني أشعر بالذنب حيال ذلك. ففي أعماقي، أنا مسرورةٌ من أجلها. أنا فقط أتمنى أن يحصل لي الشيء نفسه، قبل أن أبلغ سن الثلاثة والسبعين إذا أمكن.

فإذا آمنت بنصائح أوليفر، الأكثر حماسة للوعظ منه لإنجاب للأطفال، فعليّ أن أرى الجانب الإيجابي لهذه التجربة: أي المزيد من النبيذ والجبن واللحوم الباردة بالنسبة إليّ.

يبدو أن معظم الناس ينتظرون بفارغ الصبر عطلة نهاية الأسبوع. أما أنا فأقضيها في انتظار يوم الاثنين. العمل يشغل ذهني، ويلهيني عن التفكير، فأنا لم أجد علاجاً أكثر فعالية لنوبات الهلع التي أعاني منها. لقد طلب مني كريستوف أن أكون هناك عند الساعة 9:00 صباحاً، لكنني وصلت إلى ذا سبيس عند الساعة 8:20 ومستوى الطاقة لديّ كما لو أنني لم أنم منذ عيد الميلاد الماضي. لقد قررت أن أخفف من الحبوب المنومة، وكانت النتيجة أنني غفوت في الساعة 3:00 صباحاً واستيقظت في الساعة 5:45. رائعٌ جداً. كان لدي الوقت الكافي لأكتب لأنجيلا (لأخبرها أن كل شيء على ما يرام وألّا تقلق بشأني)، ولأركض، وأمرّ بمقهى ستاربكس في ساحة الجمهورية لشراء كابتشينو وكعكة بالتفاح والجوز، ولأعود إلى المنزل للاستحمام، ولأنظف صندوق ديفيد وأكنس الشقة. فقد أقنعت نفسي بسذاجة بأني كلما تعبت أكثر، زاد احتمال أن أنام نوماً عميقاً تلك الليلة.

سارة، فتاة الاستقبال، لم تتعرف عليّ. ولأكون منصفةً بحقها، فلا أحد يتعرف عليّ أبداً، وهو أمر يناسبني تماماً. فلدي هيئة تستدعي صفات مثل «شائعة» أو «عادية». هناك وجوه نلاحظها

ونظرات لا ننساها. أما أنا، فلا أَعدّ الأشخاص الذين قالوا لي إنهم سعداء بمقابلتي في حين كانوا قد التقوا بي مرتين أو ثلاث مرات من قبل. أنا في الثالثة والثلاثين من عمري وأبدو في عمري، أو ربما أصغر بسنة في الأيام الجيدة. يقال إن لديّ صوتاً جميلاً، لكن عدا عن ذلك، لديّ عينان بنيتان وشعر بني داكن وناعم، متوسط الطول ومربوط على شكل ذيل حصان مشدود طوال الوقت، بحيث لا أبدو مثيرةً. في مرحلة ما، قيل لي إن لديّ ابتسامة جوليا روبرتس، لكنني لم أعد أبتسم كثيراً. ولا أضع مساحيق التجميل أو القليل منها فقط. باختصار، أنا عادية. سمعت ذات مرة أحد الزملاء يقول عني «يمكن لأليس أن تبدو مقبولة». «مقبولة». لا جميلة ولا قبيحة. في توازن بين الجمال والقبح. وأضاف زميل آخر (من الواضح أنه لم يلاحظ أيٌّ منهما وجودي بالقرب من طاولة البوفيه الصغيرة)، «إنها لا تهتم بشكلها». أو «لا تبذل جهداً»، لا أذكر. بهذا، لاموني على عدم قضاء ما معدله خمس وأربعين دقيقة في اليوم (ما يساوي اثني عشر يوماً كاملاً في السنة، أي ثلاث سنوات كاملة من حياتي إذا ما عشت حتى سن الثمانين) لتغيير شكلي العادي من خلال وضع كميات كبيرة من كريم الأساس والماسكارا، من أجل أن أوصف بالـ «مقبولة» من قِبل اثنين من زملائي الذكور البدينَين ونصف الصُّلع في حفلة عيد الميلاد المقامة بالشركة. . .

في الواقع، أنا لا أسعى لأن أثير إعجاب أحد، بل أرغب في الانصهار بين الحشود فحسب. أرغب في ألّا يتعرف عليّ أحد على الإطلاق. أرغب في البقاء في الظل بعيدةً عن الأنظار وفسح المجال للأشخاص الذين يستحقون أن يلمعوا. لقد ابتكرت لنفسي زياً رسمياً للعمل. بذلة سوداء أو رمادية وبلوزة بيضاء أو زرقاء. وفي عطلة

نهاية الأسبوع، أستريح وأرتدي سروال جينز وحذاء كونفرس. يتطابق وصفي مع ثلث البشرية، والخبر السار هو أنه في حال كنتُ مطلوبة من قِبل الإنتربول، فسأفلت منهم حتى دون الحاجة إلى تغيير تسريحة شعري، وهي خصلة قد تكون مفيدة، نظراً لماضيّ.

أخذتني سارة إلى الطابق الأخير، إلى غرفة اجتماعات مُعدة لهذه المناسبة.

- أنتِ أول مَن وصل، قالت لي.

فأدركت أنني لست أول من سيبدأ العمل اليوم. ظهرت عبارة «مرحباً بكم في إيفردريم» على سبورة ورقية، وحول الطاولة كانت هناك قناني ماء صغيرة وبطاقات كُتبت عليها أسماءٌ. جلست أمام اسمي.

في الساعة 8:55، وصلت فيكتوار هيرنانديز، فتاة في الرابعة والعشرين من عمرها، متأبطةً سكوتر صغيراً. إنها فتاة هجينة ذات بشرة حنطية مائلة للسمار، شعرها مصفف في ضفائر رقيقة باللونين الأسود والوردي الفلوري، وأذنها اليمنى مزينة بحلقاتٍ ذهبيةٍ صغيرةٍ. بارتدائها سروال جينزٍ باهتاً ضيقاً وقميصاً ينتهي فوق الحلي المغروس في سرتها، حاولت جاهدة أن تبدو وكأنها لم تبذل أي جهدٍ، وهو عناء عديم الفائدة لأنها تنتمي ببساطة لتلك الفئة من الفتيات اللاتي، حتى وإن تنكّرن في زي برغر الجبن واللحم المقدد الضخم للترويج لعلامة ماكدونالدز، فسيبقين فاتناتٍ.

- اسمي فيكتوار، أوضحتْ لي، أنا متدربة في إدارة المواقع وتطوير البرمجيات.

- وأنا أليس.

- مرحباً يا أليس. لا بد أنك تتساءلين لماذا أحمل هذا الاسم المبتذل لبرجوازيةٍ من فرساي؟

لم أكن أتساءل عن ذلك على الإطلاق، لكن عفويتها رسمت ابتسامة على محياي. استرسلتْ في حديثها وهي تُخرج من حقيبتها العسكرية المزخرفة بسائل القلم المصحح قلم حبر ممضوغاً ومن دون غطاءٍ ودفتراً ذا سلكٍ ملفوفٍ، وقالت:

- لأن أمي كانت تعاني في فترة حملها بي من داء المقوسات وأخبرها الأطباء أنني سأكون معاقةً ذهنيّاً.

- آه، حقاً؟

- أنا لا أعرف ما إذا كانت للأمر علاقة، واصلت فيكتوار بجدية، ولكن أريد أن أُعلِمك أنه بسبب داء المقوسات أو لأنني تلقيت تربية سيئة، ورغم حصولي على نسبة 138 في اختبار الذكاء، إلا أن كلامي لا يخضع لأي رقابة. أفضّل أن أحذّر زملائي في العمل، فقد يُؤخَذ كلامي على نحو خاطئٍ، وقد يمثل ذلك عائقاً في تكوين روابط اجتماعية وعاطفية سليمة مع البيئة المحيطة بي.

حدقت بها بإمعان، مندهشة ومستمتعة بصراحتها.

- لا يخضع كلامك للرقابة؟ ماذا تعنين بذلك؟

- هذا يعني أنني أعلم نظريّاً أن هنالك أشياء من المفترض ألا تقال للناس اجتماعيّاً، ولكن عمليّاً لا أعلم أبداً ما هي هذه الأشياء. منطق اللياقات الاجتماعية، العبثية بنظري، يفلت تماماً من ذكائي العالي. مثلاً، أنا أعلم الآن أنه لم يكن ينبغي بي أن أقول للمدير التقني للشركة التي كنت أعمل بها إنه سيكون مفيداً لمسيرته المهنية كفاشي نازي جديدٍ غير كفء ألّا يتحدث إليّ مجدداً.

حدقت بي بإمعان وختمت كلامها مقطبة حاجبيها:

- وبالنظر إلى وجهك وبفضل دروس البرمجة اللغوية العصبية التي تجعلني أقرأ لغة الجسد، فإنني أدرك أنه ما كان ينبغي أن أروي لك هذه القصة.

بدت قلقةً حقاً، فابتسمتُ لها مجدداً.

- على الأقل، أنت تبوحين بما تفكرين فيه.

- لا ينظر الناس إلى الأمر على هذا النحو. أنا أحب طريقتك في النظر إلى الأمور، قالت بعد التفكير لبرهة.

وصل كريستوف في الساعة 8:58، ما يدل على أنه أكثر مهنية مما يبدو. فعلى ما يبدو، يتطلب الفشل في تسع عشرة شركة ناشئة متتالية حداً أدنى من الجدية والالتزام.

- مرحباً. . .، قال بتردد.

- أليس، ذكرته باسمي مشيرة إلى البطاقة الموجودة أمامي.

- أليس! طبعاً. كيف حالك؟ هل استمتعت بعطلة نهاية الأسبوع؟ يا له من طقس رديء. أن تصلي إلى باريس في الخريف قد يجعلك تندمين بسرعة على تركك الولايات المتحدة! وأنت يا فيكتوار؟ كيف كانت عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة إليك؟

وتابع مباشرةً ليخبرنا عما فعل هو في العطلة. أنا أحب الناس الثرثارين. إنهم يتولون دائماً المهمة المرهقة المتمثلة في التحدث عوضاً عنك.

في الساعة 9:27، عند انتهاء كريستوف من عرضه حول إيفرديريم على الشاشة المسطحة المقابِلة للطاولة الزجاجية لقاعة الاجتماعات، انفتح الباب على رضا الشابي، شاب في الثمانية والعشرين، وهو مصمم غرافيك ومصمم ويب ومدير إدارة

المجموعات في الشركة. وقف محدودباً قليلاً، كما لو أراد أن يخفي طوله البالغ متراً وتسعين سنتمتراً وأطرافه النحيلة الهزيلة، وكان يرتدي قبعة لليانكيز، فريق نيويورك للبيسبول. اعتذر عن تأخره بطريقة مثيرة للشفقة، متذرعاً على التوالي بعطل في المنبه، ومشكلة في مترو الأنفاق، ونسيان بطاقة النقل الخاصة به، ومشكلة في المفتاح مع زميله في السكن.

ارتبك كريستوف جراء هذا السيل من الأعذار، فأكد له أن الأمر ليس بالخطير ودعاه لتشغيل حاسوبه.

– لقد نسيته، قال رضا. وبالمناسبة، متى يحق لنا أن نطلب عطلةً؟

في حالة من اليأس أمام سلوك الشاب، شرح لنا كريستوف مساره المهني الخاص، وكان صريحاً جداً فيما يخص إخفاقاته المتكررة.

– لا بد أنكم تتساءلون لماذا وظفتكم رغم أن التطبيق لم يُنشأ بعد. لأنه يجب أن تكون طموحاتنا كبيرة منذ البداية. فأن نرى الأمور على نحوٍ صغيرٍ ما هو إلَّا قبول بالرداءة! صدقوني، قريباً، ستصبح إيفردريم شركة متعددة الجنسيات وسنكون جميعاً من أصحاب الملايين!

تحمّس لبضع دقائق وسأل ما إذا كانت لدينا أسئلة. رفع رضا إصبعه.

– هل توفرون لنا وجبات مجانية؟

في تمام الساعة 11 صباحاً، اقتحم جيرمي ميلر القاعة. استهل حديثه بتحية باردة بلا حفاوةٍ، ثم عرّف عن نفسه باختصار ويداه في جيبَي سرواله الجينز. أشار إلى أرقام الهدر الذي تسببه الجوارب

اليتيمة والتي دائماً ما ينتهي بها الأمر في القمامة، وإلى فرص إعادة تدوير النسيج التي تمثلها.

- هل هناك أسئلة؟

جاب نظره الجليدي القاعة الصغيرة وتوقف عليّ لجزء من الثانية. هل تفاجأ برؤيتي هنا؟ هل وظفني كريستوف دون علمه؟ تثاءبت فيكتوار بصوت عالٍ.

- متى سنشرع في العمل على الموقع؟ أشعر أن كل هذا الكلام لا يُجدي نفعاً.

- بعد ظهر هذا اليوم، رد جيرمي، وآمل أنك تتقنين لغة برمجة بايثون كما تزعم سيرتك الذاتية.

شبكت فيكتوار ذراعيها وغرقت في مقعدها، بغطرسة وغرور.

- بايثون هي لغتي الأم، كما أنني أتقن أربع لغاتٍ أخرى هي الجافا والجافا سكريبت وسي ++ وبي إتش بي. وللعلم، لم تذكر سيرتي الذاتية حتى نصف مهاراتي.

فاجأتني الابتسامة الخاطفة التي رسمتْها وقاحتُها على وجه جيرمي الذي بدا مدركاً تماماً لما تحدثت عنه، على عكسي أنا التي لم أفهم شيئاً.

مرّت بقية اليوم بسرعة. قابلَنا كريستوف بانفراد للإجابة عن أسئلتنا. أراد رضا أن يعرف ما إذا كان بإمكانه أن يترشح ليصبح ممثلاً للموظفين وعدد أيام العطلة الذي تحق لهم. في آخر النهار، دعانا كريستوف لتحديد تاريخ نكون فيه جميعاً متاحين لحضور ما سمّاه «أمسية الإدماج المفاجئة للإيفردريميين». كان من الضروري أن أجد مبرراً لأتنصل من هذه الأمسية. عدت إلى المنزل منهكةً من

كثافة العمل خلال النهار. ورغم أنني لم أكن هناك لكسب الأصدقاء، إلَّا أن زملائي بدوا ودودين. ذهبت إلى الفراش وأنا أفكر. قد يكون جمع شمل الجوارب اليتيمة فكرة مقبولة في آخر المطاف. بدأتُ أرى بعض الشاعرية في هذا المشروع المجنون.

من: أنجيلا سرينيفاسان
إلى: آليس سميث
في: 10 سبتمبر 2018
الموضوع: أخبار

مرحباً يا عزيزتي آليس في بلاد العجائب!
كيف حالك؟ أنا سعيدة جداً لعثورك على الشقة المثالية في حي يروق لك وعلى وظيفة تحبّينها. تبدو لي حياتك الباريسية أشبه بالحلم. يا للحظ! على أي حال، أعيد وأكرر، إذا كنت في حاجة لأن أرسل لك المال، حالما تقبضين راتبك الأول، فلا تترددي!
ابعثي لي صوراً لمنزلك الجديد... حتى أستطيع أن أتخيلك مع صديقاتك الجديدات، تحتسين العصائر في حين تنسينني مثل جورب قديم في أعماق سلة الغسيل!
هنا، أصبحت الأشجار حمراء وصفراء. أنت تعلمين كم أحب الخريف في بروكلين، ولكن الأمر مختلف من دونك. غادر آبي إلى ولاية كونيتيكت لعلاج حماتي التي شخصت نفسها بجدري الماء القاتل. لن تصدقي توهمها المرضي. هي لا تتوقف عن بعث مقالات حول مخاطر الجدري في مرحلة البلوغ. وبحسب معرفتي بها، قد تكون تعرضت لثلاث لدغات بعوض...
على كلٍّ، توصيل الأولاد إلى المدرسة والذهاب إلى العمل بعدها أمر شاق جداً. نحن ننتظر بفارغ الصبر أن نعثر على مربية! بدأ ثيو الحضانة في مدرسة مونتيسوري ببروكلين ولاحظت أنه اجتماعيّ أكثر.
لا جديد في المصرف، ويتصرف أندرو كما لو لم تكوني موجودة أبداً. أنا أكرهه، وأفكر جدياً في ترك كل شيء لأصبح

مختصة في التغذية/مدربة يوغا مستقلة، لكنني لست متأكدة من قدرتنا على تسديد مصاريف المدرسة والشقة... من دون راتبين منتظمين.

كما وعدتك، إليك عنوان البريد الإلكتروني لقريبتي في باريس: saranya.godhwani@kmail.com. لقد أخبرتها أنك ستتواصلين معها.

تجدين في المرفق بضع صور للأولاد ووصفة لفطيرة كيش لورين. لن أسمح لك بأن تعودي إلى عاداتك الغذائية السيئة من جديد لأنك في فرنسا وأنا لست في الجوار! استبدلي الكريمة والبيض بحليب الصويا، واللحم المقدد بالتوفو المدخن، والجبن بالتوابل. سترين، بغض النظر عما يقوله الأولاد وآبي، فهي لذيذة وخفيفة جداً.

أتمنى أن تأتي لقضاء عيد الميلاد معنا. سيحزن الأولاد كثيراً إن لم تحضري وسيكون أول رأس سنة من دونك.

اشتقت لك،

أنجيلا

ملاحظة: أرفق لك رقم هاتف طبيبة نفسية أمريكية تقطن في باريس. هي شقيقة زميل لآبي. يجدر بك الاتصال بها. أرجو ألّا تستائي من نصيحتي، فأنت تعلمين أنني أحبك.

- أليس سميث؟

الطبيبة النفسية التي نصحتني بها أنجيلا امرأة قصيرة وممتلئة، تضع قناعاً من مساحيق التجميل. تبتسم ابتسامة ودودة، ابتسامة مخصصة للأطفال ولأشخاص مثلي. ابتسامةٌ تجعلك تعتقد أنه يمكن إصلاح كومة الرماد الصغيرة المتبقية من قلبك المتفحم.

- صباح الخير.

- دكتورة لوروا، أنا مسرورة بلقائك.

صافحتني وأخذتني عبر غرفة الانتظار ذات الأرضية الخشبية المشمعة التي صُمِّم كل تفصيل فيها لإراحة الناس، من نباتات خضراء، وموسيقى هادئة، وعطرٍ برائحة الفانيليا.

- تفضلي بالجلوس.

جلستُ على الأريكة. كانت توجد على طاولة القهوة كتب عن السفر، للزينة فقط على الأرجح، إذ أشك في أن يرغب أحد في دفع تسعين يورو على جلسة مدتها خمس وأربعين دقيقة لاكتشاف عجائب الأندلس. كانت هناك علبة مناديل في الزاوية. تساءلتُ عما إذا كان الناس يستطيعون البكاء حقاً في هذا المكتب أمام شخص غريبٍ تماماً. ولا شعوريّاً، أعدت ترتيب الكتاب العلوي بشكل مستقيم

فوق الكومة وقمت بمحاذاة علبة المناديل مع حافة الطاولة. وعندما رفعت رأسي من جديد، التقت عيناي بعينيها البنيتين. ابتسمت بلطف. لقد رأتني. ما كان ينبغي لي فعل لك.

- هل يمكنني مناداتك بأليس؟

- نعم.

- لماذا جئت لرؤيتي اليوم يا أليس؟

- أيمكنني التحدث بصراحة؟

- لو سمحت.

- لقد انتقلت إلى فرنسا حديثاً. كانت لدي وصفة طبّية لعدد من الأدوية في الولايات المتحدة وأود أن أحصل على ما يعادلها بالفرنسية. لم يقبل الطبيب العام وصفها لي، ولهذا السبب أنا هنا، لكنني لست بحاجة إلى العلاج، أنا بخير.

وكدليل على حسن نيتي، قدمت لها الوصفة الأمريكية التي حرصت على إحضارها. ومن دون أن تنبس بكلمة، تصفحت قائمة الأدوية، ثم أعادت وضعها على الطاولة الزجاجية.

- لا أستطيع أن أصف لك كل هذه الأدوية إذا لم تخضعي لعلاج يا أليس.

- لقد خضعت لعلاج من قبل، وأنا بخير. لن أبدأ من جديد.

- حسناً، إذا كنت بخير حقاً، فلماذا ترغبين في أن أصف لك الليكسوميل والفاليوم؟

- أنا أعاني من الأرق، وأتعرض لنوبات هلعٍ من وقت لآخر. حالتي ليست بهذا السوء. أنا بخير.

- هذه ثالث مرة تقولين فيها إنك بخير، لاحظتْ بلطف، لكن

الجرعات المنصوص عليها في هذا الوصفة ليست جرعات لشخص بخير، يا أليس.

ابتسمتْ لي ابتسامتها المطَمْئنة مجدداً وشددتُ أصابعي على السوار في معصمي.

- اسمعي، وقتي ضيق جداً فأنا وصلت للتو إلى باريس.

- لهذا السبب بالتحديد، ولأنك في فترة تغييرات كبرى، من الضروري أن تتبعي علاجاً نفسياً. ألم تتفاقم نوبات الهلع منذ انتقلتِ إلى بيئة جديدةٍ؟

عضضت شفتي، متضايقة. هي لن تستسلم. فهمتُ ذلك من نظرتها المتفهمة لكن الصريحة، ومن الحزم الهادئ الذي تخلل رقة صوتها.

- بما أنك هنا، أقترح أن نتحدث، اتفقنا؟ ونرى بعد ذلك ماذا سنفعل؟

لم أرد عليها. لم أعد أريد التحدث إليها. لم أرغب في أن أنبش في الماضي وأنشر حزني وأسفي على الطاولة الزجاجية، بين الكتاب عن الأندلس وشجرة البونساي البائسة. لم أكن أستطيع ذلك. تعلمت كيفية التعامل مع الأمور. يكفي أن أكون منظمة. لقد أبرمت صفقة مع الكون. أنا أحترمها وهو يدعني وشأني. ما دمتُ لا أذكر الماضي، كل شيء يسير على ما يرام. ما دمتُ أبقى صامتة، لن يحدث شيء.

- لا أستطيع أن أصف لك هذه الأدوية دون أن أفهم سبب تناولك إياها يا أليس، سيكون هذا تصرفاً غير مسؤول من قِبلي.

- ...

- أنت مدركة أنك ستدفعين بدل أتعاب هذه الجلسة، سواء غادرتِ الآن أو صمتِّ طوال الأربعين دقيقة المتبقية؟

استرددت وصفتي الطبية وطويتها بعناية قبل أن أضعها في حقيبتي من جديد، ثم أخرجت محفظتي من حقيبتي وهمست:

- كانت غلطة، سأذهب الآن. بكم أدين لك؟

ترددت وحدقت بي في صمت. لم تبدُ مذهولة أو متفاجئة أو غاضبة، بل متأملة فحسب.

- لا شيء.

- لا، أنت على حق، لقد خصصتِ هذا الوقت لي. أنا مدينة لك بالمال وأنا مصرة على دفعه.

- وأنا مصرة على مساعدة الناس الذين يأتون لرؤيتي.

نهضتُ على عجل من أمري، مدركة أنه من الممكن أن أستسلم وأن أحكي قصة حياتي لهذه الغريبة، لمجرد أنها تبدو لطيفة. رافقتني إلى الباب ومدت لي يدها بابتسامة ودية.

- عندما تكونين مستعدة، وإذا شعرت بالحاجة إلى التكلّم، اتصلي بي من جديد.

يوميات أليس

لندن، 29 سبتمبر 2011

أشعر أنني محبطة. محبطة جداً. سأتوقف في هذه اليوميات عن كتابة أنني لم أحمل. سننطلق من مبدأ أنه بما أنني لم أعلن لك عن خبر حملي، فذلك يعني أنني لست بحاملٍ. اتفقنا يا بروس؟

ذهب أوليفر في سفر مهني. قبل يومين، أرسلت ثلاث سير ذاتية. لم أعد أطيق المكوث مكاني طوال اليوم. أعاد مصرفٌ الاتصال بي هذا الصباح، وبدوا متحمسين. سأذهب غداً لإجراء المقابلة. لم أخبر أوليفر بعد. لا أعرف السبب. أصبح هذا الطفل غير الموجود يشغل بغيابه مساحة كبيرة جداً لدرجة أننا لم نعد نتحدث. حالياً، أشعر أنني أقرب إليك منه يا بروس ويليس. لا أعلم ما إذا كنتَ تدرك سخافة الموقف. أعتقد أنني أشعر بالذنب. الجميع يستطيع إنجاب الأطفال، ومن دون قصد أحياناً، فلماذا لا أستطيع؟

جلستي مع الطبيبة النفسية هذا الصباح:

- هذه المرة الأولى التي تتحدثين فيها عن أختك. لماذا؟

هززت كتفَي.

- لم يبدُ لي أن ثمة علاقة بين سكارليت والمشكلة التي نحاول حلها، أي عدم قدرتي على الحمل... هل تعتقدين أن الأمر مهم؟

- لا أدري، لكن إذا شعرتِ بالحاجة إلى الكتابة عنها، فاكتبي عنها.

أنا لا أعلم ما إذا كنتُ «أشعر بالحاجة» إلى الكتابة عن سكارليت. في الواقع، سكارليت جزءٌ لا يتجزأ من حياتي وطفولتي. فأن أكتب عن نفسي دون أن أتحدث عنها يبدو لي أمراً عبثياً. من جهة أخرى، إنه ليس من السهل شرح مَن هي سكارليت وما يربطني بها من خلال الأحرف الأبجدية الستة وعشرين فقط.

أختي الصغيرة تنتمي إلى أولئك الناس الذين يقال عنهم «إنها شخصية»، أشخاص لا إجماع عليهم، نحبّهم أو نكرههم، فهم قادرون على تأجيج النقاشات أكثر من الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة الأمريكية أو الموسم القادم من مسلسل صراع العروش.

من أين نبدأ؟

لطالما سمعت الآباء يصفون طفلهم غير المتوقع بأنه «حادث».

هناك تعريفان للحوادث في القاموس:

1. ما هو غير ضروري. حدث جانبي.
2. حدث غير متوقع ومفاجئ يسبب أضراراً ويعرض للخطر.

المرادفات: حادثة، سوء حظ، مصيبة، شؤم، خلل، تقلب، كارثة، بلاء.

كانت سكارليت، بالنسبة إلى أمي، حادثاً.

«حادث»، أي ما يحدث عندما يُقتل شخص ما في سيارة على الطريق الجليدية الرابطة بين وسط كوينزتاون والوول مارت.

أشعر بعطف خاص تجاه هؤلاء الأطفال «الحوادث»، فحيثما ألتقي بهم، يذكّرونني بأختي. وكلما سمعت أباً أو أماً يلفظون هذه الكلمة وهم يتكلمون عن طفلهم، تولدت لديّ رغبة جامحةٌ في ضم الصغير في حضني والهمس في أذنه ألّا ينصت لهراء البالغين، وأن لا أحد، أياً كان، هو مجرد حادث، كما كنت أفعل مع سكارليت وهي صغيرة، عندما كانت تسألني ما إذا كنت متأكدة من أنها ليست طفلة متبنّاة.

أعتقد أن أمي قررت، دون وعي منها، وقبل حتى أن يولد هذا الطفل غير المتوقع، أنه سيكون عنصراً مثيراً للمتاعب والمشاكل. وربما لم يكن لدى سكارليت من خيار سوى القيام بهذا الدور والامتثال لهذا اللقب منذ الموجة فوق الصوتية الأولى. وبالمثل، ربما عملت أنا بدوري على احترام دور الفتاة المثالية المنتظَرة، الممنوح لي.

قبل أن يهجرنا أبي، كان والداي يقيمان أحياناً حفلات عشاء في المنزل. كان يُسمح لي ولسكارليت بالسهر حتى نهاية المقبلات شرط أن نمرر الصحون المليئة بفطائر السجق التي أعدّتها أمي أو المقرمشات التي وضع عليها أبي قطعاً صغيرة من جبن برتقالي (أمي، بصفتها فرنسية حقيقية، تكره كل الأجبان غير الفرنسية، لكن أبي كان يحب جبن الشيدر). تعود إليّ الآن صورة سكارليت في لباس نومها المنقط وشعرها لا يزال مبللاً من الاستحمام. في كلِّ مِن تلك الأمسيات، كانت أمي تذكر القصيدة عن طائر النورس العالق في زيت الوقود التي أكسبتني مديح مديرة المدرسة، والقطة التي أنقذتها من الغرق... كانت تروي قصصاً عني وعني وحدي، الواحدة تلو الأخرى، بنظرة حالمة، وتنسى من كثرة مواهبي أن

تشرب من كأسها الدافئ. أما سكارليت، فكانت مفتتنة بخطاب أمي عن إنجازاتي، وبين يديها الصغيرتين صحن مليء بحلويات البيتي فور. أعتقد أنها في طفولتها كانت فخورةً بأن شخصيةً رائعةً مثل شخصيتي كانت جزءاً من عائلتها. كانت تبرز تلك الابتسامة العريضة والمشرقة، المتلألئة من الفرح والصدق، والتي كانت الأثر الوحيد لإرث والدي الجيني، لأن في كل ما تبقى، كنا كلتانا صورة طبق الأصل عن أمي.

أحياناً، عندما كانت سكارليت تمر بجوار أبي حاملة طبقاً في يدها، كان يبدو وكأنه يتذكر وجودها فجأةً، فيربّت على رأسها باحثاً عن شيء ليقوله، ثم يتمتم بصوت غير مسموع مقاطعاً مونولوغ أمي، قبل أن يبتلع مقرمشاته:

- أما سكارليت، فهي بارعة في الرياضيات.

ولفترة قصيرة نسيها الجميع بالنظر إلى ما حدث بعد ذلك، قبلتْ سكارليت بدور الشخصية الثانوية في بنية عائلتنا. كنت الكبرى، فكانت تلحق بي في كل مكان، وتقلّد كل حركاتي بعينَين مبهورتين بمَثِلها الأعلى. وكنت أحاول أحياناً أن أُبعدها عني ناعتة إياها بالمتطفلة، لكن لأكون صريحة، كان وضع الألوهية هذا ممتعاً بالنسبة إليّ، بل اسغللته قليلاً: طلبتُ منها أن تعطيني اللعبة الوحيدة التي كانت من نصيبها في عيد الميلاد، وأن تحضر لي البسكويت من المطبخ لأنني لم أرغب في النهوض من سريري، وأن تنهي واجبي المنزلي تحت إملائي، وأن تكذب على أمي بخصوص أمر ما.

وبعد أن قرأتُ في رواية فرنسية عن القراصنة عبارة «إطلاق الصفارة» وطلبتُ من أمي أن تشرحها لي، قررتُ أنّ على سكارليت أن تطلق صفارتي قبل أن أتناول أياً من وجباتي، فنفّذتْ أوامري

بابتسامتها المعتادة، ونفثت بجلال من بوقٍ خياليٍّ النوتات الأولى لشعار استوديوهات يونيفرسال، للإعلان عن دخولي. وكانت أمي تطلب منها بجفاء أن تتوقف عن الحماقات وأن تذهب لتغسل يديها، فيما كنتُ أدخل مطبخنا الصغير مثل بيونسيه على خشبة مسرح ماديسون سكوير غاردن. أعترف أنني مررت بفترة قصيرة من مرض جنون العظمة والدكتاتورية، يا بروس، لكن لم يدم ذلك.

تغيّر الوضع حين كنت في سن الثامنة تقريباً. بدايةً، كانت هناك تلك الملاحظة التي وردت من سكارليت والتي أربكتني. رفعت رأسها نحوي وهي جالسة على سريرها وشعرها الكستنائي يؤطر وجهها الصغير الشاحب، وقالت لي بحزن: وأنا؟ لماذا لا يطلق أحد صفارتي؟

- لأنك لست الأكبر، أجبتها وكأنه أمر بديهي.

بعد ذلك بقليل، خطرت لوالدي فكرة جهنمية تتمثل ببيع ورشته دون علم والدتي والهرب بكل أموالنا مع سائقة الحافلة المدرسية الصفراء التي تقلّنا إلى المدرسة كل صباح. لقد ترك رسالةً فوق طاولة المطبخ، موضحاً لأمي أن هذه الحياة التقليدية والبرجوازية والخانقة لا تناسبه، وأنه لطالما كان لديه شعور أنه وُلد لتحقيق أشياء عظيمة وأنه لن يسمح لنفسه بأن يخطئ في اختيار مسار حياته. ومن شدة كَرَمه (كان دائماً يصوت للديموقراطيين)، ترك لها المنزل (الذي كانا لا يزالان مطالبَين بدفع أقساطه لمدة خمس عشرة سنة) والطفلتَين.

وجدنا أنا وسكارليت الرسالة قبل أمي وقرأناها. كلمتني عنها أختي بعد عدة سنوات، وكانت تذكر كل كلمة فيها عن ظهر قلب. أما أنا فأذكر ردة فعلها فقط:

- كنت أفضّل أن يظل بابا وترحل ماما مع سائقة الحافلة.

لم تتحدث أمي عن أبي بعد ذلك، ولم نسمع عنه أي أخبار منذ ذلك الحين. لم نتمكن من الذهاب إلى المدرسة لمدة أسبوع (وجب تعويض سائقة الحافلة)، ما مثّل بالنسبة إليّ جانباً إيجابياً لا يستهان به في هذا الموقف، ودلّ على أنني كنت أكثر قدرة من اليوم على رؤية النصف الممتلئ من الكوب.

أعتقد أنني أدركت أن رحيل أبي من شأنه أن يؤثر على سكارليت أكثر مني. فأنا، كانت لديّ أمٌّ تُغرقني بالعناق والقبلات والمديح طوال النهار. أما سكارليت، فلم يكن لديها سوى يد أبي التي تربّت على رأسها عندما يعود إلى البيت في المساء. كان ذلك جرعة صغيرة جداً من الحنان لفتاة صغيرة مثلها، لكن بعد رحيله، لم تحظَ بشيء على الإطلاق.

في الأسابيع التي تلت، وعند سماعي نحيب سكارليت الذي كانت تكتمه في وسادتها، كنت أستلقي بجوارها وأداعب شعرها في الظلام حتى تغفوَ.

وذات مساء، ونحن نأكل طبقاً من السباغيتي بولونيز في المطبخ، صرخت أمي على الهاتف وهي تتحدث إلى إحدى صديقاتها:

- أنت مجنونة، كان ينبغي أن تنتظري أربع سنوات على الأقل بين الطفلين! إن الأمر معقد من الناحية المادية، وصعب جداً، وقد يقضي على حياتك الزوجية. انظري إليّ، سكارليت لم يكن مخططاً لها، وكانت النتيجة أنّ مات هجرني.

تجمدت سكارليت في مكانها، والتصقت السباغيتي التي كانت تمتصها على ذقنها. كانت وجنتاها الممتلئتان ملطختين بصلصة

الطماطم أو ربما احمرّتا خجلاً. امتلأت عيناها البنيتان الكبيرتان ذاتا الرموش الطويلة بالدهشة. ثم، ودون أن تنبس بكلمة، رفعت صحنها وصعدت إلى غرفتنا، وعادت أمي بعدها إلى الطاولة وبالكاد لاحظت غيابها.

في ذلك المساء، لم تبكِ سكارليت في وسادتها. ولكن بعد فترة طويلة من إطفاء الأضواء، لم تكن قد نامت بعد (عندما تنام مع نفس الشخص لمدة ثماني سنوات، تدرك كيفية تنفسه). توجهت إلى سريرها وانزلقت فيه، وطوّقتا بذراعَي واحتضنتها بشدة، ثم همست في أذنها:

- إذا كنت ترغبين في ذلك، يمكننا أن نطلق صفارتك غداً.

وأعتقد أن الأدوار انقلبت منذ ذلك اليوم. أدركتُ أنّني أنا مَن سيعتني بها من الآن فصاعداً، لأنه لم يبق لها أحد سواي في العالم.

لقد بدأتُ العمل في إيفردريم منذ ثلاثة أسابيع. وضعتُ روتيناً منظَّماً ومنتظماً يريحني. وكما تنبأ جيرمي ميلر، كانت وظيفتي إدارية بحتة. كلفني كريستوف بمهام بسيطةٍ، مثل تدبير تأمينٍ صحيٍّ للموظفين، الاشتراك في خدمة الهاتف، أو شراء مستلزمات المكتب، كما كنت أدير جدول أعماله ومواعيده، وأضبط حسابات الشركة، وأرد على الهاتف وأدفع الفواتير. كنت مشغولة بما يكفي كي لا أفكّر، وناسبني ذلك تماماً.

احتفظت بمهدئاتي لحالات الطوارئ، بحيث أتناول حبة منوم واحدة مرة كل ثلاثة أيام، وأنام ساعة أو ساعتين في اليومين المتبقيين. وما زلت صامدة، رغم التعب. ومقابل مبلغ باهظٍ، تمكنت من الحصول على إمداد صغير أرسله لي طبيبي العام في نيويورك. ففي انتظار إيجاد حل في باريس، أدّخر أقراص الدواء كسنجاب بخيل يستعد لفصل الشتاء.

أصل عادةً إلى العمل عند الساعة التاسعة صباحاً. أنا دائماً أول مَن يصل. احتفظت بزيّي الرسمي الذي يذكّرني بسنواتي في قطاع التمويل: بذلة، بلوزة، ذيل حصان. وعند الساعة الواحدة ظهراً، أخرج لشراء شطيرة أتناولها أمام شاشتي. كل يوم، يدعوني

كريستوف لتناول الغداء معه ومع فيكتوار ورضا، وجيرمي أحياناً، الذي لا يبدو اجتماعياً أكثر مني. وكل مرة، أرفض الدعوة بأدبٍ.

في أيام السبت، أذهب إلى المغسلة، وأقوم بتنظيف شقتي وأتسوق، وأتصل بأنجيلا عبر سكايب، وأرتب أغراضي وأعتني بديفيد. وأيام الأحد، أتعلم المحاسبة الفرنسية من خلال أربعة كتب نصحني بها بائع مكتبة جيبير جوزيف في سان ميشيل.

لكنني فشلت فشلاً ذريعاً في التنصل من أمسية إدماج الإيفردريميين، رغم أنني ذكرت سلسلة من الحجج الوهمية، منها موعد طبي، وعيد ميلاد، وحفلة انتقال إلى منزل جديد، وقام كريستوف بتغيير التاريخ في كل مرة دون أن تُظهر عيناه الضاحكتان خلف نظارته الأنيقة أدنى انزعاج من أكاذيبي الواضحة، واستسلمت في الأخير، محرجةً من تأجيل الأمسية بسببي في كل مرة.

وأنا منغمسة في قراءة العقود التأسيسية للشركة، غادر كريستوف مكتبه مرتدياً سروال جينز وسترة صفراء فاقعة مكتوب عليها بأحرف سوداء «بدلاً من أن تحلم بحياتك، عش أحلامك».

– هيا بنا إلى الأمسية أيها الإيفردريميون! صاح بحماسٍ في الفضاء المفتوح.

– سأنضم إليكم ما إن أنتهي من قراءة النظام الأساسي، رددت.

– حسناً، لا تتأخري، سنحتسي مشروباً في الطابق السفلي بينما ننتظرك.

– هل نطلب لك شيئاً، يا أليس؟ سأل رضا وهو يعيد ضبط قبعة اليانكيز التي لا يزيلها عن رأسه أبداً.

– لا، شكراً لك، هذا لطف منك، سأطلب عند قدومي.

ابتعدوا فتلاشى صدى محادثتهم المرحة شيئاً فشيئاً في المبنى الزجاجي.

عدت إلى قراءتي. الهيكل المالي للشركة لم يكن كما تخيلته، إذ يمتلك جيرمي معظم حصص إيفردريم وكريستوف تسعة عشر في المائة منها فقط. علمتُ من بعض الأبحاث على الإنترنت أن جيرمي ميلر، وهو خبير برمجة سابق لدى غوغل، قرر أن يعمل لحسابه وقام بتأسيس مشاريع واستثمر في العديد من الشركات الناشئة التي حققت نجاحات في السنوات الأخيرة. وأفاد مقال على موقع تيك كرانش بأنه حقق ثروة صغيرة من خلال إنشاء تطبيق يهدف إلى مساعدة الأطفال المصابين بالتوحد على التواصل. ولم أفهم لماذا دخل جيرمي، المبرمج اللامع، في شراكة مع كريستوف الفاشل في عالم الويب، ولماذا تورط في إيفردريم، وهو مشروع بدا لي ربحه مستبعداً. وعلاوة على ذلك، من دون إيرادات كبيرة أو جمع تمويلات جديدة، فإن سيولة الشركة لن تسمح لنا بالاستمرار أكثر من ستة أو سبعة أشهر. لقد ذكرت هذه المسألة أمام كريستوف، فردّ قائلاً إنه بحلول ذلك الوقت، سنكون جميعاً من أصحاب الملايين، وبالتالي لم يكن هناك شيء يدعو للقلق...

كنت قلقة من فكرة أنه يمكن للأمسية أن تطول حتى وقت متأخر من الليل، ومن المفاجأة التي وعد بها كريستوف، ومن جميع الأمور غير المتوقعة المحتملة، فأنا لا أعرف كيف أتعامل مع ما هو غير متوقع، ناهيك عن المفاجآت.

أطفأت جهاز الحاسوب وتأملت الفضاء المفتوح الهادئ. استطاع كل منا أن يخلق في زاوية طاولته ركناً خاصاً به. ففيكتوار وضعت صورة لصديقها بين مرطب اليدين وشاحن هاتفها ومؤونة من

بسكويت تويكس. أما رضا فلديه كوب مكتوب عليه «أنا أحب نيويورك» ومجموعة متنوعة من شاي كوسمي تي[1] ودفتر مولسكين[2] مزين بملصق أحمر يحمل علامة «الكونفدرالية العامة للشغل». ورغم أنهما غادرا المكان، إلا أنهما تركا أثراً عن وجودهما. شعرت بوخز في قلبي لفكرة أنني كنت هذا النوع من الأشخاص في يوم من الأيام، مع هدف حقيقي، وحياة حقيقية، فتاة غير منظَّمة، متأخرة وشغوفة ومبدعة، قادرة على نسيان موعد.

عدت إلى التفكير في رسالة أنجيلا. كم مرة نصحتني بأن أزور طبيباً نفسياً؟ أردت أن أشرح لها أنني لست بحاجة إلى طبيب نفسي، بل بحاجة إلى كاهن أو حتى إله ليغفر لي. لكن حتى لأنجيلا، لم أستطع أن أروي لها سوى جزء صغير من الحقيقة. وانتهى بها المطاف إلى أن تأخذ موعداً بنفسها عند طبيب نفسي لفهم سبب نوبات الهلع التي أتعرض لها ووضع اسم لاضطراباتي العصبية. فدفعت بدل أتعاب ثلاث جلسات وذهبت إليها، هي الفتاة الأكثر اتزاناً التي قابلتها على الإطلاق، فقط لمعرفة كيف يمكنها مساعدتي. وهي التي شرحت لي أنني أنشأتُ طقوساً أقوم بها عندما أكون متوترة، وأنه ينبغي أن أتعلم أن أعيش تدريجيّاً من دون هذه الطقوس، كما نصحتني باختيار غرض عزيز عليّ، يذكّرني بذكريات جميلة وأن أستخدمه لأهدئ نفسي عندما أشعر أنني سأتعرض لنوبة. فاخترت سواري. وبفضل أنجيلا، كانت حالتي قد تحسنت وأنا في

---

(1) Kusmi Tea هي شركة وعلامة تجارية للشاي، مقرها في باريس بفرنسا - المترجمة.

(2) Moleskine هي شركة مصنعة مقرها في ميلانو بإيطاليا، تقوم بإنتاج وتصميم الدفاتر إضافة إلى أشياء أخرى - المترجمة.

نيويورك، قبل أن يطفو الماضي من جديد، وأجد نفسي مجبرةً على الفرار إلى الطرف الآخر من العالم. ولطالما رحّبت بي أنجيلا بحفاوة، واستطاعت أن تعطيني ما كنت قد خسرته: الشعور بأنني جزءٌ من عائلة.

- يجب أن أغلق المكتب، هل انتهيتِ؟

انتفضتُ هلعاً، وإذ بجيرمي ميلر يقف أمامي حاملاً مفاتيح المكتب في يده. لم أنتبه أنه لم يغادر مع الآخرين. نحن لم نتكلم منذ يوم المقابلة. اتجه نحو المخرج ولحقت به وأنا أزرِّر معطفي، وتمتمتُ محرجةً وهو يقفل الباب:

أود أن أقول لك. . . آسفة لما صدر عني من فظاظة يوم المقابلة. كانت لدي مشاكل شخصية، وكنت متوترة. . . أنا أدرك أن كريستوف وظفني دون موافقتك، ولكن بما أننا نعمل في نفس المكتب، فرغبت في أن أعتذر لك.

- حسناً.

وضع المفاتيح في جيبه وتوجه نحو المصعد. تبعته حائرةً.

- «حسناً» بمعنى لا ضغينة بيننا؟

- «حسناً» بمعنى أنني لا أستاء من الناس الذين يعبّرون عما يدور في أذهانهم، حتى وإن كانوا مخطئين.

فهمتُ حينها كيف يستطيع العمل مع فيكتوار التي لا يخضع كلامها للرقابة. سألته بفضول:

- أنت إذاً لا تكذب أبداً؟

ضغط على زر المصعد وهز كتفَيه.

- أنا لا أغش، أنا أؤمن بكل كلمة أقولها.

انزلقتْ نظرتُه الواضحة والجامدة على وجهي فانتابني شعور بأنه يعلم أنني، على عكسه، أغش وأكذب.

التزمنا الصمت حتى وصلنا إلى الحانة التي تقع قبالة ذا سبيس مباشرةً. كان الجو رطباً، وكان الناس يتناولون المقبلات على الشرفة جالسين إلى طاولات صغيرة مستديرة أُعِدَّت أسفل مدافئ خارجية. كان الفريق ينتظرنا في الداخل حول طبق من اللحوم الباردة والأجبان وزجاجة من النبيذ موضوعة فوق غطاء طاولة ذي مربعات حمراء وبيضاء. أجواء فرنسية بامتياز. التقطتُ صورة ووضعت فيلتراً بشكل عشوائي ونشرتها على إنستغرام، لتستنتج أنجيلا على الضفة الأخرى من المحيط الأطلسي أنني بخير وأنني مندمجة، فلن تعتقد أنني بحاجة إلى زيارة طبيب نفسي.

- اجلسي يا أليس، قال كريستوف ساحباً مقعداً.

استغرقتُ في الاستماع، فالأغنية المشغلة كانت مألوفة لديّ، كنت أعرف كلماتها عن ظهر قلب عندما كنت مراهقةً، لكنني لم أستطع أن أتذكر اسم الفرقة.

- أليس؟

أوقفتُ أفكاري مدركة أن فيكتوار تمد لي كأساً من النبيذ. وأنا أرجع إلى الوراء، اصطدمتْ يدي بالكأس فاندلق النبيذ فوق طبق الأجبان.

- أنا آسفة... أنا لا أشرب الكحول أبداً، أنا...

بدا رد فعلي مبالغاً فيه فوجّه إليّ زملائي نظرات فضولية.

- أبداً؟ استفسرت فيكتوار متفاجئة.

هزرتُ رأسي بصمت. بادر رضا وجيرمي إلى مسح النبيذ بمناشف ورقية. رغبت في مساعدتهما، لكن لم يكن بوسعي فعل

ذلك: تشبثت أصابعي تحت الطاولة بالسلسلة الرقيقة حول معصمي، كما لو أنها طوق نجاة.

- ولا أنا، أردف رضا بلطف. هل ترغبين في زجاجة بيرييه، يا أليس؟

- نعم، حسناً، بيرييه.

نهض رضا وغيرتِ المحادثة منحاها. أنصتُّ بذهن مشتت. وضعت شريحة من جبنة كونتي فوق قطعة خبز وقضمتها. كانت لذيذة، فاسترخيت قليلاً. على الساعة 00:9 مساءً، وقف كريستوف.

- سأدفع، فقد حان وقت المفاجأة!

- أعتقد أنني سأغادر، قلت له عند عودته إلى الطاولة، أنا متعبة و...

- لن تغادري السفينة يا أليس، فالمغادرة ستعني استسلاماً للرداءة! ونحن بحاجة إليك للدفاع عن شرف إيفردريم.

تبنى نبرة طنانة إلَّا أن عينيه لمعتا كعينَي طفل يوم عيد الميلاد. وبعد خمس عشرة دقيقة، وجدنا أنفسنا في قاعة صغيرة مظلمة في طابق سفلي وعلى أهبة الاستعداد لمواجهة أسوأ اختراع للبشرية بعد القنبلة الذرية: الكاريوكي.

- يا لها من فكرةٍ مقرفةٍ، قالت فيكتوار بصراحة.

- فيكتوار، بدلاً من الشكوى، اذهبي وأحضري بعض المشروبات، صاح كريستوف وهو يصعد على المقعد. أنا أنذركم، لديّ حمى ليلة السبت[1]، سنستمتع بالحفل! جيرمي، فلنبدأ أنا وأنت!

---

(1) **Saturday Night Fever** هو فيلم تم تصويره عام 1977 من بطولة جون ترافولتا وكارين غورني - المترجمة.

- في أحلامك، تمتم جيرمي.

فانتزع رضا، الذي كان يتذمر ولكن بحدّة أقلّ من جيرمي وفيكتوار، القائمة من يد كريستوف.

- حسناً، سأضحّي بنفسي!

لم يبدُ أن تلك التضحية كلّفته الكثير، فشرع في الأغنية الأولى بأعلى صوت ممكن وقبّعته مقلوبة إلى الخلف. كنت في حالة من الذعر، لا أعرف أين أختبئ. كان من المستحيل أن أغني.

كان جيرمي ينقر على هاتفه فيما كان كريستوف ورضا يصدحان بأغنية **بيبي وان مور تايم**[1] لبريتني سبيرز بلكنة فرنسية جعلت الكلمات غير مفهومة على الإطلاق.

- أليس، سيأتي دورك من بعدنا! صرخ كريستوف الذي بدت حركاته أشبه برقصةِ إغواءٍ لدجاجة مصابة بالصرع تحت تأثير المنشطات.

- غنائي شنيع، أنا لا أستطيع...

ضاعت كلماتي وسط النشاز السائد، إذ لم يكن أحد يكترث. حسناً فعلوا. إلا أن فيكتوار، التي بدا ازدراؤها للكاريوكي قد اختفى فجأة منذ عودتها مع المشروبات، وضعت أغنية جديدة وحشرت الميكروفون في يدي.

- **وندروول**[2] لأويسس[3]! لا تقولي لي إنك لا تعرفينها!

---

(1) **Baby One More Time** أي حبيبي مرة أخرى هي أول أغنية منفردة أصدرتها المغنية الأمريكية بريتني سبيرز - المترجمة.

(2) **Wonderwall** هي أغنية للفرقة البريطانية أويسس، صدرت في ألبومهم لعام 1995 **(واتس ذا ستوري) مورنينغ غلوري؟** - المترجمة.

(3) Oasis هي فرقة موسيقية من مانشستر بإنجلترا - المترجمة.

ارتعشت يدي حول الميكروفون الساخن والرطب جراء عرق المطربَين السابقَين. عزفَت الغيتارة النغمات الأولى المألوفة على نحوٍ مخيف. شعرت بالدوار كما لو أنني أسقط على ظهري في بركة ماء. كان أي شيء أرحم من هذه الأغنية. ألقى العالم كله بثقله على صدري، وتهاوى الميكروفون من يدي.

- لا أشعر أني بخير.

اغتنمت القليل من الوعي المتبقي لي لأندفع خارج القاعة، وصعدت الدرج حابسةً نفسي وهرعت للوصول إلى الباب المؤدي إلى الخارج، لأنصدم بصفعة من الهواء البارد.

- هل أنت على ما يرام، يا آنسة؟ سألني أحد المارة.

جلست القرفصاء على الأرض دون أن أجيبه. فاض وجهي بدموع لم أشعر حتى بسيلانها وارتجفت كل أطرافي، كما أنّ لمس السوار لم يجدِ نفعاً هذه المرة، ولم يحقق الراحة المنشودة. لم يعد بإمكاني عدّ أنفاسي.

- أليس! ما الخطب، يا أليس؟

عَبَرَ صوتُ كريستوف المياه التي كنت أغرق فيها، فوصلني بعيداً ومختنقاً.

- أنا أموت، أنا. . . أنا لا أقوى على التنفس.

كنت أعرف كيف ستسير الأمور: لن يصدقني، سيقول إنني أتهيَّأ، وإنني لن أموت، وسيطلب مني أن أنهض، والشعور بأنه أُسيء فهمي سيزيد الوضع سوءاً. كان الهواء ثقيلاً، بحيث لم يعد يدخل رئتَي، وشعرت بألمٍ في صدري من كثرة تشنجه. طفتْ بقعٌ سوداء أمام نظري التائه، وكانت آخر فكرة جالت في ذهني أنني سأموت على هذا الرصيف المجهول، وحدي، على بعد 3623 ميلاً من منزلي.

بقيتُ في حالة من شبه الوعي إلى أن وُضِع قناع أكسجين على فمي. كان ثقل كيس الإسمنت لا يزال يسحق صدري، ولكن بفضل معجزة ما، وصل بعض الهواء إلى رئتَي. كنت في سيارة إسعاف، حيث كان كريستوف جالساً في مؤخرة العربة، شاحباً في قميصه الأصفر الفلوري.

لا أتذكر إلا شذرات مما تلى، إما لأنني كنت في حالة صدمة أو لأنهم أعطوني المسكنات. لا أذكر. رأيت طبيباً نفسياً في المستشفى، وهو أمر لا مفر منه، وخضعت لاستجواب دقيق. هل كانت تنتابني نوبات هلع بشكل منتظم؟ منذ متى؟ بأي وتيرة وما شدتها؟ هل كنت أتناول الأدوية؟ هل راودتني فكرة الخضوع لعلاج؟

تمكنت من تقديم إجابات صحيحة نوعاً ما، محبوكة وواقعية بما يكفي لأحصل على وصفة طبيةٍ. احتفظتُ بها في محفظتي بعناية تفوق العناية التي أخصصها لورقة خمسمائة يورو، وألقيت برقم الطبيب النفسي الذي وعدت بأن أتصل به في أول سلة مهملات. سمحوا لي بالخروج عند الساعة 7:00 صباحاً. وفي ردهة المستشفى الرمادية، حيث عبرت الوزرات البيضاء والخضراء بخطواتٍ مسرعةٍ، جلس كريستوف، بعينين تائهتين محاطتين بهالات

سوداء وشعرٍ أشعث أكثر من المعتاد، تدل على ارتباكه. نهض فجأة عند رؤيتي.

- أليس! هل أنت بخير؟

كنت متأثرة ومحرجة في آن واحد من أنه قضى الليل في انتظاري.

- نعم، نعم، ما كان ينبغي لك أن تبقى. لقد كانت نوبة هلعٍ صغيرةٌ... نادراً ما تحدث لي.

- آه... حسناً...

بدا وكأنه لا يعرف ماذا يفترض به أن يقول. مرّر يداً متوترة في شعره فنفشه أكثر.

- هل لديك أحد... أحد يمكنه اصطحابك إلى المنزل؟

- سآخذ سيارة أجرة، سأكون بخير.

- ...

- أنا آسفة على هذه التعقيدات، قلت له، سأكون في المكتب عند الساعة 9:00.

تردد، وبدا وكأنه يحاول إيجاد الكلمات المناسبة، فجفّ حلقي من القلق. كنت في فترة تجريبية، فكان يحق له أن يطلب مني ألا أعود. فمَن يرغب في العمل مع شخص فقد صوابه لمجرد سماعه أغنية لأويسس؟

- إنه يوم الجمعة، أجاب، ويجب أن تأخذي قسطاً من الراحة، فلا داعي أن تأتي إلى العمل. سأوصلك إلى المنزل.

- أوه، لا، حقاً، لا يستحق الأمر كل هذا العناء، أنا...

- إنه أمر، يا أليس! قال مقاطعاً كلامي.

يوم الاثنين، كنت كالعادة أول مَن وصل إلى العمل. كان ذلك إجراءً احترازياً عديم الفائدة، لأن فكرة تعرّضي لنوبة هلعٍ أمام كل زملائي كانت كفيلة بألا أقوم بشيء. فالمرة الوحيدة التي تعرضت فيها لنوبة في سياقٍ مهني، فقدت بسببها وظيفتي. فما عدا صداقتي مع أنجيلا التي كانت رفيقتي في المكتب آنذاك، لطالما فصلت تماماً بين حياتي الشخصية والمهنية.

وصل جيرمي وكريستوف ورضا الواحد تلو الآخر، وألقى كل منهم بعبارة «مرحباً، كيف حالك؟» مثل كل صباح. إلا أن التوقف القصير والنظرة المركزة اللذين تليا ذلك أوحيا بأن السؤال لم يكن سؤالاً بلاغيّاً محضاً هذه المرة، فأجبت بأنني بخير، كما لو أن شيئاً لم يحدث. أما فيكتوار، بطبيعة الحال، فكانت أكثر تطفلاً.

- كيف الحال يا أليس؟ سألت وهي تطوي السكوتر الصغير الخاص بها. متى غادرت المستشفى؟

- يوم الجمعة.

- لطالما تعرضت صديقةٌ لي لنوبات هلعٍ كهذه، إنها عنيفة. هل تريدين رقم هاتف طبيبها النفسي؟ لقد ساعدها كثيراً وعلاوة على ذلك، إنه وسيم، يشبه جون سنو في **صراع العروش**.

وبينما كنت أفكر كيف يمكن لي أن أشرح لفيكتوار أنني لا أرغب في إخبار مشاكلي لشبيه جون سنو في **صراع العروش**، خرج جيرمي من مكتبه وقال لها:

- فيكتوار، أنت لم تتبعي تعليماتي بخصوص وحدة تحميل الصور.

للحظة وجيزةٍ، تساءلت عما إذا كان قد أنهى هذه المحادثة المحرجة عن قصد. أجابت فيكتوار بلامبالاةٍ:

- نعم، أردت أن أجرّب الأمر على طريقتي، لكنها لم تجدِ نفعاً، كان عليّ أن أصغي إليك.

- فعلاً، قال وهو يتنهد، تعالي، سأريك كيف تفعلين ذلك.

نهضتْ وحاسوبها تحت إبطها واختفت في مكتب جيرمي ذي الجدران الزجاجية، ما بعث على ارتياحي.

- سأقترح على كريس إعداد استمارة تتضمن جهات الاتصال في حالة الطوارئ، قال رضا بجدية شديدة. لقد وافق على أن أكون ممثلاً للموظفين بما أنني كنت المرشح الوحيد، وسأحرص الآن على أن يشعر الجميع بالأمان.

ثم مال نحوي وواصل وكأنه يبوح لي بسر:

- وإذا كانت لديكِ مشاكل متعلقة بالعمل، كالإنهاك أو التحرش الأخلاقي، فلا تترددي في إخباري. سأطرحها على الإدارة، فقد طلبت موعداً لمناقشة هذا الموضوع.

شكرته ودعاني كالعادة لتناول الغداء معهم، فرفضت بلباقة. ذهبت لشراء سندويتش أكلته في مكتبي وأنا أكتب رسالةً إلكترونيةً لأنجيلا، وحرصت ألا أخبرها عن ليلتي في المستشفى.

وبعد ذلك بقليل، وبناءً على نصيحة رضا، طلب مني كريس تجميع ملف بأرقام هواتف الأشخاص الذين ينبغي الاتصال بهم في حالة الطورئ، لكل عضوٍ في الفريق.

- رضا على حق، قال، إنها مبادرة رائعة.

ودون أن أقول شيئاً، أرسلت بريداً إلكترونيّاً للجميع للحصول على رقم الطوارئ الخاص بهم. قمت بإنشاء جدولٍ بأسمائنا في العمود الأول، والسرعة التي ردّوا عليّ بها جميعاً فطرت قلبي، فنحن لا ندرك قيمة أن نعرف دون شك أو تردد من هو الشخص

الذي ينبغي الاتصال به في حالة الطوارئ. حدقت في الخط الفارغ أمام اسمي. إنه يسخر مني. أدركت أنه من العبث كتابة اسم أنجيلا، فهي على بعد آلاف الأميال من باريس. لكن من تبقّى لي في حياتي الآن؟

أمر مثيرٌ للشفقة.

في السابق، كنت محاطةً. كان هاتفي يرن، وكنت أخرج في الليل وأذهب لتناول وجبات البرانش[1] في عطلة نهاية الأسبوع. وعندما كنت أنسى مفاتيحي، كان لدي أحد لأقضي الليلة عنده. كان هذا أمراً مسلَّماً به. لم يحذرني أحدٌ من أنني قد أفقد أحبائي ذات يوم. أغلقت الجدول وقررت تأجيل المشكلة، ثم أخرجت بضع قطع نقدية من حقيبتي واتجهت إلى آلة القهوة، حيث قابلت رضا متأملاً قائمة المشروبات.

- لقد أصبت بنزلة برد بعد الكاريوكي، أوضح لي وهو يضغط على زر «كابوتشينو». أفكر في أخذ إجازة مَرَضية يوم الجمعة.

كان يرتدي سترة ذات ياقة عالية داكنة اللون، تبرز سواد عينيه. أشرت إلى قبعة اليانكيز التي لا تفارقه بتاتاً وسألته:

- هل أنت من محبّي البيسبول؟

أردت أن أتحدث عن أمور مرحة ولطالما أثارت فيّ قبعتُه حنيناً للولايات المتحدة.

حدق بي دون أن يفهم.

- لا... أنا أفضل كرة السلة...

---

(1) وجبة ممزوجة من الفطور والغداء يتم تناولها عادةً خلال ساعات الصباح المتأخرة وحتى وقت مبكر من بعد الظهيرة - المترجمة.

- لكن... ماذا عن قبعتك؟ أنت تعرف أن حرفَي «N» و«Y» المتشابكين هما شعار فريق البيسبول في نيويورك: يانكيز، أليس كذلك؟

- كلا، على الإطلاق، أجاب بدهشةٍ، اعتقدت أنهما يعنيان «نيويورك» فحسب.

ثم انفجر ضاحكاً ولم يسعني إلا الابتسام. أدخلت عملةً معدنيةً في فتحة الآلة.

- لطالما حلمت بالذهاب إلى نيويورك، اعترف لي، بل لطالما حلمت أن أعيش في الولايات المتحدة. هل تفتقدين الولايات المتحدة؟

كان عليّ أن أعود إلى مكتبي وأنهي مهامي، لكن تركتُ تنهيدة لاإرادية تفلت مني.

- نعم، كثيراً.

- ما هو أكثر شيء تفتقدينه؟

أمسكت بكوبي، ابتلعت رشفة قهوة ليتسنى لي أن أفكر لبضع ثوانٍ، ثم شعرت بالكلمات تخرج من تلقاء نفسها، كما لو كانت مشاعري تنتظر هذا السؤال لتعبّر عن نفسها:

- لَفْظ وسماع اللغة الإنجليزية، الصوت المميز لصفارات نيويورك... كما أفتقد الطعام كثيراً، القهوة المصفاة التي تسمّونها هنا «عصير الجوارب» والهوت دوغ الذي يمكنك شراؤه في زاوية كل شارع بدولار واحد، وخبز البيغل في الصباح قبل الذهاب إلى العمل، ومعكرونة كرافت بالجبن المعلبة... ليست بلذيذة حقاً، لكنها تذكرني بطفولتي.

- يمكنك أن تجدي خبز بيغل هنا...

- ليس البيغل النيويوركي الحقيقي المطبوخ بالماء، مع الجبن الكريمي، وفي معظم الأحيان يكون عادياً أو ببذور الخشخاش. أنا أحب بيغل القرفة والزبيب، ولم أجد أياً منه هنا.

رمى كوبه الفارغ في سلة النفايات فأدركت أنني انتهيت أيضاً من قهوتي.

- هل... هل تمانعين، سأل فجأة، أن نتحدث قليلاً بالإنجليزية معاً؟ أعلم أنك دائماً ما تعملين خلال استراحة الغداء، لكن إذا كان بإمكاننا أن نحتسي القهوة معاً وندردش بالإنجليزية لمدة عشر دقائق في اليوم... أشك في أن يذكرك ذلك بالولايات المتحدة بسبب لكنتي الرهيبة، لكنني بحاجة حقاً إلى تحسين لغتي الإنجليزية ولا يمكنني تحمّل تكاليف الدروس... سيكون ذلك بمثابة استراحة تدخين... لكن من دون تدخين.

ربما كان عليّ أن أُخرج الأسلاك الشائكة، وأن أضع فوراً حاجزاً بيني وبينه، لكنني افتقدت التحدث باللغة الإنجليزية، فبعد لحظة صمت، سمعت نفسي أجيبه:

- حسناً، إذا كنت ترغب في ذلك.

أضاء وجهه مثل وجه طفل قيل له إنه وقت الوجبة الخفيفة.

- رائع! أي وقتٍ يناسبك؟

هززت كتفَي.

- لا أدري... الرابعة بعد الظهر؟

- مرحى! كفك!

رفع يده فضربتها، متفاجئة قليلاً، ثم ختم بجملة غير مفهومة بالإنجليزية جعلتني أقلق قليلاً حيال محادثاتنا المستقبلية...

يوميات أليس

لندن، 29 نوفمبر 2011

مرحباً يا بروس،

لقد مرت فترةٌ طويلةٌ منذ آخر مرة كتبت فيها. لم يعد لديّ الكثير من الوقت منذ عدت إلى العمل. لن أخفي عنك كم أنا ممتنة لأنني لم أعد أقضي أيامي وحدي في الحديث عن اختبارات الحمل. وسأخبرك بسرٍّ مخجل يا بروس: أنا أحب مجال التمويل والاستثمارات. بطبيعة الحال، أنا أتجنب البوح بهذه الأمور، إذ الأمر أشبه بأن أصرخ بأعلى صوتي بأنني أحب تناول حلقات البصل على الإفطار، إلا أن هناك شيئاً مطمْئِناً في وضع أرقام في خانات إكسل.

أكتب إليك اليوم من غرين بارك. أظن أنك تعرفه. أنا أذهب في نزهة إلى هناك أحياناً بعد ظهر يوم السبت بعد حصة اليوغا لتعزيز الخصوبة. أشاهد الأطفال يركضون على الأوراق الميتة، بينما تصرخ سيلين ديون «لوحدي تماماً[1]» في أذنَي. يرفض أوليفر رفضاً

(1) All by myself أغنيةٌ أمريكية من تأليف وأداء إريك كارمن صدرت عام 1975، تم إعادة أدائها من قبل الفنانة سيلين ديون عام 1996 - المترجمة.

قاطعاً مرافقتي إلى جلسات الشفقة على الذات هذه بحجة أنها لا تساعدني على رؤية الجانب الإيجابي للأمور.

أوليفر هو من نوع الأشخاص الذين، إذا أخبرته أنك انزلقت فوق فضلات كلبٍ وتسبب ذلك في كسر ساقَيك وذراعَيك، فسوف يجيبك بابتسامة كبيرة: رائع، يمكنك الآن تخطي كل صفوف الانتظار بفضل كرسيك المتحرك!

من الناحية النظرية، التفاؤل جيد. أما من الناحية العملية، فأعترف أنه بدأ يزعجني.

أشاهد الأطفال يتشاجرون، ويلعبون، ويسقطون على الأرض، ليركضوا بعدها ويخبروا أمهاتهم بأنهم تعرضوا للأذى. وتتدحرج كرة إلى قدمَي أحياناً ويندفع طفل ضاحك نحوي لاستعادتها، فأعيدها له وتشكرني أمّه بابتسامةٍ.

أعرف ما تفكر فيه يا بروس، تعتقد أنني سخيفة، وقد تكون على حق.

اتصلت بي أمي على سكايب الليلة الماضية. لقد تشاجرت مع سكارليت لسبب أجهله وبدت متعبة على الشاشة. قالت لي هذه الجملة الغريبة:

- ربما لم أقم بالأمور كما يجب، لكنها لطالما كانت صعبة المراس، على عكسك أنتِ، فلطالما كنتِ مطيعة جداً... علاوة على ذلك، ذكّرتني ابتسامتها بوالدك باستمرار، فكانت طوال هذه السنوات تذكيراً يومياً لتخلّيه عني. كان الأمر صعباً بالنسبة إليّ أيضاً.

نادراً ما تكون الأمور بالبساطة التي تبدو عليها، يا بروس. كانت سكارليت فاشلةً في المدرسة منذ الصف الأول حتى بلوغها

سن السابعة عشرة، أي حتى تركها المدرسة الثانوية. ولم أفهم السبب أبداً، لأنها لطالما كانت أذكى من معظم الأطفال في سنها. فكان فارق السن بيننا أحد عشر شهراً، إلا أن أمي كانت تعاملنا كما لو أننا في نفس العمر.

غالباً ما يُقال إن الأطفال الذين يتم الاعتناء بهم كثيراً ينعمون بحياة أسهل لاحقاً. لكنني أعتقد، على عكس ذلك، أن حقيقة أن مساهمة أمي في تربية سكارليت كانت أقل بكثير من مساهمتها في تربيتي جعل أختي مفعمةً بالحيوية والحيلة على نحوٍ مميز، فقد أمضت طفولتها وهي تحاول تعلُّم ما كنت أعرفه، والارتقاء إلى مستوايَ. لقد تكلمتُ قبلها، لكنها نطقت كلماتها الأولى في سن التسعة أشهر، وخطت خطواتها الأولى بعد خمسة أشهر فقط من خطواتي، ونظِفنا في الوقت نفسه تقريباً، كما استطاعت القراءة قبل سن الرابعة، ولم تواجه أمي أي صعوبة في إقناع معلمة حضانة كوينزتاون بقبول سكارليت معي، رغم أنه كان من المفترض أن تنتظر العام التالي لبدء دراستها. لكن أمي كانت تعمل ليلاً نهاراً لتغطية نفقاتنا، وكان من الأسهل عليها أن تودع كلتينا بالمدرسة في آنٍ واحدٍ.

كبرت سكارليت محاطة بأطفال أكبر منها، بحيث إنها دائماً ما كانت مُحفَّزة أكثر مما كان يستدعي سنها. كانت فضوليةً على نحوٍ عجيب ومهتمةً بكل شيء. ولطالما تمتعت بالحرية أكثر مني، فكانت تذهب على دراجتها وتختفي لساعاتٍ طويلةٍ أحياناً. كانت تقول إنها «ذاهبة لتستكشف». فمنذ المدرسة الابتدائية، تركت حصص التعليم لتدرس حركة المد والجزر وتراقب صيادي سرطان البحر العائدين إلى الميناء. تحدَّت المحظورات وقامت بعددٍ لا بأس به من

الحماقات التي دائماً ما خرجت منها بفضل ما أسميته «خطة رائعة لعينة» (أحد التعابير النادرة التي استخدمتها في اللغة الإنجليزية، لأننا دائماً ما كنا نتحدث بالفرنسية فيما بيننا). كانت رديئة في الإملاء، لكنها قادرة على تخزين عدد لا يحصى من المعلومات عديمة الفائدة في ذاكرتها، مثل عمر الخنفساء، أو وصفة باد تاي تايلاندي، أو عمر باتريك سويزي بالضبط.

كانت تهتم بنشاطٍ معينٍ لفترة وجيزة، وتكرّس نفسها له بشغف لبضعة أسابيع، ثم تتخلى عنه ولا تعود إليه أبداً. لطالما قدمتني أمي على أنني المبدعة العظيمة في العائلة، إلا أن سكارليت كانت أكثر موهبة مني عندما تعلق الأمر باستخدام خيالها.

حتى بلوغي سن الثامنة أو التاسعة، كنت أرسم كثيراً. شجعتني أمي، وأعتقد أنه كانت لديّ موهبة صغيرة في الرسم. وإلى يومنا هذا، لا أجد صعوبة في نسخ صورة أو رسم منظر طبيعي ببضع خطوطٍ من قلم الرصاص. لم تحب سكارليت الرسم. لم تكن صبورةً. في معظم فترات بعد ظهر أيام السبت، عندما كان الطقس جميلاً، كنت أضع أدوات الرسم في حقيبتي ونتوجه بالدراجة إلى شاطئ ناراغانسيت، على بعد أميال قليلة (كان هذا في الزمن الذي كان لا يزال مسموحاً للأطفال أن يركبوا دراجاتهم وحدهم، دون أن يرسلوا رسالة نصية لوالديهم كل ثلاث دقائق لتحديد موقعهم الجغرافي في حال تم اختطافهم من قبل مختلٍ عقلي). كنت أجلس مع دفاتري وأقلامي على شرفة مقهى بيتش كافيه[1]، وهو كوخٌ خشبي كبير غير متناسقٍ يقع عند نهاية الشاطئ بين الصخور السوداء

(1) Beach Café أي مقهى الشاطئ - المترجمة.

والأصداف. كان مالكُه، جيمي (لا أعرف لقب أسرته حتى يومنا هذا)، رجلاً طويلاً وعريضَ القامة، ذا وجه لطيف كوجه دبدوب صغير، يعيد طلاء الكوخ باللون الفيروزي المتوهج كل سنة كبيسة، فكان اللون يتلاشى تحت لفحات الشمس المتتالية والعواصف المالحة وشتاء رود آيلاند القاسي، بحيث يصبح، بعد أربع سنوات، بلون أزرق باستيل جميل يتقشر في حبيبات، مثل قطع صغيرة من السماء على الرمل الأبيض.

وباستثناء شهرَي يوليو وأغسطس، عندما كان مقهى بيتش كافيه مكتظاً بالزبائن بملابس السباحة، سمح لي جيمي بالجلوس إلى طاولةٍ فارغةٍ، حتى لو لم أستهلك شيئاً أبداً نظراً لإمكانياتي. وبينما كنت أرسم، كانت سكارليت، مهما كان الموسم، تغمر قدميها في الماء وتلتقط الأصداف. ورغم أنه كان يصعب عليها المكوث في مكان واحد، إلا أنها كانت قادرة على الجلوس لساعات على الرمل، وبصرها تائه في دوامات المحيط الأطلسي. وكنت أذهب معها أحياناً وأراقب الأمواج عن كثب، وأتساءل عما كانت تراه فيها من سحر. لم أعرف أبداً.

لم يمنعنا المطر من الخروج، إذ كل ما كان علينا فعله هو ارتداء سترات واقية من الماء وأن ندوس بشكل أبطأ عند المنحدرات لأن الفرامل لم تكن تعمل بشكل جيدٍ. وذات يوم في أواخر أكتوبر، فيما كانت السماء تمطر طوفاناً، أجبرني جيمي على الدخول وذهب للبحث عن سكارليت على الشاطئ، وقد اضطر أن يَعدها بكوبٍ من الشوكولاتة الساخنة ليقنعها بأن تحتمي في الداخل.

كان المقهى فارغاً، وقدّم لنا جيمي الشوكولاتة الساخنة مع الكريمة المخفوقة وقطع صغيرة من المارشمالو في كوبَين أحمرَين

كبيرَين، سعر كل واحد منهما ثلاثة دولارات على القائمة.

- تقدمة من المحل! أعلن بصوته الأجش الذي لم يخِف أحداً أبداً لما يُسمَع فيه من لطف.

أعرتُ أقلامي وأحد دفاتري لسكارليت ورسمنا ونحن نحتسي مشروبينا الساخنين حتى هدأ المطر. أذكر ابتسامتها العريضة ورموشها الرطبة الطويلة التي تنبض بسرور وهي تقرّب شفتيها من الكوب الأحمر، وشعرها الذي يقطر على سترتها الوردية ذات الياقة المهترئة، إذ لم ترتدِ سكارليت سوى ملابسي القديمة. كانت أصغر مني، فكان شراءُ ملابسٍ جديدة خاصة بها هدراً، بحسب أمي.

بعد ذلك بقليل، أرتني سكارليت رسمها. كانت قد رسمت شاطئ ناراغانسيت، حيث كانت السماء وردية اللون، مليئة بالطائرات الورقية والرمال الزرقاء، وخطّت منزلاً مهيباً مع برج وغرفة زجاجية.

- ما هذا المنزل؟ سألتُ متفاجئة.

احترمتْ رسمتي الواقعَ بدقة، إذ لم يخطر لي أن أرسم أي شيء غير ما هو موجود على أرض الواقع.

- هذا هو المنزل الذي سأبنيه على الشاطئ عندما أكون غنيةً جداً لأهديه لأمي. ستكون هناك قاعة ألعابٍ ضخمة، وسيكون لدينا حوض كرات في غرفتنا، ومزلقة ستؤدي مباشرة إلى المطبخ وسنأكل الفطائر كل يوم.

- يمكن أن تكون لكل منا غرفتها الخاصة في منزل كبير كهذا، علّقت على كلامها...

عضت سكارليت طرف قلمها، متأملة، قبل أن تجيب بشكل قاطع:

- لا، أريد أن أنام معك دائماً.

وعندما وصلنا إلى المنزل في المساء، مبللتَين جراء ركوبنا الدراجة، أرسلتنا أمي لأخذ حمامٍ ساخنٍ، وعندما عدتُ إلى المطبخ حيث كانت رائحة المعكرونة بالجبن الشهية تفوح في الأرجاء، كانت أمي تنظر في رسم سكارليت بتمعنٍ.

- هذا الرسم جميل، يا أليس، قالت بإعجاب شديدٍ، هذه السماء الوردية وهذه القلعة على الشاطئ... إنه من أجمل ما رسمته على الإطلاق، أعتقد أنني سأقوم بتأطيره.

تسمّرتُ في مكاني من الصدمة، ثم نزعت الرسمة من يدها.

- لا، أفضّل ألّا تفعلي ذلك!

وضعتُ الرسم في دفتري مع رسمي الذي لم تلقِ عليه أمي نظرةً حتى، وصعدت إلى الطابق العلوي مستاءةً مثل قملةٍ وجدت نفسها في رأس أصلع.

عندما دخلتُ غرفتنا، كانت سكارليت مشغولةً بتمشيط شعرها المبلل.

- ألا تعتقدين أنها كانت أجمل ظهيرةٍ على الإطلاق يا أليس؟ أنا أفضّل البحر عندما تمطر.

حين رأيت ابتسامتها المشرقة، شعرت بالخجل من حقارتي.

- نعم، كان ممتعاً. قالت أمي إن رسمك جميل جداً.

أضاء وجهها، ومن شدة رضاها، تركت الخصلة التي كانت تحاول فكها.

- حقاً؟ هل أخبرتها أن المنزل لها؟ سألت مفعمة بالأمل.

- لا، لم أعلم ما إذا كنت تريدين مفاجأتها، تمتمت خجلاً.

وضعتُ الرسوم والأقلام الملونة على الرف ولم أرسم بعدها مجدداً. أعتقد أنني أردتُ معاقبة نفسي لمنع أمي من تأطير رسم سكارليت. وإلى يومنا هذا، ألوم نفسي على حرمان أختي الصغيرة من فتات الحنان هذه التي منحتها إياها أمي عن غير قصد، ولو لمرة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كنت أنتظر منذ ثلاث وأربعين دقيقة. لحسن الحظ، كنت قد جلبت حاسوبي معي. نقرتُ بعصبية على لوحة المفاتيح، محاولةً ألا أركّز على الساعة. لقد انتهى بي المطاف بالاستسلام لإصرار أنجيلا، فكان لدي موعد لاحتساء القهوة مع سرانيا، قريبتها التي كانت قد أرسلتْ لي عنوانها الإلكتروني. وعلى أية حال، فمعارضة أنجيلا بعد أن تضع فكرة في رأسها أشبه بمحاولة تعليم الغيتارة لشجرة عمرها مائة سنة. يمكنك أن تحاول، لكن احتمال النجاح ضئيل جداً. كان هدفي أن أطلب منها الإذن لتعيينها كجهة اتصال في حالات الطورئ، في حال حدثت لي مشكلة في العمل. لا شيء أكثر من ذلك. كنت بحاجة إلى حياة منظمة ومرتبة، حياة هادئة ومتحفظة، لا إلى تكوين صداقاتٍ جديدةٍ. لا ينبغي لي أن أتعلق بالناس، ولا الأماكن، ولا الماضي، بل ينبغي أن أحمي نفسي، أن أحيط نفسي بأسلاك شائكة لكي أردع كل من يحاول الاقتراب مني. فيكفيني ديفيد، على الأقل هو لا يصدر عليّ الأحكام، ولا يخطط لأن يهجرني. وإذا أرادت سرانيا رؤيتي مرة أخرى، فسأتحجّج بانشغالي بالعمل. حُلَّت المشكلة.

لقد اختارت قريبة أنجيلا مقهى صغيراً في شارع روزييه، في

قلب حي ماريه، لنلتقي فيه. جئت سيراً على الأقدام، وسلكت طريقاً طويلاً على طول ضفاف قناة سان مارتان الملونة، وبما أنني كنت مبكرةً، أخذت وقتي للتجول في الشوارع الضيقة ذات الأرصفة العوجاء في أكثر أحياء باريس رومانسية، حيث حلمت أن أعيش، كسائحة أمريكية، لو كانت إمكاناتي تسمح بذلك.

كنت جالسةً إلى طاولة داخل مقهى **لو ريف سوكريه**[1] منذ أكثر من نصف ساعة. كان شارع المشاة مفعماً بالحيوية وتمكنت من أن أرى من زاويتي المارة يتوقفون أمام نوافذ المتاجر الصغيرة. كانت من حولي كراسي جلدية كبيرة تجاور كراسي مطبخ غير متطابقة، كما أنه لم تكن هناك طاولة شبيهة بالأخرى، وغطت الجدرانَ إعلاناتٌ قديمةٌ أو صفحاتٌ صفراء من مجلة **إيل**[2] تعود إلى الخمسينيات، بحيث أضفت هذه الأشياء غير المنظمة على نحوٍ عجيب سحراً فوضوياً وقديم الطراز على المكان والذي، بطبيعة الحال، أخافني أكثر مما أي شيء.

ركزتُ انتباهي على الطاولة المركزية، المغطاة بالحلويات الشهية المقدمة في أطباق من الخزف المنمق بالزهور. حدّقت بفطيرة ليمون تُكللها طبقة من الميرانغ السميك مثل السحابة، مستعدةً لأن أبيع نفسي بالتخفيض من أجلها. وعلى لوح صغير معلق فوق البوفيه بشريط من قماش، كُتب بالطباشير: «جميع حلوياتنا محلية الصنع»، وتحتها، «الحياة قصيرة، علينا أن نبدأ دائماً بالحلوى». وكلما

---

(1) Le rêve sucré بالفرنسية أي الحلم الحلو - المترجمة.

(2) **Elle** بالفرنسية وتعني هي، وهي مجلة فرنسية عالمية تركز على أزياء المرأة، والجمال، والصحة، والترفيه - المترجمة.

ينهض زبون، يأتي رجل خمسيني مرتدياً مئزراً وردياً، ومسلحاً بسكينٍ ومجرفة كعك، ويقدم له كل واحدة من الحلويات، ثم يقطع الجزء الذي تم اختياره، ويشرح بعدها الوصفة لمحاوره بحماسٍ كبير.

قُرع الجرس، فإذا بالباب يُفتح أمام امرأة شابة من أصول هندية، فرشق الرجل ذو مجرفة الكعك، بحركةٍ متحمسةٍ وطائشةٍ، وابلاً حُلواً من العجينة الرملية والميرانغ على رجل يتحدث على الهاتف، والذي لم يلاحظ شيئاً.

- مرحباً يا ملاكي!

- مرحباً يا ليون!

كنت على وشك القيام بحركة كتومة للفت انتباهها، وإذ بها تصرخ مخاطبةً الجميع:

- أنا أبحث عن فتاةٍ تدعى أليس!

تفاجأتُ بهذه المقدمة، فاستغرقتُ بضع ثوانٍ لأرفع يدي مثل طالبة من الصف الرابع، إلا أن فتاة دون العشرين من العمر قد سبقتني، متفاجئة أكثر مني، ولوّحت لسرانيا بعد سماع اسمها، فاندفعت هذه الأخيرة نحوها. كانت قصيرة القامة رغم كعبها العالي، إلا أن الابتسامة التي أضاءت وجهها أدفأت المكان بأكمله وهي تشق طريقها نحو الفتاة وتعتذر للزبائن بمرح.

قامت بفك أزرار معطفها وبدأت في إزالة الثلاثة كيلومترات من الوشاح البيج التي تقيد رقبتها، وهي تتحدث إلى المراهقة بسرعة كبيرة.

- سعيدة بلقائك، يا أليس. هل تأخرتُ؟ ربما تأخرت، فقد نسيت تماماً الوقت الذي اتفقتنا عليه. 10:00؟ 11:00؟ أنا

ميؤوس مني تماماً. لا أعرف ماذا قالت لك أنجيلا عني، لكن قد يكون صحيحاً، أو قد لا يكون كذلك، من يدري؟ هذا يعتمد على ما قالته. ماذا قالت لك؟

نهضتُ وتوجهت نحوها لأخبرها بسوء الفهم الحاصل بينما تداعت على الكرسي أمام الفتاة وتنهدت بصوت عالٍ.

- كم أنا غبية، أنتِ تفضلين التحدث باللغة الإنجليزية بطبيعة الحال (واستمرت في الحديث بالفرنسية)، تخيلي أنني كنتُ على موعد بالأمس مع رجل فرنسي. لن أخبرك، تابعت وهي تخبرها، الباريسيون مجانين. لقد أعطاني موعداً عند الساعة 30 : 7 مساءً! من يعطي مواعيد عند الساعة 30 : 7 مساء الجمعة؟ من؟! سأخبرك: الفاشل! هذا هو. أما أنا فلديّ حياة، ولا يمكنني الخروج عند الساعة 30 : 7 مساءً، ما هي الساعة 30 : 7؟ إنها وقت تناول وجبة خفيفة! فعندما تتودد لفتاة، هل تدعوها لتناول وجبة خفيفة؟ بالطبع لا. خبر عاجل يا عزيزتي: نحن لم نعد في حضانة الأطفال. أما مستوى فظاظة الرجل، فلن تخمنيه أبداً، (لم تترك لها ثانية واحدة للتخمين وتجاهلت تماماً وجودي إلى جانبها، رغم تنحنحي ثلاث مرات متتالية)، إنه لم ينتظرني! فعندما وصلت وسألته عن مكان تواجده، أتعلمين ماذا أجابني؟ أتعلمين ماذا أجابني يا أليس؟

أسقطتْ حقيبتها عن الطاولة، فسقط هاتفها وسط فوضى لا توصف وحدها ماري بوبينز[1] قادرة على إدخالها في حجم صغير كهذا. حاولتُ مقاطعتها:

---

(1) Mary Poppins هي بطلة فيلم موسيقي تم إنتاجه في الولايات المتحدة عام 1964، وهي مربية أطفال ذات قدرات سحرية - المترجمة.

- آسفة. . .

- سأشرب شوكولاتة ساخنة من فضلك، أجابت وهي تلوّح بهاتفها وتحسبني النادلة، سأخبرك بما أجابني، ذلك الوغد السمين!

فتحت الهاتف بحركة غاضبة وقرأت النص والنصر بادٍ على محياها:

- «إنها الساعة 10:17 مساءً». . . إنها الساعة 10:17 مساءً، ثلاث نقاط صغيرة. من الواضح أنه مجنون! ما العلاقة؟ يتخلف عن موعد ويخبرني بالساعة؟ هل سألته عن الساعة؟ لا. إنه مختل عقليّاً، هذا أمرٌ مؤكدٌ. 23% من الرجال على تطبيق تيندر مختلون عقلياً. إنها إحصائيات موثقة، فأنا قمت بتحريّاتي!

شددت تسريحة ذيل الحصان على نحوٍ آليّ وهمس لي جزء مني أنه لا يزال هناك وقت للفرار، وإذا بي أتذكر أنني وعدت أنجيلا.

- أنا أليس، صديقة أنجيلا، قلت بصوت أعلى قليلاً.

توقفتْ فجأةً وحدقت بي من أعلى إلى أسفل ثم التفتتْ إلى المراهقة التي بدت كأرنب بريٍّ مشلول أمام ضوء المصابيح الأمامية لشاحنة سعتها ثلاثة وثلاثون طناً، ثم انفجرت سرانيا بضحكةٍ مبهجةٍ للغاية، ما بدا أنه صدم المراهقة أكثر.

- لِمَ لم تقولي شيئاً؟! تعجبت، ثم سألتني وهي تلتفت نحوي: أين أنت جالسة؟

غيّرت مكانها وجلست قبالتي، بعد أن حملت معطفها وسترتها ووشاحها.

- صحيح أنها بدت لي صغيرة جداً لتكونَ أنتِ!

لم أستطع منع نفسي من الابتسام، فقد سلّتني سخافةُ المشهد. كانت ترتدي فستاناً قصيراً أحمر فاقعاً وحذاءً عالياً من الجلد الأسود

ذا كعب عالٍ، وتموج شعرها الأسود الطويل ذو الانعكاسات اللامعة في تسريحة ذيل حصان متقنة، وعززت موجة من الكحل الأسود لمعة عينيها الكبيرتين مثل عينيَ الغزال، أو قد يكون انعكاس الماسة الصغيرة في أنفها هو ما أعطاهما ذلك اللمعان.

- لا بد أن تذوقي الحلويات، أضافت، أما أنا فلا يمكنني ذلك لأنني أتبع حمية غذائيّة. أنا أستعد لنصف ماراثون باريس في شهر مارس. هل تريدين الركض معي؟ أستطيع أن أسجلك. يمكننا أن نتدرب معاً.

- لا، شكراً لك، الجري ليس من اهتماماتي.

- عظيم، سأسجلك.

- لا، لا، أنا...

اسمعي، أنصحك بفطيرة الليمون، هي رائعة حقاً، لكن سيكون من المؤسف ألا تذوقي فوندان الشوكولاتة، فمن لا يحب فوندان الشوكولاتة؟ وفطيرة الشوكولاتة بالكمثرى مذهلة أيضاً، اللعنة، لم أر أن الكرامبل اليوم بالرواند. انتظري، لا تتحركي، سأتحقق من الأمر.

وقبل أن يتسنى لي التعبير عن أي رغبة، نهضتْ وتحدثت إلى الرجل ذي مجرفة الكعك الذي نادته بليون قبل قليل. على الأقل، لا داعي أن أقلق معها بشأن المشاركة في المحادثة، فمن الواضح أنها تتولى الأمر... عادت بعد بضع دقائق حاملة طبقاً ضخماً تمكنت أن تضع فيه قطعة صغيرة من كل الحلويات المتوفرة وملعقتين صغيرتين، وهجمت على الطبق على الفور، متناسية نظامها الغذائي، وعلقت بفم ممتلئ:

- سأعترف لك بشيء: أنا فرنسية، وُلدت وترعرعت في

فرنسا، باريسية قحةٌ، والدليل على ذلك أنني أشعر برغبة في قتل الأشخاص الواقفين في الجانب الأيسر من السلالم المتحركة. لكن على الرغم من ذلك، لن أفهم أبداً العادة الغربية المتمثلة في طلب كل فرد مقبلاته، وطبقه الرئيسي، وتحليته، فوضع الأطباق في وسط الطاولة ومشاركتها أكثر متعة بكثير... ويمكنك في هذه الحالة أن تذوقي كل شيء!

لأذوق كل شيء، كان ينبغي أن تترك لي شيئاً أصلاً، وهو أمر غير مضمون، نظراً للفعالية الهائلة التي هجمت بها على الصحن. تمكنت من التقاط قضمة من الكرامبل وتركت السكر يذوب في فمي.

- إذاً؟ سالتني بابتسامة عريضة.

- إنه لذيذ...

جلب لنا النادل المشروبات التي طلبناها. شوكولاتة مغطاة بالكريمة المخفوقة محلية الصنع لسرانيا التي من الواضح أنها تخشى نقص السكر في الدم، وقهوة بالحليب منزوعة الكافيين لي. ثم طلبت مني أخبار أنجيلا، وقصفتني برشقة من الأسئلة دون أن تمنحني الوقت للإجابة عنها، فيما شكت من أنني لا أخبرها بشيء. استطعت رغم ذلك أن أشرح لها أنني قابلت أنجيلا في العمل وأنني انتقلت للتو إلى باريس. وبعد ساعةٍ، عرفت كل شيء تقريباً عن حياة سرانيا، أنها لا تزال تعيش هي وأخواتها مع والديها اللذَين يديران مطعماً هندياً في الدائرة العاشرة، وأنها تعمل في دار للمسنين. ودعتني بالتسلسل لاحتساء الشاي مع عائلتها، والركض معها كل صباح أحد، والاحتفال بديوالي، عيد الأنوار، الذي سيقام في أوائل نوفمبر. وكانت تهز رأسها دون أن تصغي إليّ بينما تفرغ بنشاط

لافت طبق الحلويات الذي انتهى به المطاف فارغاً. وبعد أن انتهت من مهمتها، نظرت إلى الساعة على هاتفها.

- لا ينبغي أن أتأخر، فلديّ موعد ظهراً في الطرف الآخر من باريس (كانت الساعة 14 : 12 ظهراً) مع رجل قابلته على تطبيق هابن أو أدوبتأنميك، لا أذكر، فلا يمكنك تخيّل الوقت اللازم لاستخدام هذه المواقع والتطبيقات! بصراحةٍ، أفكر في الاستعانة بمستشار، لأن الحل الآخر هو أن آخذ إجازة مفتوحة لأعثر على رجل.

- مستشار؟

- نعم، رجل يدير علاقاتك المختلفة على الإنترنت، فأنا أتحدث أحياناً إلى عشرة رجال في الآن نفسه معاً. فأنا أخلط بينهم، إنها كارثة.

- بالمناسبة، قلت فجأة، أنا لا أعرف أحداً في باريس، فهل تمانعين إذا ذكرت اسمك كجهة اتصال في حال حدثت لي مشكلة في العمل؟

- بالطبع لا! أنتِ صديقة أنجيلا، أي جزء من العائلة. وإذا تعرضت لنوبة قلبية، فسأحاول الوصول إليك في الوقت.

أثّر فيّ لطفها، فاستحضرتُ على الفور صورة أسلاكي الشائكة. لقد حصلت على ما أريد، فلا ينبغي أن أترك العلاقة تذهب إلى أبعد من ذلك. نسيَتْ سرانيا أن عليها المغادرة وسألت عن حياتي العاطفية، فأجبت بشكل مراوغٍ، ما جعلها تصمم أكثر. أصرتْ على دفع الفاتورة، وطلبت مني رقم هاتفي مرة أخرى، وأضافتني على فيسبوك وإنستغرام وتفاجأت بأنه ليس لديّ حساب على تويتر وسنابشات، وظلت تتحدث إليّ وهي تلف وشاحها حول رقبتها قبل أن تقبّلني بمودّة على كلا الخدين.

- سررت بلقائك يا أليس، وأتمنى أن أراك قريباً. سأتكلف بتسجليك في نصف المراثون! سنركض معاً يوم الأحد، يجب علينا أن نتدرب. فلنلتقِ في حديقة التويلري عند الساعة الثانية بعد الظهر، بالقرب من الكاروسيل.

لم يتسنَّ لي أن أشرح لها أنّ لديّ الكثير من العمل ولن أتمكن من رؤيتها من جديد. . . فسرعان ما غادرت مهرولةً على كعبَيها العاليَين، تاركةً وراءها رائحة ليلك خفيفة وانطباعاً بأن إعصاراً مر من فوقي. كان من الواضح جداً أن سرانيا محصّنة ضد الأسلاك الشائكة.

يوميات أليس

لندن، 30 نوفمبر 2011

05:06 صباحاً

أهلاً بروس،

لم أنم إلا قليلاً الليلة الماضية. ظللت أفكر في قول أمي: «لطالما كانت سكارليت صعبة المراس، على عكسك أنتِ، فلطالما كنتِ فتاة مطيعة جداً». من غير المنصف قول ذلك، خاصةً من قِبل أمي، فأنا لا أريدكَ أن تكوّن صورة قبيحة عن أختي الصغيرة يا بروس. لوقت طويل، كانت سكارليت فتاةً طيعةً. لكن سواء كانت طيعة أو مشاكسة، أعتقد أنها كانت تحاول لفت انتباه أمي فحسب، وغيرت استراتيجيتها في سن التاسعة تقريباً.

أعرف ماذا تظن يا بروس. تظن أني أحسب نفسي فرويد لأنني أتردد على الأطباء النفسيين، لكن واقع الأمر هو أني من كثرة تقلباتي في السرير هذه الليلة، تذكرت حدثاً وسم اليوم الذي أصبحت فيه أختي «شقيةً»، كما تقول أمي.

لطالما كرهت أليس السمك. كنا نعيش بالقرب من المحيط، وكان بإمكاننا شراء كمية من الأسماك المقلية أو المشوية مباشرة من

الميناء أو من المطاعم المحيطة، ومأكولات بحرية تم صيدها في اليوم نفسه، بما في ذلك الكركند وسرطان البحر، وبسعرٍ بخسٍ. في ذلك الوقت، كنت مغرمة بلفائف الكركند، وهي اختصاص محلي يُحضَّر عن طريق وضع بضع قطع من الكركند مع الكثير من المايونيز، عادة ما يكون صناعياً، وأوراق الخس في خبز الهوت دوغ. كانت أمي تعدّه لنا كل ليلة أربعاء، وبوجه مخضرٍّ، كانت سكارليت تستغرق ساعات لتناول لفافتها، فكانت تغمرها بالمايونيز وبدت وكأن كل قضمة تشعرها بالاشمئزاز، ولم يكن يُسمح لها بمغادرة الطاولة حتى تنهي طعامها.

- ينبغي أن تتعلمي أن تأكلي كل شيء، قالت أمي.

وفي ليالي الأحد، كانت تعدّ لنا أمي اللازانيا التي أحببناها كلتانا. إلى أن أخبرتني صديقتي المقربة داكوتا، وهي فتاة سوداء في صفي ذات خيال خصب، أن اللازانيا مصنوعة من لحم فئران مترو أنفاق بوسطن. ورغم أن سكارليت أكدت لي سخافة هذه الحكاية، إذ كانت لازانيا أمي منزلية الصنع ومن لحم بقر نشتريه من عند الجزار، إلا أنني عدت إلى المنزل في ذلك اليوم وأعلنت أنني لم أعد أريد تناول اللازانيا بعد الآن.

ففي ليلة الأحد التالية، بدلاً من اللازانيا التقليدية، أعدّت أمي أصابع السمك المقلية، فعبست سكارليت أمام طبقها.

- لماذا لا نأكل اللازانيا اليوم؟ إنه يوم الأحد.

كانت أمي تملأ الكلمات المتقاطعة على زاوية من الطاولة، ونظارتها على طرف أنفها، فأجابت بذهنٍ مشتت:

- أليس لا تحبها.

- لكني لا أحب السمك، ونحن نأكل لفائف الكركند أيام

الأربعاء، أجابت سكارليت بعد وهلة من الصمت، ووجهها الصغير متشنج من شدة ارتباكها.

- ينبغي أن تتعلمي أن تأكلي كل شيء.

- ولماذا لا تأكل أليس اللازانيا إذاً؟

تنهدت أمي، وهي لا تزال منغمسة في كلماتها المتقاطعة.

- لا تكوني متعِبةً يا سكارليت.

أفسح الارتباكُ المكانَ لمزيج من الحزن والدهشة على وجه سكارليت. أما أنا، فأكلتُ أصابع السمك في صمت دون أن أفهم رد فعلها. لم يكن الظلم يصدمني آنذاك، فقد كنت الأكبر، وكنت أحصل بالتالي على معاملة تفضيليةٍ، كانت سكارليت نفسها أول من منحتني إياها.

ربما لو اختارت أمي تحضير الدجاج، لما انفعلت سكارليت. لكنني أعتقد أنها كانت تكره السمك حقاً. فأخذت طبقها، ودون أن تنبس بكلمة، قلبته وسحقته فوق جريدة أمي. ثم، تحت أعيننا المذهولة، نهضت عن الطاولة وذهبت إلى غرفتها. ومنذ ذلك اليوم، يا بروس، بدأت سكارليت تسبب المشاكل.

وأنا مركزة على شاشة حاسوبي، باغتني اهتزاز هاتفي.

سرانيا غودواني

أليييس! هل يمكنك أن تقدمي لي خدمةً؟

إنها مسألة حياة أو موت.

لقد أُضيفت حصة ركض أسبوعية مع سرانيا إلى روتيني المحكم، فإنني لم أنجح في تجنبها. لدى تلك الفتاة قدرة استثنائية على سماع ما يناسبها فقط. وإضافة إلى ذلك، الركض يفيدني، فنومي يتحسن قليلاً عندما أركض، كما اعتدت على الثرثرة المبهجة لرفيقتي في الجري.

منعت نفسي من الضحك جراء سلسلة رموز الابتسامات اليائسة والانتحارية التي تلت هذه الرسالة الأولى، قبل أن أجيب بنص متضب:

أليس سميث

نعم، بالطبع.

سرانيا غودواني
هل لديك سيارة أو شخص
لديه سيارة يمكنه
أن يعيرك إياها يوم السبت؟

سرانيا غودواني
(آسفة على هذه الرطانة،
فقد شربت الكثير
من الباستيس بالأمس،
فاستيقظت بلهجة مرسيلية)

سرانيا غودواني
رأسي سينفجر.
أقسمت لوالدتي
أنني سأذهب للتسوق من أجل عيد ديوالي،
لكن موعدي من تيندر تخلى عني
هو لديه سيارة،
لكن ثرثرتي لا تطاق، بحسب قوله.
باختصار، ساعديني!!!!!!!!!!!!!!

تذكرت المرات التي دعتني فيها أنجيلا للاحتفال بديوالي في نيويورك، وهو عيد الأنوار في الهند. كنت أعلم مدى أهمية هذا العيد بالنسبة للجالية الهندية في نيويورك، لكنني لم أكن أعرف أحداً في باريس، فناهيك عن شخص لديه سيارة. . . كريس. كريس لديه سيارةٌ، سمعته يقول إنه ذهب بالسيارة إلى نورماندي لمقابلة والدَي

صديقته. صحيح أن الطلب من رئيسي أن يعيرني سيارته أمر محرج بعض الشيء، لكن مع كل خطاباته عن «عائلة الإيفرديميين الكبيرة»، لم أشك في أنه لن يتردد في تقديم هذه الخدمة.

ألِيس سميث
لا أعدك بشيء
لكنني سأحاول.

سرانيا غودواني
يا إلهي، أنت رائعة يا ألِيس!!!
أحبك!!!

تلتها سلسلة من القلوب متعددة الألوان، وابتسامات ممتنة، ورمز تعبيري غير مفهوم لأخطبوط، قد يكون خطأً مطبعياً.

على أية حالٍ، لقد تعهدت لنفسي أن أكلم كريس اليوم، فحسابات الشركة كارثية ومن الضروري أن يخفض النفقات.

ذهبت لأحضر فنجان القهوة لأشجع نفسي، ومددت رأسي من خلال الباب الموارب لمكتب رئيسنا التنفيذي الشاب. بدت الغرفة وكأنها معبدٌ بوذي بعد هجوم نووي: شجرة بونساي موضوعة على كومة متداعية من كتب التنمية الذاتية، جورب منقط (يتيم، بالطبع) معلقٌ على نبتة صبارٍ، خيوط شواحن لأجهزة إلكترونية مختلفة ملفوفة حول رقبة بوذا مبتسم.

جلس كريس حافيَ القدمين على حصيرة يوغا، مخرجاً نغمة رنانة من شفتيه نصف المفتوحتين. كان في منتصف جلسة تأمل. كنت على وشك أن أعود أدراجي عندما فتح عيناً واحدةً ولمحني.

- ادخلي يا أليس، لقد انتهيت! ناماستي.

- ناماستي، أجبت دون أن أعرف ما إذا كان يتحدث إليّ أو إلى الحصيرة.

وفيما كان يبحث عن نظارته في حديقة «زن» مصغرة مخفية تحت جهاز آيباد، تأملتُ الاقتباسات الملهمة المخطوطة على خلفية جبال ثلجية في إطارات معلقة على الجدران: «أولئك الذين يحلمون بالنهار دائماً ما يكونون متفوقين على أولئك الذين يحلمون بالليل»، إدغار آلان بو. «أولئك الذين لا يعرفون إلى أين هم ذاهبون سيفاجَأون بالوصول إلى مكان آخر»، بيير داك.

- لدي خبرٌ جيدٌ! قال بحماس. لقد نظمتُ جلسة تأملٍ أسبوعيةً ظهر يوم الخميس لكل الشركة!

- كريس، لا أعرف إن كنت قد رأيت الرسائل الإلكترونية الإحدى عشرة التي أرسلتها إليك الأسبوع الماضي لتوافق على عرض النظام الضرائبي الذي عملت عليه؟ أنت لم تجب على أي من...

- آه، هذا... غمغم كما لو كنت قد حدثته عن شيء ثانوي، اسمعي، لم يعد أحد يقرأ رسائل البريد الإلكتروني، نحن لسنا في عام 1990، فإذا كان لديك سؤال، يمكنك أن تطرحيه على منصة سلاك[1]. لكنني أثق بك يا أليس: أنت تتقنين عملك.

لكن هذا ليس عملي، وهو يعرف ذلك، إلا أن شيئاً مؤثراً كان في سذاجته. حاولت أن أشرح له بلطف:

---

(1) سلاك هي منصة اتصالات للأعمال والشركات مسجلة الملكية طورتها شركة البرمجيات الأمريكية Slack Technologies - المترجمة.

- هذه هي المشكلة يا كريستوف، لا يمكنك أن توافق على كل شيء دون التحقق من أسعار الأشياء. أنت تعلم أن المبلغ الذي استثمرتَه أنت وجيرمي في إيفردريم، ونظراً لتكاليفنا الثابتة الحالية، لن يكفي سوى لبضعة أشهر، قبل أن نضطر إلى إغلاق الشركة. وقد نضطر إلى إغلاقها حتى قبل أن يكون لدينا تطبيقٌ يعمل...

- لقد وعدني جيرمي بأن يكون التطبيق متاحاً في متاجر التطبيقات في غضون شهر.

لم أدرِ كيف أشرح له أنه من دون تطبيق، لا وجود للشركة. فرضا الذي من المفترض أن يكون مسؤولاً عن التسويق ليس لديه ولو منتج واحد للدفاع عنه، فهو يشعر بالملل ويقضي أيامه على فيسبوك في الدردشة أو لعب كاندي كراش.

- يجب أن تتحدث إلى جيرمي. فما دام التطبيق لا يعمل، لن نجني أي مال، لذا عليه أن يبدأ العمل بجدٍّ.

أجابني بتكشيرة كطفل تعرّض للتوبيخ.

- توقفي عن القلق يا أليس، سيبلغ عدد التحميلات عشرة آلاف تحميل في الشهر الأول، لقد رأيتِ خطة العمل! فالسعي إلى رقم أقل من ذلك ما هو إلّا قبول بالرداءة، وفي إيفردريم، نحن لا نقبل بالرداءة: نحن نحاربها!

لم يطمئنني هذا التصريح، فما سماه كريس خطة عمل لم يكن سوى عرض تقديمي حيث وضع أرقاماً بشكل عشوائي على رسم بياني غير مقروء. وغني عن القول أنه لن يأخذه أي مستثمر على محمل الجد.

- هذه ليست رداءة، بل منطقٌ سليم، يا كريس... لا بد أن

نحد من نفقاتنا، على الأقل حتى الإصدار الرسمي لأول تطبيق من دون خلل، حسناً؟

- نعم يا أمي، أجاب بنبرة لطيفة ساخرة. هل تريدين شيئاً آخر؟

ترددت، محرجة.

- نعم، خدمةً. . . ألديك سيارة لتعيرني إياها السبت المقبل؟ صديقتي تقيم حفلة ولديها عدد من الأشياء لتشتريها. . .

- آسف، ليست لديّ سيارة. كان بإمكاني أن أطلب ذلك من صديقتي التي لديها واحدة، لكنها في نورماندي حالياً. . .

ثم نقر كريس على سماعة البلوتوث اليمنى مرتين، ما أشار إلى أنه يرد على مكالمة.

- مرحباً، هذا كريس لوموان.

فهمت أن المحادثة قد انتهت، فانصرفت.

في نهاية الصباح، وصل جيرمي إلى المكتب، ترافقه فتاة صغيرة عمرها خمس أو ست سنوات، عيناها بنفس اللون الأزرق الصافي تماماً الذي لعينَي والدها. عبر الفضاء المفتوح وإحدى يديه مدسوسةٌ في جيب سترته السميكة والأخرى في يد الفتاة التي تثرثر بمرح. أجلسها في ركن وأعطاها كتاباً، ثم توجه إلى مكتبه.

وبما أن كريس لم يقم باللازم، لم يكن لدي خيار آخر. نهضت وتوجهت نحو مكتب جيرمي، فسمعت عن غير قصد محادثته من خلال الباب المفتوح، وكان صدى صوته الرصين عادة، جافاً ومنزعجاً:

- هذه ليست المشكلة، لا يمكنك أن تقدمي لها وعوداً فارغة.

إنها في السابعة من عمرها، اللعنة! حاولي أن تفهمي أنه عندما تقسمين لها أنك ستأخذينها في إجازةٍ وتغادرين أسبوعين دون إخبارنا، فهذا يؤلمها!

تشنج فكه من الغضب تحت ظل لحيته البنية واتخذت عيناه الصافيتان لوناً أكثر قتامةً. كانت هذه المرة الأولى التي أراه يعبّر فيها عن مشاعره فتراجعت خطوة إلى الوراء، محرجةً من سماع هذه المحادثة الخاصة، إلا أنه استدار ولمحني من خلال الحائط الزجاجي.

- هل تريدين رؤيتي؟ سأل وهو يُبعد الهاتف عن أذنه.

- ليس الأمر بالعاجل، سأعود لاحقاً.

- لا، انتظري (ثم مواصلاً على الهاتف)، لا يهم، يجب أن أذهب، لديّ عمل لأقوم به.

أنهى المكالمة دون سابق إنذار وأسقط هاتفه على مكتبه.

تقدمتُ إلى الأمام فحدق بي بتلك النظرة المباشرة التي دائماً ما تربكني. تنحنحت وباشرت الكلام، مع علمي أنني وصلت في وقت غير مناسب:

- أنا بحاجة ماسّة لأن أعرف ما إذا سيكون التطبيق جاهزاً في غضون شهر.

- لقد تحدثت مع كريس على الهاتف هذا الصباح وأخبرني بأنك قلتِ له إنه «عليّ أن أبدأ العمل بجدٍّ».

أشارت سخرية نبرته أن تدخّلي قد أُسيء فهمه، وقد أكون تصرفت على نحوٍ أخرق. عضضت شفتي من الخجل.

- لم أقصد التصرف من وراء ظهرك، لكنني لا أعرف ماذا أفعل: نحن ننفق الكثير من المال وحتى يتم إطلاق التطبيق، لن

نحصل على أي دخل. لا يمكننا تحمّل تكاليف حفلات الكاريوكي ودروس اليوغا أثناء استراحة الغداء...

- أتفهّم قلقك يا أليس، لكن التوقيت ليس بتلك الخطورة بالنسبة إلينا، إذ تختلف الثقافة في شركة ناشئة مقارنةً ببنك استثمار.

كان من الواضح أنه يحاول الحفاظ على هدوئه، إلا أن فكه حافظ على الزاوية القاسية التي رسمتها محادثته الهاتفية. أجبرت نفسي على الابتسام.

- ربما، لكن سواء كان ذلك بنكاً أو شركة ناشئة، عندما لا يعود هناك مال، فإن الشركة تنهار. أما كريس، فهو يطلب مني أن أتحلى بالصبر...

- كريس رئيسك، قاطعني، يجب أن تفعلي ما يأمرك به، فهكذا تجري الأمور في المجمل.

شددت على قبضتَي لاحتواء انزعاجي.

- قد يكون بإمكانكما أنت وكريس إنشاء شركةٍ أخرى، وأنا سعيدةٌ من أجلكما، ولكن ماذا سيكون مصير رضا وفيكتوار إذا وجدا نفسيهما عاطلين عن العمل في غضون ستة أشهر؟

لم أقصد أن أكلمه بهذه القسوة، لكني شعرت بالاستياء جراء لهجته المتسلطة. قطب حاجبيه منزعجاً، لكن بدا وكأن حجتي أتت ثمارها لأن نبرة صوته لانت بعد ذلك.

- فيكتوار هي مَن تعمل على التطبيق، وخبرتها أقل مما زعمتْ، لذا يستغرق الأمر وقتاً أكثر مما توقعنا.

- ألا يمكنك أنت أن تتولى الأمر؟

- لدي أمور أخرى لأقوم بها.

أمسك بهاتفه وتصفح شيئاً ما على الشاشة، مقطباً حاجبيه. أطلقت ضحكة مشككة، مستغربة برودته.

- ما هو العمل الذي تقوم به مقابل راتبك بالضبط؟

خرج السؤال من تلقاء نفسه. شعرت بقبضتَي تتشنجان رغماً عني. كنت أعلم أن المحادثة ستنتهي على نحوٍ سيّئ، وأنه يتوجب عليّ طي الموضوع والانسحاب، لكنني كنت مرعوبة من فكرة فقدان هذه الوظيفة. وضع هاتفه جانباً ونظر إلى أعلى.

- بالنسبة إلى خبيرة في التمويل، لا تبدين لي ضليعة بما يكفي. أنا شريك؛ أي مبدئياً، لديّ أسهم في الشركة، ولا أتقاضى أجراً حتى ينجح المشروع. لذا ستعذرينني إن كانت لديّ مشاريع أخرى!

- جيرمي، قلت محاولة السيطرة على غضبي، هذه ليست وظيفتي، لكن إنشاء تطبيق قادر على جمع جوربَين معاً ليس بمثابة إيجاد علاج للسرطان، وكان ينبغي أن يتم ذلك منذ وقت طويلٍ.

- ومتى أصبحت خبيرةً في تطوير تطبيقات الهواتف؟

- سألت من حولي.

حدق بي، متماسكاً تماماً، ثم شبك يديه على مكتبه وواصل بهدوء، دون أن يشيح بنظره عني:

- في يوم مقابلتك، قلتِ إن فكرة هذه الشركة غبية تماماً، فلماذا هذه الرغبة المفاجِئة في إنقاذ السفينة؟

بقيتُ مصدومة للحظة، ثم صفعني يقين جديد: جيرمي لا يهتم بجمع شمل الجوارب اليتيمة، ومهما كان السبب وراء استثماره في الشركة، فهذا بالتأكيد ليس لأنه يؤمن بالمشروع. كان سؤاله منطقياً: نظرياً، أنا لا أهتم أيضاً، فقد قبلت هذه الوظيفة لأنني بحاجة إلى عملٍ فحسب. أيّاً كان. والمرة الأولى التي سمعت فيها فكرة هذا

التطبيق، وجدتها سخيفة تماماً. لكن الآن، وبعد أن عرفت كريس ورضا وفيكتوار، فإني أشعر بالمسؤولية، ودون أن أعي ذلك، تفاعلت مع المشروع أكثر مما كنت أعتقد. قد تكون مشاعري طفت على وجهي، لأنه راقبني بعناية، كما لو كان يحاول فهم ما يدور في رأسي.

– أنا شخص لا يعرف أنصاف الحلول، أجبتُ، فبما أنني انضممت إليكم، أنا أرغب الآن في أن ينجح المشروع. كما أن الفكرة ليست بهذا الغباء: الجميع مهتمٌّ بالهدر حالياً، وفي محاربة الاستهلاك المفرط، فنحن نشتري ملابس مستعملة أكثر من ذي قبل، ونعيد تدوير الأشياء... أنا لا أفهم، أنت المساهم الرئيسي في إيفردريم، وأكثر مَن سيخسر إذا أخفقنا، فإذا كنتَ لا تؤمن بهذا المشروع، ماذا تفعل هنا؟ آمل أنك لا تفعل ذلك لمجرد أنك تستمتع بتدمير آمال كريس!

عقدتُ ذراعَي على صدري، مصممة على عدم الاستسلام. مرّت شرارة في عينيه، شبيهة بتلك التي رأيتها قبل قليل عندما كان يدافع عن ابنته على الهاتف، وشعرت كما لو أنني أصبت وتراً حساساً.

لكن عندما استأنف الحديث، كان صوته محايداً تماماً:

– إذاً، أنت تدركين جيداً أن من جهةٍ، أنا وليس كريس مَن قرر منحك الفرصة التي طلبتها مني لتوظيفك هنا، ومن جهةٍ أخرى، يمكنني الرجوع عن قراري في أي وقتٍ إذا أردت ذلك، أليس كذلك؟

جمدني كلامه، وفقدت فجأةً رغبتي في العناد، وأثقل الوزن صدري. لا يمكنني تحمّل خسارة عملي من جديد. لمست معصمي

باحثة عن السوار وحاولت التقاط نفسي، ولا بد أنه لاحظ أنني لم أكن على ما يرام، لأنه واصل على الفور بقلقٍ واضح:

- كنت أمزح يا أليس، فليست لديّ نية في أن أفصلك.

تمتمت شيئاً غير مفهوم وهرعت خارج مكتبه.

- أليس، هل نأخذ استراحة قهوة؟ سألني رضا وأنا أمر أمامه بسرعة.

- لاحقاً، قلت بصعوبة.

ذهبت إلى دورة المياه وأغلقت خلفي باب أول مقصورة، واتكأت على الحائط. عددت واستنشقت ببطء.

واحد. شهيق.

اثنان. زفير.

ثلاثة. نَفَس.

أربعة. كل شيء على ما يرام.

شتّت انتباهي صوتٌ غير متوقع وألهاني عن هلعي. أصختُ السمع لاشعوريّاً. كان شخص ما يبكي بصمت في المقصورة المجاورة. ترددت للحظة ثم سألت عبر الحاجز:

- هل من أحد هناك؟

أجابني صمت قصير، تلاه بكاء مكتوم. بكاء طفلة. توقف اهتزاز يدَي على الفور، وكأن الحاجة إلى التصرف تغلّبت على مشاعري.

- سيكون الأمر على ما يرام، ما الذي يحدث؟ قلت بلطف شديد.

نخير ثم:

- أنا عالقة.

- لا يمكنك فتح الباب، أهذا ما تعنين؟

- نعم.

- ما اسمك؟

- زوي.

لا بد أنها ابنة جيرمي. ممتاز. سيتوجب عليّ الآن أن أحضره وأشرح له أن ابنته عالقةٌ في دورة المياه. ليس بالأمر المحرج على الإطلاق، خاصة بعد المحادثة التي أجريناها للتو.

- حسناً يا زوي، اسمي أليس، لا تقلقي، سأذهب وأحضر والدك.

- لا!

خرجت الكلمة بقناعة فاجأتني. سألتُ بعد ثانية من الصمت:

- لماذا؟

- لأني عندما أقع في مشكلة، تقول أمي إن العناية بي أمر معقد، ثم تغادر بعدها.

فتحت فمي، رغبت في أن أجد الكلمات الصائبة، لكن لم يخرج شيء. تذكرت لحناً حزيناً لبؤسِ طفلةٍ أخرى. حزن عميق. **أمي تفضل الاعتناء بك أكثر مني. أمي لا تحبني. أمي لا تراني.** ودون سابق إنذار، اجتاح الأسى عينَي. عادت زوي إلى البكاء في المقصورة المجاورة. أخذتُ نَفَساً عميقاً.

- حسناً يا زوي، لا تقلقي، أنا قادمة!

خلعت حذائي ذا الكعب العالي وصففته عند الحائط وطويت سترة بذلتي على أربعة، قبل أن أضعها على حذائي بعناية، ثم أغلقت وعاء المرحاض وصعدت فوقه وباشرت بتسلق الحاجز الفاصل بين المقصورتين، بغية التسلل بين الجزء العلوي من الحاجز والسقف.

وأنا واقفة بتوازن على السيفون، رأيت داخل المقصورة المجاورة. كانت زوي تجلس على البلاط ورأسها فوق ركبتيها. انتشر شعرها البني على كتفيها الهزيلتين المهتزتين بالبكاء.

- زوي؟

رفعتْ عينيها الكبيرتين الصافيتين ذاتَي الرموش الطويلة المبللة، النصف مخفية بغرتها الطويلة. أوقفت دهشتُها لرؤية رأسي دموعَها لبضع ثوانٍ.

- اذهبي إلى الزاوية كي لا أهبط عليك.

- لكنك ستسقطين! صرخت، ثم عادت إلى البكاء من جديد.

- لا، على الإطلاق، لا تخافي فأنا... بطلة في التسلق!

وواصلتُ ابتكار القصص لأهدئها:

- كان والدي حارساً في حديقة حيوان سنترال بارك وعندما كنت صغيرةً، كان أعز أصدقائي قرداً، وهو مَن علمني كل هذه الأشياء.

وأنا أتحدث إليها، مرّرت ساقاً فوق الحاجز. كانت المساحة ضيقة فعلق وركاي. توقفتْ زوي عن البكاء وارتسم الذهول على وجهها وهي تراقبني أحرك مؤخرتي محاولةً العبور.

سمعت صوتَ تمزقٍ مقلق.

- اللعنة!

أصبحت تنورتي خبر كان.

- لقد قلتِ «اللعنة»، أشارت زوي.

- هذا صحيح، أنا أعتذر.

- لا تقلقي، لن أكرر ذلك، أضافت مطمئنةً.

- شكراً لك.

- أنت تتحدثين بشكلٍ غريب، هل لديك لكنةٌ؟
التمزق الثاني: جورباي...
- تبّاً!
- ماذا قلت؟ «تُبّاً»؟
كنت الآن رسمياً على الحاجز، منفرجة الساقَين.
- لا، لا، انسي الأمر! إنها كلمة إنجليزية.
- هل أنت إنجليزيةٌ؟
- أمريكيةٌ.
- هل «تُبّاً» كلمةٌ أمريكيةٌ إذاً؟ ماذا تعني؟
تركت نفسي أنزلق على طول الحاجز وأنا أتنهد، ثم وضعت بحرص قدماً على كل جانب من الوعاء.
- تعني مرحباً، أجبتها، لكنها كلمة يعرفها عدد قليلٌ جداً من الناس، لذلك من الأفضل عدم استخدامها، اتفقنا؟
- اتفقنا.
هبطتُ أخيراً على البلاط. كانت زوي قد توقفت عن البكاء تماماً. حدقتْ بي، سعيدةٌ بأنها لم تعد وحدها.
- أأنت بخير؟ سألتها.
- نعم. لن تخبريهم بأنني كنت عالقةً في دورة المياه، حسناً؟
- حسناً.
- وعدٌ؟
- وعدٌ.
كان من الصعب فتح القفل فعلاً، لكن بعد ثلاث محاولات، تمكنت من فتحه. خرجتُ من المقصورة مصحوبة بزوي في اللحظة التي اقتحم فيها كل من جيرمي وفيكتوار وكريس ورضا دورة المياه.

تسمّروا في مكانهم عند رؤيتنا.

- زوي! صاح جيرمي، شاحباً من شدة القلق، لقد بحثت عنك في كل مكانٍ! ماذا حدث؟

توجهتْ عليّ كل الأنظار. فتحتُ فمي لأشرح الموقف، ثم شعرت بضغط يد الفتاة الصغيرة في يدي. لقد قطعتُ وعداً.

- آسفة، كنت عالقةً في دورة المياه، وساعدتني زوي على الخروج.

تبع صمتٌ هذا التصريح السخيف، فحدق بي الجميع بعيون مندهشةٍ. ولأول مرة، أدرت وجهي ورأيت انعكاسي في المرآة. كانت تسريحة ذيل الحصان غير مرتبة، وجورباي ممزقَين إلى أعلى الفخذين، وهو ما سهل رؤيته بما أن تنورتي كانت ممزقة بدورها حتى الخصر.

- أوه، نرى مؤخرتك، همس صوت زوي الصغير من ورائي.

ثم انفجرتْ ضاحكةً، وشعرت بدوري برعشةٍ تهز شفتَي، إذ انتابتني أنا أيضاً رغبةٌ ملحّة في الضحك.

- حسناً يا زوي، تعالي إلى هنا، وبّخها جيرمي الذي لم يرَ الموقف مضحكاً على الإطلاق.

قفزتْ نحوه وأمسكت بيده الممدودة، والتفتت إليّ قبل أن تخرج:

- ما اسمه؟ أعز صديق لك في حديقة الحيوان، يا أليس؟

- آه. . . أبراهام لينكولن! أجبت عشوائياً، وهو تصريح زاد الطين بلة.

- قرد اسمه أبراهام لنكولن! كررت زوي بوجه مبتهج قبل أن تختفي خلف والدها.

بعد ذلك بقليل، عدت لأجلس إلى مكتبي، مرتديةً سروال يوغا وقميصاً كبيرين أعارني إياهما كريس. ابتسم لي رضا، فكان من الواضح أنه مستمتعٌ بالموقف. ألقيت نظرة إلى مكتب جيرمي. خلف الباب الزجاجي، كان عاقداً حاجبيه من شدة القلق ويتحدث بجديةٍ بالغةٍ مع زوي، التي تحدق في السجادة بوجهٍ عابس.

- أعتقد أن جيرمي يحقق ليعرف ما إذا كنتُ متحرشة أطفال تريد اختطاف طفلته، حلّلت فيكتوار.

عضضت على شفتي.

- اللعنة، هل تعتقدين ذلك؟

- بكل تأكيد، قالت فيكتوار.

- أمر محتمل، أقر رضا بدوره.

وانفجر كلاهما ضاحكاً.

- هل تريدين تناول الغداء معنا اليوم؟ سألت فيكتوار فجأةً.

أدهشني عرضها، فعلى عكس كريس أو رضا، لم تبذل فيكتوار جهداً خاصاً للاقتراب مني.

- آسفة، لدي عمل لأقوم به...

- كلامٌ فارغٌ، قاطعتني، لقد مرت ثلاثة أشهر ونحن نشتغل معاً ولم يكن لديكِ الوقت لتناول الغداء معنا ولو مرة واحدة؟ إنه أمر غير محتمل إحصائيّاً. يدّعي رضا أنك لطيفة، لكن شخصياً، أنا لا أعتقد ذلك، ناهيك عن أنك قد تكونين متحرشة أطفال... وهو اجتماعياً، أبعد ما يكون عن اللطف، إذ حتى أنا أعرف ذلك.

- دعيها وشأنها. إنها خجولة، هذا كل شيء، تدخّل رضا وهو يهز كتفيه.

ولكن فيكتوار تجاهلته تماماً وواصلت:

- لماذا لا تعبّرين عن رأيك بصراحة؟ «لا، لا أريد أن أقضي وقتاً معكما، فأنا أجدكما مملّين و/أو سخيفَين وأفضّل مشاهدة فيديوهات عن القطط وحدي أمام حاسوبي بدلاً من إضاعة وقتي في تناول الغداء مع فاشلين مثلكما».

ظللت عاجزةً عن الكلام لبضع ثوانٍ أمام حدة كلامها، قبل أن أجيب بكل صدق:

- أنا لا أشاهد فيديوهات عن القطط، وهذا ليس رأيي فيكما على الإطلاق.

- وفقاً لدورة البرمجة اللغوية العصبية التي قمت بها، فإن جميع الإشارات التي ترسلينها تظهر عكس ذلك.

حدقتْ بي بوجهها المؤطر بالضفائر، في انتظار إجابة مقنعة. لم أرَ سوى طريقة واحدة للخروج من هذا المأزق، فقد تسببتُ بما يكفي من فوضى ليوم واحد. تنهدتُ.

- حسناً، سأسعد بتناول الغداء معكما.

ارتسمت ابتسامةٌ عابرةٌ على وجهها.

- تمام، أجابت، الثلاثاء هو يوم البيتزا، ونحن نغادر في تمام الثانية عشرة ظهراً، فلا تتأخري. وإذا كنتِ خجولةً، فأنت لست مضطرة إلى أن تتحدثي، فعلى أي حالٍ، دائماً ما يحتكر رضا المحادثة.

- هذا ليس صحيحاً...، اعترض رضا.

- إنها الحقيقة، قاطعته. لقد وقّتُّ المحادثات، فأنت تشغل وسطياً ثلاثة وثمانين في المائة من وقت المحادثة. وأنت مدين لي بعشرة يورو، فقد قلت لك إنني سأنجح في إقناعها بأن تأتي معنا.

عبس رضا، محرجاً، ولم أعرف ما إذا كان من الجيد أن أكون موضوع رهانٍ بينهما. عدتُ إلى العمل دون أن أضيف كلمة.

ذهبت معهما في استراحة الغداء، وتبين أن رضا يحتكر المحادثة فعلاً، مع موضوعه المفضل بعد قانون العمل: الولايات المتحدة الأميركية، والتي يتحدث معي عنها أيضاً أثناء «استراحات القهوة». كان مستواه في اللغة الإنجليزية كارثيّاً حقاً.

في نهاية فترة ما بعد الظهر، وفيما كان جيرمي يمر أمام مكتبي ممسكاً بيد زوي، لوّحت لي بيدها وصرخت بفرحٍ على مسمع الجميع في الفضاء المفتوح:

- تُبّاً، يا أليس!

تسمّر جيرمي في مكانه مذهولاً، وقطبتُ حاجبَي معبرةً عن سوء فهمي، غير متأكدة ما إذا كان عليّ أن أشرح له، أو أعتذر، أو أتظاهر بأن لا علاقة لي بالموضوع. إلا أن زوي، عند رؤيتها تعابير وجه والدها، أوضحت له بلطف:

- إنها تعني «مرحباً» باللغة الأمريكية، وأليس مَن علمتني إياها. لكن لا يعرفها الكثير من الناس.

أطلق جيرمي تنهيدةً طويلةً ورمقني بنظرة قاتمة.

- فلنذهب إلى المنزل، يا صغيرتي، ولا تستخدمي هذه الكلمة مجدداً.

كان رضا وفيكتوار مختبئين خلف شاشاتيهما، يبكيان من الضحك. أما أنا، فقلت في نفسي إن علاقاتي مع جيرمي ميلر لم تكن على وشك التحسن إطلاقاً.

يوميات أليس

لندن، 8 ديسمبر 2011

مرحباً يا بروس،

كيف الحال؟

أنا متأكدةٌ من أنك ستكون مسروراً لمعرفة أنه أتتني الدورة الشهرية صباح أمس. لقد تأخرتْ يومين، وفي غضون 48 ساعة، أنفقتُ ما يعادل الناتج المحلي الإجمالي للصين في شراء أجهزة كشف الحمل. لقد أخفيتها في سلة المهملات حتى لا يراها أوليفر. وكانت كلها سلبيةً بطبيعة الحال.

- كيف يُشعرك ذلك؟ سألتني الطبيبة النفسية.

كدت أنهال عليها بالشتائم.

كنت أفضّل التحدث عن طفولتي بدلاً من الحمل، فبصراحةٍ، لم يكن بإمكاني التحمل أكثر من ذلك. لقد قرأت ما يكفي من المقالات والكتب حول الحمل بحيث كان بإمكاني أن أدّعي أنني طبيبة نسائية.

وبالمناسبة، لقد حصلت على ترقية مهمة وزودة كبيرة. كان من المفترض أن يسعدني ذلك، إلا أنني لا أبالي. كنت أفضّل أن أُفصل

وأكون حاملاً بدلاً من ذلك. قلت ذلك لأوليفر، فأجاب:

- كان من الممكن ألّا تكوني حاملاً وأن تُفصلي في آن واحد. تفكيرٌ إيجابيٌّ لعينٌ.

لنتحدث عن سكارليت، فأنا متأكدة أنك تهتم بأمرها أكثر من أمري يا بروس. على أية حال، الجميع يهتم بأمر سكارليت أكثر من أمري.

لنتحدث عن اللحظة التي تغيرت فيها حياة سكارليت. كان ذلك في نوفمبر عام 1995، فقد اتخذ مصيرها منعطفاً غير متوقع: إنها وقعت في الحب لأول مرة.

لا أعرف السبب، لكن كان لديّ شعور بأن شيئاً ما سيحدث. اقترب عيد الشكر وكانت سكارليت تشعر بالملل. كنت في الحادية عشرة من عمري، وأصبحت أختي الصغيرة متمردةً قبل سن المراهقة، في حربٍ دائمة ضد كل شيء، ضد كل أنواع القيود، بدءاً بالراشدين، ونالت ساعات حجز ودرجات كارثية بالمئات.

كنا لا نزال في نفس الفصل وبقدر ما أحببت أختي، كان من الصعب إنكار حقيقة أنها تلميذة لا تطاق. كانت تتأخر على الدوام، رغم أننا كنا نأتي إلى المدرسة معاً وكنت دائماً أصل في الوقت المحدد تماماً. أما هي، فكانت تتسكع حتى يرن الجرس، وتمر بالكافيتريا، حيث كانت تستفز طلاب الصف التاسع، الأطول والأقوى منها بكثير، كما كانت ترد على المعلمين، وتقاطع الدروس بتعليقاتٍ وقحةٍ، وتنام على طاولتها. كانت أيضاً مهرج الفصل، وقد أرهبت مدرِّسة اللغة الفرنسية على وجه خاص. كانت كلتانا تتقن اللغة الفرنسية، فكانت سكارليت تصحح أخطاء السيدة جيرفيه بصوت عالٍ، ما سلب مصداقية هذه المرأة المسكينة، التي كانت

شفتها ترتجف جراء وخز عصبي كل مرة رفعت فيها أختي إصبعها في الفصل، مدّعية الاجتهاد.

وحوالي هذه الفترة، بدأت سكارليت تتحدث عن والدنا كثيراً. كانت تتساءل ما إذا كان قد حقق «الأشياء العظيمة» التي ذكرها في رسالة الانفصال.

- أنا أيضاً، قالت بغطرسة الطفولة، سأغادر كوينزتاون وأقوم بأشياء عظيمة. عليّ فقط أن أقرر ما هي هذه الأشياء.

كثيراً ما أظهرت نفاد صبرها وتوقها إلى التقدم في حياتها، خاصة وأن صديقاتنا المحيطات بنا كن قد دخلن سن المراهقة، فأمضت كاري عطلات نهاية الأسبوع في نيويورك مع والدها المطلق وكانت تتحدث عن إقامة حفل راقص في نهاية العام، وكانت داكوتا قد أتتها دورتها الشهرية لأول مرة، وادعت آشلي أنها قبّلت تلميذاً في الصف الرابع في قاعة الرياضة. أما عندنا، فلم يحدث شيء، أو على الأقل لا شيء سوى الروتين: المدرسة خلال الأسبوع، والمعكرونة بالجبن واستئجار شريط فيديو من المركز التجاري ليلة السبت.

ذات صباح، نهضت سكارليت وأخبرتني بمنتهى الجدية:

- أليس، بما أن وقتي للقيام بأشياء عظيمة محدود، لديّ خطة رائعة لعينة للنجاح في حياتي.

- ما هي؟

- لقد قررت التوقف عن إضاعة وقتي والشروع في أزمة المراهقة خاصتي.

وبما أن سكارليت لا تقوم بالأشياء إلّا على أتم وجه، فقد دخلت في أزمة مراهقة أكثر انفجاراً من إصبع ديناميت. ومنذ ذلك

اليوم، بدأت تتجول في المنزل مثل روح حزينة، مع ثَنية استياء فوق أنفها الأفطس، كما لو كانت تشعر بالاشمئزاز من رائحة كريهة طوال الوقت: رائحة رداءة حياتنا الصغيرة. كانت تغضب من دون سبب أو تبكي أثناء مشاهدة الأخبار على التلفاز، وحتى أنا لم أستطع إبهاجها. ففي نظرها، كان كل شيء بائساً، ومضحكاً، وصغيراً، ولم يكن لحياتنا أي معنى. هي لم تعد قادرة على تحمّل أحد، وتمر بنوبات غضبٍ جنونيةٍ تكسر فيها الأطباق وتصرخ في وجه أمي قائلةً إنها تفضل الموت على أن ينتهي بها المطاف مثلها، في حياة مثيرة للشفقة وخالية من أي طموح وتفاهاتٍ أخرى لاذعةٍ مثل شعارات إعلانية، تعبّر عنها بكمٍّ من الصدق جعلنا لا نعرف كيف نجيب عليها. وكلما تجاهلتها أمي، بالغت سكارليت في سلوكها هذا.

في أحد أيام السبت الذي وصفت فيه سكارليت حياتنا اليومية بالـ «مزرية» منذ وجبة الإفطار (لأنه لم يكن هناك جبن كريمي)، قررت أمي، التي كانت قد تلقّت للتو شيكاً مهماً لترجمة سلسلة من الروايات الإباحية، أن تأخذنا إلى المطعم للاحتفال بتقريري المدرسي الأخير الذي لم يتضمن سوى علامات «A» و«A+». كانت قد احتفظت من أصولها الفرنسية بعشق للطبخ الرفيع، إذ كانت كل كوينزتاون تحسدنا على عشوات عيد الشكر الفخمة التي أعدّتها لنا أمي كل عام على الرغم من ميزانيتنا الضيقة. كانت ناقدة شديدة للوجبات السريعة الأمريكية، ولم تكرم أبداً أياً من متاجر الوجبات السريعة الموجودة في المركز التجاري، ومنحت لقب «مطعم» لأربع مؤسسات في كوينزتاون فقط: مطعم إيطالي كان يتمتع بسمعة طيبة إلى حد ما، ومطعم للمأكولات البحرية في الميناء، ومطعم لشرائح اللحم في وسط المدينة، وبوبز برغرز الواقع على الطريق السريع عند

مدخل المدينة، وهو «داينر» أمريكي نموذجي حصل على مكانٍ في هذا الترتيب الصارم فقط لأن بوب كان مغرماً بأمي سراً (وهو ما يعني بطبيعة الحال أن كل كوينزتاون كانت على علم بذلك).

أخذتنا أمي إذاً لتناول العشاء في بوبز. كان المطعم يذكرنا بال«الداينر» حيث شرب بطلا فيلم «غريس[1]» مخفوق الحليب، حتى أنه كانت هناك آلة جوك بوكس[2]. كان بوب قد ورث المؤسسة من جده، بحيث كانت مقاعد الجلد الحمراء البالية التي تواجه بعضها بعضاً في المقصورات تعود إلى خمسينيات القرن الماضي، والتلفاز الموضوع فوق المنضدة مشغلاً على مدار الساعة. أذكر أنه أمام المدخل في تلك الليلة، كان هناك رجل يضع لوحتين إعلانيتين على كتفيه ويلوّح بسهم أحمر عملاق للإشارة إلى موقع المطعم للسيارات التي تمر في الطريق السريع. جلسنا في مقصورة وقرأنا القائمة. طلبت أمي سلطةً وسكارليت برغر بالجبن واللحم المقدد من دون بصل، مع بطاطا حلوة مقلية ومخفوق الفراولة. من الغريب أنني ما زلت أذكر طلبها، لأنني لا أذكر طلبي على الإطلاق.

كان التلفاز يعرض قناة إم تي في، وكان الصوت عالياً بما يكفي لتصل إلينا الموسيقى. كانت هناك لحظةٌ فاصلة عندما أفسح صوت خوان أوزبورن المكان للصمت، فأدرنا رؤوسنا نحو الشاشة، متفاجئات من توقف الموسيقى. انتقلت الصورة إلى الأبيض والأسود بعد ذلك، وظهر على الشاشة مشغل أسطوانات فينيل موضوع على

(1) Grease هو فيلم موسيقي كوميدي رومانسي صدر في الولايات المتحدة عام 1978 - المترجمة.

(2) جهاز شبه آلي يقوم بتشغيل الموسيقى، وعادة ما يعمل بقطع النقود المعدنية - المترجمة.

الأرضية الخرسانية لحظيرة مهجورة، ثم ظهر موسيقيّ بريطاني شبيه بأفراد فرقة «البيتلز[1]» ذو نظرة صافية وسترة سوداء، وراح يعزف على غيتارته. لم يكن ليام غلاغير وسيماً على نحوٍ مميز، بل بدا وكأنه مراهق تائه بعض الشيء في قميصه ذي المربعات، ولكن حتى بالأبيض والأسود، كانت عيناه، المليئتان بحزن غريب، زرقاوين لدرجة أنه بدا لنا أننا نرى المحيط من خلالهما.

منذ ذلك اليوم، كلما سمعت «وندروول»، رأيت شروق الشمس على وجه سكارليت، ورأيت عينيها المفتوحتين بإعجاب، وابتسامةَ طفلةٍ مبهَرة في صباح عيد الميلاد ذكرتني بوالدي. هذه الأغنية، بالنسبة إليّ، سترتبط إلى الأبد بأختي وبكل ما حدث بعد ذلك. كان ليام غلاغير، مغنّي فرقة «أويسس»، وكان في الثالثة والعشرين من العمر آنذاك، ولم تكن الفرقة التي بنت سمعة صغيرة في إنجلترا معروفةً بعد في الولايات المتحدة فكانت هذه المرة الأولى التي نسمع فيها عنها. كان حبّاً من أول نظرة. وقعت سكارليت في الحب بجنون، وفي ذلك اليوم، بفم مفتوح والبرغر يقطر في يدها، قررت أختي الصغيرة، بكل بساطة، أنها ستصبح نجمة موسيقى الروك.

وأنا أكتب هذه السطور، أتخيلها ترفع عينيها إلى أعلى وتتنهد:

- إنها ليست موسيقى الروك، يا أليس، إنه البانك[2].

---

(1) The Beatles أي «الخنافس» هي فرقة روك غنائية بريطانية تشكلت في ليفربول عام 1960، وأصبحت من أكثر الفرق الموسيقية نجاحاً وشهرةً في تاريخ الموسيقى الشعبية - المترجمة.

(2) البانك هو نوع موسيقي ظهر في منتصف سبعينيات القرن الماضي - المترجمة.

عدنا من بويز برغرز قبل الثامنة مساءً بقليل (كنا دائماً ما نتناول وجبة العشاء حوالي الساعة السادسة مساءً). ظلت سكارليت صامتةً طوال العشاء، وفي طريقنا إلى المنزل، أخبرتنا أمي عن طفولتها في فرنسا. كانت قد نشأت في بريتاني ثم درست في باريس قبل أن تذهب إلى الولايات المتحدة في برنامج تبادل طلابي. فاجأتني هذه المحادثة لأنها نادراً ما حدّثتنا عن شبابها، بحيث شعرتُ أحياناً بأن حياتها بدأت لدى وصولها الولايات المتحدة، ربما لأنها كانت قد قطعت كل اتصال مع عائلتها في فرنسا، فهم لم يباركوا انتقالها للاستقرار في الجانب الآخر من العالم مع رجل لم يثقوا به (في هذه النقطة، أظهر التاريخ أنهم كانوا على حق).

وبما أن الأمسية كانت قد بدأت للتو، اقترحت أمي أن نشاهد فيلماً، وكانت قد أعدّت عجينة الكوكيز بالجوز، وهي المفضلة لديّ، استعداداً للسهرة التلفزيونية الأسبوعية، لكن سكارليت أعلنت أنها ستخلد للنوم وذهبت لتنعزل في غرفتنا.

كنا نعيش في منزلٍ خشبي مطلي باللون الأزرق، وهو الطراز النموذجي في نيو إنغلاند. في فصل الشتاء، كانت الثلوج تصل أحياناً إلى منتصف نوافذ الطابق الأرضي؛ أما في الصيف، فكنا نقضي أنا وسكارليت فترة بعد الظهر منهكتَين من شدة الحرارة، مسترخيتَين رأساً على عقب في الأرجوحة الشبكية المعلقة في الشرفة الأمامية حيث يرفرف العلم الأمريكي. ورغم السجادة السميكة التي غطت أرضية الطابق الأول، كانت الجدران رقيقةً بحيث كان بإمكاننا، قبل هروبه مع سائقة الحافلة المدرسية، سماع شخير أبي في الجانب الآخر من الردهة.

طلبت مني أمي أن أختار أحد الأشرطة المتوفرة لدينا في المنزل

بينما خبزت الكوكيز في الفرن، وشاهدت «فلاش دانس[1]» وهي تضمّني في حضنها، وصحن الكوكيز فوق ركبتَي المغطاتين ببطانية من الصوف.

لم تنزل سكارليت، إلا أننا سمعناها تتحرك فوق رأسينا، ما دلّ على أنها لم تكن نائمة على الإطلاق. عبرت غرفة المعيشة مرة، وسألت من المطبخ عن مكان المقص وصعدت على الفور، دون أن تلقي ولو نظرة خاطفة على الشاشة حيث كانت جينيفر بيلز تدور مثل المهووسة.

عندما التحقت بسكارليت في غرفتنا بعد انتهاء الفيلم، كانت جالسة على سريرها أمام نافذة العلية، محاطةً ببقايا الورق المقوى. أسدلتُ الستائر واغتنمت الفرصة للنظر إلى ما كانت تفعله.

- ماذا تفعلين؟

- سأتعلم الموسيقى، أجابت دون أن ترفع رأسها.

كانت قد رسمت مستطيلات على قطعٍ من الورق المقوى المثبتة معاً بشريط لاصق، بحيث صنعت لوحة مفاتيح بدائية استناداً إلى رسم في كتاب قديم عن الصولفيج والذي لا بد أنه كان لأمي، لأنه كان باللغة الفرنسية.

- هل ستعزفين على البيانو؟

- كبدايةٍ، بما أن هناك بيانو في قاعة الموسيقى بالمدرسة. وبعد ذلك، عندما يكون لدي ما يكفي من المال، سأشتري غيتارة وسأتعلم العزف عليها والغناء لأصبح نجمةً مثل مغني أويسس. أليست هذه خطة رائعة لعينة؟

---

(1) **Flashdance** هو فيلم رومانسي بطلته راقصة باليه صدر في الولايات المتحدة عام 1983 - المترجمة.

لم أكن أعرف ماذا أقول، فذهبت لأنظف أسناني، وعندما عدت إلى الغرفة مرتديةً بيجامتي المخططة، كانت مشغولةً بتلوين علامات الرفع الموسيقية باللون الأسود، مركزة تماماً، وطرف لسانها الوردي بارز من بين أسنانها. نظرتْ إليّ مقطبة حاجبيها كما لو أنها تراني لأول مرة وسألتني بجدية شديدة:

- أم تفضلين أن نشكل فرقة معاً؟ لكن سأكون أنا القائدة، حتى لو أنت الأكبر، لأنها فكرتي.

- لا، أنا سأكون راقصة، قلت بحزم.

كنت متحمسةً طبعاً لأداء جينيفر بيلز في «فلاش دانس»، لكنني مستاءةٌ أيضاً لأن سكارليت شككت في حقي في البكورة وعرضت عليّ منصباً ثانوياً.

- تمام، قالت وهي تستأنف عملها، يمكنك أن ترقصي في فيديوهاتي الموسيقية.

تتشكل الحياة من قراراتٍ صغيرةٍ. فمع كل خطوةٍ، وكل فعلٍ، وكل خيارٍ، نتقدم في طريق بدلاً من آخر. نعلم ماذا نختار، لكننا لا نعرف أبداً عما نتخلى. فجواب بسيط على سؤالٍ قد يبدو صبيانياً يمكن أن يغير مصيراً بأكمله. وحتى يومنا هذا، ما زلت أتساءل كيف كانت ستكون حياتي إذا قبلت اقتراحها في تلك الليلة.

في المراحل الأولى، لم يأخذ أحد سكارليت على محمل الجد، بمن فيهم أنا. فمثل معظم الاهتمامات العابرة التي كانت قد اخترعتها سابقاً، كان من المفترض أن يكون هذا الافتتان المباغت بالموسيقى سريع الزوال بقدر ما كان مفاجئاً. كان سينتهي الأمر بالبيانو الكرتوني بالتعفن على رف المرآب وكانت ستنتقل إلى شيء آخر. لكن كان يكفي أن تقول لسكارليت إن أمراً ما كان مستحيلاً

لكي تتفرغ له. ومنذ البداية، وجدت أمي هذا الشغف الجديد سخيفاً ولم تتردد في البوح برأيها لسكارليت، إلا أن التمرد كان يجري في دم أختي الصغيرة، ولطالما دافعت عن القضايا الخاسرة والتحديات المجنونة. ولأنه لم يكن هناك ما يشير إلى أنها كانت مُقَدَّرَةً على عزف الموسيقى، قررت أن الموسيقى ستكون المسار الوحيد الممكن لها.

وفَّرت قاعة الموسيقى في ثانوية جونيور بكوينزتاون بيانو للطلاب، فذهبت سكارليت إلى الإدارة وطلبت إذناً لاستعماله، لكن قيل لها إن قاعة الموسيقى مخصصة لطلاب المدرسة الثانوية، إلا أن بإمكانها محاولة الحصول على إذن خاص من السيدة هاملتون، معلمة الموسيقى.

كانت السيدة هاملتون امرأة عانساً مولوعة بباخ، بتسريحة كعكة رمادية صارمة، وبدت وكأنها ولدت بنظارتها. كانت مفعمة بالطاقة، تقضي فصولها في عبور الممرات وهي تقوم بحركاتٍ نشيطة، كما كانت مهووسةً بالموسيقى الكلاسيكية التي، بطبيعة الحال، لم يكن أحد مهتماً بها. وكانت تكره سكارليت على وجه الخصوص، منذ طلت هذه الأخيرة كرسيها بالصمغ اللاصق قبل ذلك بثلاثة أسابيع فقط.

استحضرت صورة السيدة هاملتون وهي تحاول النهوض من كرسيها من خلال هزاتٍ صغيرة متحفظة جعلت لآلئ أذنيها تهتز، قبل أن تدرك أن تنورتها الصوفية كانت ملتصقةً بالخشب.

- من فعل هذا؟ سألت ببرود.

فرفعت سكارليت إصبعها وأجابت بسفاهةٍ:

- آسفة، لكن طوفانك الدائم يصيبني بالدوار.

ضحك الجميع ما عدا السيدة هاملتون بطبيعة الحال.

- يسعدني أن ألاحظ، يا آنسة سميث-ريفيير، أنك تُظهرين نفس النقص في الذكاء والخيال في نكاتك كما في واجباتك المدرسية. فبدلاً من السعي إلى التفوق في الغباء والفشل، من الأفضل أن تحذي حذو أختك التي، على عكسك، لديها فرصة في النجاح في الحياة.

كنت جالسةً بجانب سكارليت، فرأيت فكها يتشنج وابتسامتها الوقحة تتجمد. استأنفت السيدة هاملتون درسها، جالسة على كرسيها، ووضعتُ يدي على ذراع أختي الصغيرة.

- إنها خرقاء، همستُ قائلة.

تحررت من قبضة يدي دون أن تجيب، وكرهتُ السيدة هاملتون.

وبعد ذلك بثلاثة أسابيع، ذهبت سكارليت بشجاعة لتطلب من السيدة هاملتون إذناً خاصاً لولوج قاعة الموسيقى، وبعد أن اعتذرت لها، بناءً على نصيحتي. رفضت السيدة هاملتون منحها ذلك الإذن، وهو ما كان متوقعاً. لم أعرف أبداً ماذا قالت لها بالضبط، إلا أن سكارليت، في تلك الليلة، بكت طويلاً في وسادتها.

واصلت سكارليت التدرب على البيانو الورقي. لم يكن اليوتيوب متوفراً بعد، ولم تكن لدينا خدمة إنترنت في المنزل. استعارت كتباً عن الصولفيج من مكتبة المدرسة وعملت على موسيقاها كل يوم، دون سماع نوتة واحدة.

وخلال الشهر التالي، استلقيت على لحافي كل ليلةٍ وراجعت دروسي أو قرأت روايات أمي القديمة باللغة الفرنسية (في ذلك الوقت، كنت أريد أن أصبح مترجمةً مثلها) فيما استمعت بأذن مشتتة

إلى حفيف أصابع سكارليت المنتظم على الورق المقوى وإلى النوتات التي كررتها بصوت منخفض، مراراً وتكراراً. بدا لي مملاً أن تربت على ورق مقوى بإيقاع، خاصة وأن سكارليت لم تكن تغني النوتات، بل تتمتمها بين أسنانها، بجديةٍ وتركيزٍ كما لو كانت تفكك قنبلة. توقعتها أن تتخلى عن هذا المشروع الغريب في أي وقت، لكنها لم تفعل.

سألتها ذات يومٍ:

- ماذا تتعلمين؟ قطعة موسيقية حقيقية؟

- نعم، «من أجل إليزه»[1].

- ما هذا؟

- قطعتي الموسيقية الوحيدة، سرقتها من صندوق في مرآب الجيران.

- ولكن كيف لك أن تعرفي أنك لا تخطئين إذا كنت لا تستطيعين سماع القطعة؟

نظرتْ إلى أعلى، وعيناها البنيتان مذهولتان، وقالت:

- بالطبع أسمعها، في رأسي، أسمعها حقاً.

ثم أضافت، بخيبة أمل:

- اعتقدتُ أنك تسمعينها أيضاً.

لم أسمع شيئاً، لكنني أردت ذلك. لذا، ذهبت في اليوم التالي لرؤية السيدة هاملتون في مكتبها. رحبت بي كخبرٍ سعيد، بابتسامة وكوكيز بالزبيب.

---

(1) **Für Elise** بالألمانية، وهي إحدى مؤلفات بيتهوفن وقد أصدرها الموسيقار الشهير عام 1810 - المترجمة.

- سيدة هاملتون، يجب أن تدعي سكارليت تعزف على البيانو في قاعة الموسيقى.

- أنا آسفة، يا أليس، لكن قاعة الموسيقى مخصصة لطلاب الثانوية فقط.

- لكن يمكنك منحها إذناً خاصاً.

- سكارليت مهمِلة، أنا لا أثق بها. كان بإمكاني إعطاء المفاتيح لك أنت، لكن لا أحد يعرف ماذا يمكن لها أن تخترع.

فكرت لبضع ثوانٍ.

- أعطيني إياها إذاً، وسأبقى معها طوال الوقت، أعدك بذلك، وسأعيدها إليك بعد كل حصة.

- أليس، من المؤثر أنك تدافعين عن أختك، لكن سكارليت مهمِلة وغير ناضجةٍ، والاستثناءات لقاعة الموسيقى نادرةٌ و...

- إنها مسألة حياة أو موت يا سيدة هاملتون!

تحدثتُ بجدية بالغة ونظرت في عينيها بشدةٍ أظهرتها كثيراً عند الدفاع عن سكارليت، لكن نادراً ما كنت قادرةً على استخدامها لنفسي. كنت في الحادية عشرة من عمري، وكنت تلميذةً مجتهدةً وموثوقاً بها، فكان الكبار يقدرونني بقدر ما وجدني الأطفال مملةً. خلعت السيدة هاملتون نظارتها نصف الدائرية المربوطة بسلسلة، ومسحتها بكمّ سترتها ذات اللون الأخضر اليانسوني قبل أن تضعها فوق أنفها من جديد. حاولتْ قراءة وجهي المتوسل والنفاذ إلى عمق أفكاري، وقد تكون قد تخيلتْ مأساة عائلية ما، أو تأثرت بعزمي على مساعدة أختي الصغيرة، إذ تنهدت تنهيدةً طويلةً وقالت:

- إذا حدثت أي مشكلة...

- لن تحدث أي مشكلةٍ يا سيدة هاملتون.

ويوم الثلاثاء التالي، طلبتُ من سكارليت أن تنتظرني بعد فصل التاريخ وذهبت إلى مكتب السيدة هاملتون لأحضر المفاتيح، وسحبت أختي التي كانت تشكو من أنه ليس لديها وقت لتضيعه، إلى قاعة الموسيقى. أمام الباب المغلق، صمتتْ وأخرجتُ المفاتيح من جيب سروالي الجينز، منتصرةً. انفتح فمُها وأضاء وجهُها، مثل اليوم الذي شاهدت فيه فيديو وندروول، قبل ذلك بشهر.

- كيف فعلت ذلك؟

- كانت لديّ خطة رائعة لعينة، قلت مبتسمةً.

اندفعت نحوي وعانقتني بشدةٍ.

- شكراً لك يا أليس، أنت الوحيدة التي تفهمني، همست في أذني.

فتحتُ الباب فدخلت سكارليت القاعة. وقفتْ بلا حراك للحظة. كانت الستائر منسدلةً بسبب الشمس، فكنا في مايو وكان الجو حاراً في الخارج. سقطت أشعة من الضوء على البيانو المغلق. كان بيانو قديماً مستقيماً، لا قيمة له. ومع ذلك، اقتربت منه سكارليت بخشوع، كما لو أنها تقترب من مذبح في كنيسة صامتة.

دخلتُ وراءها ووضعت حقيبة ظهري على كرسي، وجفلتُ عندما اخترق ظل السيدة هاملتون الباب الذي لم أغلقه. ابتسمت لي، ثم استعادت ملامحها الصارمة لتستدير نحو سكارليت. فتحت فمَها كما لو أنها كانت ستقول لها شيئاً، ستحذرها ربما، ثم بدت وكأنها غيرت رأيها واكتفت بمراقبتها. بدت سكارليت مثل طفلة ترى البحر لأول مرة. افتتانٌ مطلقٌ. مررت أصابعها على غطاء البيانو، ثم جلست أمامه وفتحته، وبدا على وجهها مزيج من الاحترام والخجل غير المعهود تماماً.

- أنا آسفة، لقد نسيت قطعتي، همست.

كان من الواضح أنها لم تخاطبني، ولم تخاطب السيدة هاملتون التي لم تلاحظ وجودها حتى، بل تخاطب الآلة. جلستْ على المقعد المنخفض وبدأت في عزف «من أجل إليزه» ببطء، ولكن، كما أشارت السيدة هاملتون لاحقاً، من دون أي نوتة شاذة، ثم توقفتْ فجأة واستدارت نحوي، وكأنها تريد رأيي.

- كان هذا لطيفاً، لكنك توقفت فجأة.

- لقد توقفت في منتصف الشطر الحادي والعشرين، إذ كانت الصفحات ممزقةً بعد ذلك.

ولثلاثة أيام ثلاثاء متتالية، جاءت السيدة هاملتون لتستمع إلى سكارليت وهي تعزف «من أجل إليزه» حتى منتصف الشطر الحادي والعشرين. أما أنا، فأعترف أنني تعبت من سماع نفس النوتات لعدد لا يُحصى من المرات. وفي الثلاثاء الثالث، بقيت السيدة هاملتون حتى النهاية، ولم تبدُ سكارليت متفاجئةً من وجودها عندما جمعت بعناية قطعتها الثمينة في حقيبتها.

- هل تعلمتِ حقاً «من أجل إليزه» بمفردك؟ هل ترغبين في أخذ الدروس؟ سألت السيدة هاملتون.

ترددت سكارليت، مشككة في نوايا المدرِّسة وفي نوع الفخ الذي قد تنصبه لها.

- أود أن أتعلم العزف على الغيتارة، أجابت أخيراً، والغناء أيضاً، لأشكل فرقة روك.

- الروك موسيقى البلطجية، لكن لا يهم، قالت السيدة هاملتون بنبرة سلطوية. ابتداءً من الثلاثاء المقبل، سأعطيك دروساً في البيانو والغناء.

وبهذا، تحررتُ من واجب المراقبة وشعرت بمزيج من الراحة والحزن عندما أُغْلِق الباب وراء سكارليت والسيدة هاملتون يوم الثلاثاء التالي، في درسهما الأول. شعرت بنفسي مستبعدة.

بعد ستة أشهر، مرّت السيدة هاملتون إلى منزلنا بعد المدرسة. تحدثت طويلاً إلى أمي في المطبخ، بصوت منخفض. ورغم أننا حاولنا الاستماع إليهما من خلال سجادة غرفتنا، لن نعرف أبداً ماذا دار بينهما ذلك اليوم. وفي السبت التالي، ذهبنا بالحافلة إلى بروفيدانس، وحصلت سكارليت على غيتارتها الأولى، وحرصت أمي على أن تقول لها إنها ستكون هدية عيد الميلاد وعيد ميلادها على مدى السنوات الثلاث المقبلة وإنها ستعاقب لأنها جعلت رفضها مستحيلاً بتمرير مطلبها عبر مدرِّستنا. لقد كانت غيتارة كلاسيكية منخفضة الجودة، أطلقت عليها سكارليت اسم هاملتون. وبمصروف الجيب الذي كانت تدخره منذ شهور لشراء آلة أحلامها، اشترت باقة ضخمة من الزهور لمعلِّمة الموسيقى.

في اليوم الذي تلى مهزلة دورة المياه مع زوي، كنت أول مَن وصل إلى المكتب، كالعادة. ظهر جيرمي في حوالي الساعة العاشرة صباحاً ويداه في جيبيه. نهضت فيكتوار استعداداً للتوجه إلى مكتبه ككل صباح، لكنه طلب منها الجلوس.

- أليس، أيمكنك أن تأتي إلى مكتبي، من فضلك؟

قفزتُ وصادفت عينَيه الزرقاوين غير القابلتين للقراءة كالعادة.

- نعم، أجبت بصوت محايدٍ.

انتابتني قشعريرة من القلق. كان مكتب جيرمي أكثر بساطة من مكتب كريس، إذ كان الشيء الشخصي الوحيد فيه هو صورة ابنته في إطار كتبت عليه بالصديفات المطمورة في العجين عبارة «عيداً سعيداً يا أبي العزيز». فلو لم تنطلق علاقتنا على هذا النحو السيئ، لكان أعجبني فيه جانب الوالد الحريص هذا.

- اجلسي.

خلع سترته وأسقطها على ظهر الكرسي، ثم أغلق الباب، وهو أمر لم أره يقوم به مع فيكتوار. ملأتني نفحة من الهلع فبدأت أصابعي تبحث عن السوار على معصمي. جلس أمامي وقال:

- أعتقد أننا انطلقنا على أسس سيئة، أنا وأنت، وأردت أن أعتذر عن ذلك.

ظللت صامتةً، من شدة تفاجئي بكلامه. توقعت أي شيء إلّا الاعتذار ولا بد أنه أخذ هذا الصمت كدعوة للاستمرار:

- لقد أخبرتني زوي بما حدث حقاً في دورة المياه، وأشكرك على مساعدتك لها، فهي فتاة صغيرة حساسة جداً.

ترددت قبل أن أجيب بصوت مضطرب:

- حسناً... أنا آسفة أيضاً، ما كان عليّ أن أتحدث إلى كريس من وراء ظهرك، لم أفكر في الأمر. لكن (تنهدتُ)، لكن عندما أبدأ العمل على شيء، لا أتهاون، بل أقوم به على أكمل وجه.

- إنها لصفة حميدة أن تكوني متفانيةً، ويصعب عليّ لومك على ذلك. وإذا كنت تريدين معرفة الحقيقة، فإن التطبيق الأساسي جاهزٌ منذ فترةٍ طويلةٍ.

- فلماذا لا نصدره إذاً؟

- لأن كريس يطلب باستمرار ميزاتٍ جديدة عديمة الفائدة، أدواتٍ مثل القدرة على إدخال ذكرى مرتبطة بجورب ما، أو الحصول على ميدالية للجوارب النادرة أو القديمة...

- ألا يمكن إصدار التطبيق الأساسي وإضافة ميزات بعد ذلك؟

- بلى، لكن كريس لا يريد ذلك.

- لماذا؟

هز كتفيه.

- بسبب خوفه من الفشل، أو من النجاح، حتى وإن بدا هذا غير مرجحٍ، لا أعرف... قصة الجوارب اليتيمة هذه تخصه على

نحوٍ شخصيٍّ؛ فإذا تمكنتِ من إقناعه بإصداره، فالتطبيق متاح على الفور.

- إنه لا يصغي إليّ...

- إنه يتظاهر بأنه لا يصغي إليك، لكنه يعرف جيداً الوضع المالي للشركة... بالمناسبة، لقد أخبرني أنك بحاجة إلى سيارة؟

- امممم... نعم، للتسوق خلال عطلة نهاية الأسبوع مع صديقةٍ تقيم حفلة.

- يمكنني أن أُقِلَّكِ أنت وصديقتك صباح السبت.

ترددت. لم أكن أتوقع هذا العرض على الإطلاق. بدا من السخف أن أقضي صباحاً في التسوق مع جيرمي، ولكن من ناحية أخرى، بالنظر إلى الرسالة اليائسة التي أرسلتها لي سرانيا بالأمس، سيكون من غير المنصف أن أرفض.

- حسناً... هذا لطفٌ منك، قلت بعد تردد.

- في المقابل، أود منك أن تتجنبي تعليم ابنتي كلمات نابية بالإنجليزية.

كانت نبرة صوته جادة، إلا أنني شعرت وكأنه يكبح ابتسامة.

- سأحاول السيطرة على نفسي...

- فلتمرّا إلى منزلي يوم السبت حوالي الساعة العاشرة صباحاً، سأرسل لك عنواني.

يوميات أليس

لندن، 5 يناير 2012

مرحباً يا بروس،

لديّ عدة أشياء لأخبرك بها.

أولاً، إما أنني زدت ثلاثة كيلوغرامات خلال أعياد رأس السنة، أو أن روحاً خبيثة قامت باستبدال مرآة الردهة خلسةً بمرآة مُكَبِّرَةٍ (أنا أميل إلى الخيار الثاني).

ثم إنني غاضبة للغاية، يا بروس، وهو السبب الذي جعلني أستأنف كتابة في هذه اليوميات. لا أعرف ما إذا كنتُ سأعود إلى الطبيبة النفسية، فهي سألتني أمس سؤالاً أزعجني كثيراً، ومنذ ذلك الحين، وهذا السؤال يدور في ذهني كدوامة في مدينة الملاهي. وفوق كل ذلك، تشاجرت مع سكارليت. لقد اتصلت بي الليلة الماضية بعد منتصف الليل، إذ من الواضح أن أختي الصغيرة لم تستوعب فكرة فارق التوقيت. رددت عليها رغم التنهيدة الغاضبة لأوليفر الذي كان قد أطفأ النور، فأنا لم أسمع عنها منذ ثلاثة أسابيع كاملة.

ذهبتُ إلى الحمام وأنا في لباس النوم وجلست على البلاط

لأتحدث إليها. أحاطت هالات زرقاء بعينيها اللوزيتين ذاتَي الرموش الطويلة. لم تكن تضع أي مساحيق تجميل وكان شعرها الأشقر البلاتيني مجموعاً على نحوٍ مهمَل، على شكل كرة ليست بكعكة ولا بذيل حصان. وتأثرت لرؤيتها مرتديةً سترة قديمة بقلنسوة زرقاء داكنة كُتب عليها «جامعة براون» كنت قد أهديتها إياها عندما كنت في الجامعة.

- لقد فقدت بعض الوزن، قلت لها عندما رأيت وجهها على الشاشة. هل تأكلين بما يكفي؟

- أنا آكل الآن، أجابت ضاحكة.

ولوحتْ أمام الكاميرا بعلبة من الورق المقوى تحتوي على نودلز الأرز المغمورة بصلصة بنية، والتهمت قضمةً بواسطة عيدان أكل صينية فنظرتُ إلى أعلى لأظهر عدم رضاي عن نظامها الغذائي.

- ألا يمكنك الطهي بدلاً من حشو نفسك بالوجبات السريعة؟

- لا وقت لديّ، فأنا أعمل ليلاً نهاراً.

- على ماذا؟

- على ألبوم كامل وحصلت على وظيفة منتظمة في حانة في ميت باكينغ ديستريكت، حيث أغني كل يوم أربعاء. هم يختارون الأغاني، وهي ليست بموسيقى الروك، بل هي أغانٍ رديئة بصراحة، لكنهم يدفعون لي ثلاثمائة دولار في الليلة دون تصريح...

- جيد...

- والحانة بصدد أن تصبح مقصداً، وقد أقابل هناك شخصاً يعرف شخصاً ما، أترين...

- أرى ذلك... على أيٍّ، هل أنت بخير؟

في الواقع، يا بروس، أنا لم أكن أرى الكثير. فكانت آشلي وداكوتا مقتنعتين بأن سكارليت تفسد حياتها بهوسها بالموسيقى وأن من واجبي أن أجعلها تتخلى عن حلم الطفولة هذا، وأعترف أنني لا أعرف ماذا بوسعي أن أفعل. كانت سكارليت مركّزة، تلف المعكرونة حول عيدان الأكل ببراعةٍ تدل على ترددها المنتظم على المطعم الصيني أسفل منزلها.

- نعم، نعم، أنا بخير... إني أواعد رجلاً.

- ما اسمه؟ منذ متى تواعدينه؟

- اسمه أليخاندرو، هو إسباني... منذ ثلاثة أسابيع.

منذ بلغت الخامسة عشرة من عمرها، وسكارليت «تواعد رجالاً». هي لا تواعدهم حقاً. هي تقابلهم، وتقضي بضع ليالٍ معهم، وتهجرهم لتجنب أي علاقة قد تدوم أشهراً بدلاً من أيام، فلا ضرورة أن أبذل أي جهد لأتذكر أليخاندرو هذا، الذي سيصل قريباً إلى تاريخ انتهاء صلاحيته، مع الأسف.

- لن تصدقني، صرخت فجأة، لديّ قط أيضاً!

- قط؟ حقاً؟

انحنتْ ووضعت قطّاً أصهب أمام الكاميرا وفركت خدها على فروه الناعم فراح يخرخر. أضاءت ابتسامة من السعادة الخالصة وجهها، وذكّرني ذلك، للحظة وجيزة، بالفتاة الصغيرة من كوينزتاون التي كانتها ذات يوم.

- اسمه ديفيد بوي.

- لا يمكنني أن أربي قطاً.

- لا تقولي ذلك! إذا متُّ، سيكون عليك تبنّيه.

- أنت لن تموتي.

- بلى، وفي سن السابعة والعشرين، مثل كورت كوبين وكل نجم روك يحترم نفسه، لقد حضرت كل شيء.

بدت جادة للغاية وقلقة حقاً بشأن مستقبل ديفيد بوي، فوعدتها بأنني سأهتم بالقط بعد وفاتها. بدت مرتاحةً جداً لدرجة أنني لم أجرؤ على إخبارها أن مدة حياة قطها كانت على الأرجح أقصر من مدة حياتها، وأن تربية قطّ هي مسؤولية حقيقية، وأنه لا يمكنها هجره بعد ثلاثة أيام مثل أليخاندرو المسكين هذا.

- هل العمل على ما يرام؟

- وظيفتي في مقهى «واي»؟ لقد انتهت، أجابت بفم ممتلئ.

- أوه، اللعنة، لماذا؟

- لقد استقلت منها لأنها قتلت إبداعي. هذه الأغاني الجديدة، هي.. (قطبت حاجبيها كما لو أنها تبحث عن كلمات مناسبة). حتى الآن، كنت أتدرب فحسب، فكل البروفات التي قمت بها لم تكن صادقةً تماماً. أما هذه المرة، فقد تكون المناسِبة ويجب أن أعطيها كل ما لديّ.

أحبطني هذا الخبر يا بروس. كانت سكارليت تعمل في مقهى «واي» كنادلة لِما يقارب العامين، مع ساعات مرنة وأجر كافٍ سمح لها بتوفير الوقت للعب الموسيقى وكراء غرفة في بروكلين، بدلاً من المبيت هنا وهناك، أو العودة إلى أمي عندما لا يعود أحد يرغب في إيوائها. وها هي الآن تتخلى عن هذا العمل المستقر «لتعطي كل ما لديها لألبومها». تخيلتُ لبرهة ملاحظات أوليفر عن عدم نضج أختي وعدم فهمها التام لواقع الحياة، ليختم في الأخير أنه لن يستقبلها في بيته في حال أصبحت متشردةً.

- ما كان عليك فعل ذلك، قلت متنهدة، كيف ستدفعين إيجارك؟

- بالضبط... أنا مفلسة حالياً، وأردت أن أعرف ما إذا كان بإمكانك إقراضي بعض المال؟

وقدّمتْ لي ابتسامتها الشبيهة بابتسامة جوليا روبرتس ورفرفة رموشها الشهيرة. عادةً أنا لا أبالي، فأنا أكسب ما يكفي من المال لمساعدة أختي عندما تكون مأزومة، ناهيك عن أوليفر، لكنني كنت متعبة وغاضبة، فهي لم تتصل بي منذ ثلاثة أسابيع.

- اسمعي، لقد زاد استياء أوليفر من منحي إياك المال، وإذا كنا نرغب في إنجاب طفل، فعلينا أن نكون حريصين على عدم إهدار مدخراتنا على الهراء.

- لكنني سأسدد ديني عندما...

- عندما تصبحين ثرية، نعم، أعلم ذلك. لكن المشكلة هي أنك تقولين ذلك منذ سنوات، ومنذ سنوات أقوم أنا بتحويل المال إلى حسابك، وأواجه صعوبة الآن في إقناعه بأنك ستسددين لنا ذلك يوماً ما.

لا أعرف ماذا دهاني، فأنا لم أتحدث مع سكارليت بهذه الطريقة أبداً. قد يكون التعب أو تلك الجلسة مع الطبيبة النفسية التي أفقدتني صوابي.

تابعت:

- هل تعرفين ما قالته لي الطبيبة النفسية اليوم؟

نظرت سكارليت إلى أعلى.

- أنت لست بحاجةٍ إلى طبيبة نفسية، يا أليس، فأنا لا أعلم لماذا تتأثرين بأوليفر...

- سألتني، قلتُ مقاطعة إياها، إن لم يكن سبب عدم حملي هو خوفي اللاشعوري من أن أخذلكِ وأشعركِ بأنني تخليت عنك.

ساد صمت ثقيل. قطبت سكارليت حاجبيها على الشاشة ووضعت عيدان الأكل في علبة الورق المقوى.

- ولماذا تتحدثين عني مع الطبيبة النفسية؟

- هذا ليس السؤال! السؤال هو لماذا لم تتصلي بي منذ ثلاثة أسابيع لتظهري فجأة، غير مكترثةٍ، وتطلبي مني المال؟

تغيرت ملامح سكارليت، لكن ظلت الفكرة نفسها تدور في ذهني، فكرة أن كل شيء قد يكون بسببها، أو على الأقل، بسبب علاقة الاتكال هذه، حيث كنت مضطرة أن أهتم بسكارليت، لأن أمي استسلمت من ناحية، ولأنها كانت شخصاً غير مسؤول تماماً من ناحية أخرى.

- كم سنة سيستمر هذا السلوك الصبياني يا سكارليت؟ إلى متى ستضيعين حياتك في مطاردة هذا الحلم؟ وكم من الوقت سأقلق بشأنك بدلاً من الاهتمام بعائلتي؟

- حسناً، يا أليس، أجابت بهدوءٍ شديدٍ. لم أكن أعلم أنني أشكل عبئاً إلى هذه الدرجة. لن أطلب منك المال بعد الآن، سأتدبر أمري.

شعرت أنني جرحتها فليّنتُ على الفور كلامي.

- ليس المال هو المشكلة، يا سكار، أنا أحدثك عن حياتك، عليك أن تبني أشياء حقيقية: مهنة، منزل، عائلة. ألا تعتقدين أنه إذا كان مقدراً لك أن تكوني نجمة موسيقى الروك، لكان ذلك قد تحقق بالفعل؟ أنت لم تعودي فتاة في الثانية عشرة، ولا يمكنك أن تتصرفي كطفلة بعد الآن، يجب أن تكون لديك طموحات أكثر...

- طموحات؟ قاطعتني مشككة وقد مرت ومضة من الغضب في عينيها البنيتين. أنت من ستعطيني دروساً في الطموح؟ وكل ما تتوقين إليه هو أن تكوني زوجة مطيعة لزوجك وأن تنجبي الأطفال، هذا ليس ما أسميه طموحاً بكل تأكيد! وأنا لا أعزف موسيقى الروك، بل البانك!

- كون أوليفر أحد الأشخاص القليلين الذين لم يقعوا في حبك ليس سبباً كافياً في التحدث عنه بالسوء! وحتى لو أصبحت غداً جوان جيت، فهل تساءلت عما إذا كان هذا سيسعدك حقاً؟

- وأنت، بأي حق تطلقين الأحكام على طموحاتي بحجة أنها مختلفة عن طموحاتك؟ أنا أقاتل منذ سنوات! وأعطي كل ما لديّ لتحقيق أهدافي، وأضحي بكل شيء، فلا تنعتيني بالطفلة غير المسؤولة، فقط لأن أوليفر الذي وُلد وفي فمه ملعقة من ذهب يعتقد ذلك، وهو لم يبذل أدنى جهد للحصول على أي شيء!

انفجرتُ دفعة واحدة:

- لستِ وحدك من تقاتلين لتحقيق أهدافك، صدقي أو لا تصدقي! أنت لا تسألينني عن حالي، في حين كل النساء يحملن إلا أنا. أنا أيضاً أقاتل من أجل هدفٍ منذ سنوات، وهو هدف أهم بكثير من العزف على الغيتارة، وأنت لا تكترثين لذلك لأنك لا تهتمين إلا بنفسك!

بدا وجه سكارليت على الشاشة من دون أي تعبير. تركتني أفرغ ما في جعبتي، دون أن تنبس بكلمة، فيما خرجت الكلمات من فمي من تلقاء نفسها. والأسوأ من ذلك هو أنني مؤمنة تماماً بموهبة سكارليت، إلا أن كل تعليقات أوليفر وملاحظات أمي حول سكارليت تجسدت فجأة في فمي بسبب سؤال طبيبتي النفسية ذاك.

وعندما انتهيت أخيراً، تحدثت سكارليت بهدوء شديد.

- لن أقترض منك أي مال بعد الآن، لكن اعلمي أنني لم أكن لأطلب منك مالاً لو كان ذلك سيحرمك من أي شيء. ومن ناحيةٍ أخرى، لا تعيدي كتابة التاريخ يا أليس، فأنا أهتم بمشاكلك، لكن الحقيقة هي أنك ترفضين الاستماع إلى كل ما هو بنّاء، وتفقدين هدوءك ما إن نتطرق إلى موضوع الحمل.

- هذا ليس صحيحاً!

- حسناً، لعلمك، لقد بحثتُ في الأمر كثيراً لأن الموقف يؤثر عليك ويؤلمني أنا أيضاً. لقد قرأت الكثير عن العقم وعن الصعوبات في الحمل، وأنا متفاجئة حقاً من أنك لم تلجئي للمساعدة الطبية حتى الآن... للتلقيح الاصطناعي وهذا النوع من الأمور... فأنت لا تتحدثين عن ذلك أبداً. لماذا؟

- أنا أريد طفلاً بطريقة طبيعيّة!

- ما الفرق؟ إما أنك تريدين طفلاً حقاً أو لا تريدين ذلك، ولكن حتى مع مساعدة الطب، سيظل هذا طفلَك أنت وأوليفر. إن تناول فول الصويا المنبّت وممارسة اليوغا ليس أقصى ما يمكنك فعله، وأنت تعرفين ذلك مثلي تماماً!

- لا يمكنك أن تفهمي، صحت غاضبةً، وعلى أية حال، أنت لا تريدين أطفالاً، ولا تريدين عائلة، فأنا لست بحاجة إلى نصائحك!

وأغلقت الخط.

حاولت أن تتصل بي من جديد. ثلاث مرات. لكنني لم أرد.

ومنذ البارحة وأنا أفكر في الأمر. بكيت هذا الصباح، فسألني أوليفر وهو يحتسي قهوته:

- ماذا حدث مع أختك مجدداً، يا عزيزتي؟

أخبرته كيف انتهت محادثتنا. بدا متفاجئاً، وارتشف قهوته قبل أن يقول بترددٍ:

- إنها على حق: يمكننا النظر في طرق المساعدة على الإنجاب.

فقدت صوابي فصفعت باب غرفتنا بشدة لدرجة أن المقبض بقي في يدي. وهل تعرف أكثر ما أزعجني يا بروس؟ ما الذي أغضبني ولماذا كرهت كليهما في تلك اللحظة؟ لأنني توصلت إلى خلاصة مروعة مفادها أنهما قد يكونان على حقٍّ.

كل هذا يحبطني، ولا أدري كيف يتحملني الناس حالياً. أنا أدرك أن قدرتي على تهجئة هستيروسالبينغوغرافي[1] وسبيرموسيتوغرام[2] عكسيّاً لم تعد تسلي أحد. لم أكن كذلك من قبل. كنت مضحكةً وممتعةً وكريمةً، وكانت سعادة الآخرين تسعدني. أما اليوم، فأشعر بالمرارة والحزن والغيرة. لم يعد الأطفال في عرباتهم يجعلونني أبتسم، بل تثير النساء الحوامل غضبي. فكيف يمكن لجميع النساء النجاح في ذلك عداي؟

الشيء الوحيد الذي أثابر عليه هو هذه اليوميات. وهذا لسوء حظك، يا بروس، ولكنني أفضّل أن أضجرك أنت على أن أضجر بقية البشرية، بقصصي عن العقم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(1) تصوير الرحم بالصبغة - المترجمة.

(2) تصوير الخلايا المنوية - المترجمة.

عند نزولي من مترو الأنفاق، تحققت من العنوان الذي أرسله لي جيرمي بالأمس. وجدت شارع مسكنه بسهولة وقرعت جرس الإنترفون الخارجي. كان يسكن في الطابق العلوي بمبنى جميل، وكان المصعد معطلاً فاضطررت لصعود الطوابق الستة مشياً على قدمَي. أخبرت سرانيا أن موعدنا في الساعة 9:45 صباحاً، ليكون هناك ولو احتمال أن تصل قبل الساعة 12:30 ظهراً. قرعت جرس الشقة في الساعة 9:58، داعيةً اللّه أن تكون قد وصلت، ففكرة أن أجد نفسي وجهاً لوجه مع مطور البرامج الصموت لم تفرحني.

- أليس، تفضلي، قال وهو يفتح لي الباب على مصراعيه.

- مرحباً...

كان من الواضح أنه خرج من الحمام لتوّه، فكان شعره البني لا يزال مبللاً وكان ينتهي من ارتداء قميصه على عجل. كانت الردهة تطل على غرفة المعيشة مباشرة، فأشار إلى الأريكة بحركة مبهمة من يده.

- اجلسي، أنا آسف، دقيقتان وسأعود.

كانت الشقة كبيرة ومشمسة. تذكرت المقالات التي قرأتها عن استثمارات جيرمي. فإذا حكمت على أساس مسكنه، فلا يبدو أن

الرجل يفتقر إلى المال. إلا أنني ما زلت لا أعلم سبب استثماره قدراً كبيراً من المال في شركة ناشئة غريبة مثل إيفردريم. جلست على الأريكة الجلدية وأمعنت النظر في محيطي. رفٌّ مليء بالكتب المصورة وكتب البرمجة التي تحمل عناوين غير مفهومة بالنسبة إليّ: **البرمجة: HTML وجافاسكريبت وCSS، جافا و++C**... وبعض الرسومات لابنته المبعثرة هنا وهناك، ومشغل أسطوانات فينيل، وصندوق أقراص موضوع على الأرض...

طفت رائحة خفيفة من القهوة والنيكوتين في المكان، وأشارت طبعات مستديرة على خشب طاولة القهوة إلى أنه تمّت إزالة الكؤوس على عجل بعد سهرة ليلة أمس. كبحتُ رغبة في تنظيفها وحولت انتباهي إلى الفوضى على الرف، المليء بالصور العائلية. جيرمي وابنته زوي وامرأة شقراء شابة بدت بوهيمية شيئاً ما، الأم، على ما أظن. صور للعطل تنبض بالسعادة وضحكات الطفلة.

لم أستطع منع نفسي من الاقتراب من صندوق أسطوانات الموسيقى. جثوت وتفحصتها الواحدة تلو الأخرى. كلاسيكيات: نيرفانا، ليد زيبلين، الرولينغ ستونز... ثم شعرت بوخزة طفيفة في القلب: **سيسترز**[1] لسكارليت سميث-ريفيير. خصلات الشعر الوردية المختلطة بالشعر الأشقر البلاتيني، العينان المزينتان بمكياج أسود داكن، ذراع تغطيها الوشوم مرفوعة في السماء للتلويح بالغيتارة الكهربائية، وتلك الابتسامة المنتصرة القوية لدرجة أنها قادرة على إضاءة مسرح ماديسون سكوير غاردن. انتابني حنين غبي وانقبض حلقي.

---

(1) Sisters، أختان أو أخوات بالإنجليزية - المترجمة.

- هل ترغبين في فنجان قهوة ريثما تصل صديقتك؟

قفزت فانفلتت الأسطوانة من يدي. كان جيرمي قد لبس سترة سوداء فوق قميصه، وراح يراقبني فشعرت للحظة أنه لاحظ اضطرابي.

- أنا آسفة، لم أقصد التطفل. . .

هز كتفيه.

- كنت من أشد المعجبين، قال مشيراً بذقنه إلى أسطوانة الفينيل.

ثم أضاف بالطريقة غير المكترثة التي نتحدث بها عن المشاهير وكأنهم ليسوا بشراً حقاً، وكأن حقيقة وجودهم ومشاعرهم اقتصرت على الصور المطبوعة على ورق مجلات المشاهير:

- من المؤسف أنها رحلت في ريعان شبابها.

التقطت أسطوانة الفينيل لأعيدها إلى مكانها. أدرت له ظهري، سعيدة بأن يكون لديّ عذر لإخفاء وجهي واستعادة رباطة جأشي. وضعت الأسطوانة بين **هايواي تو هيل**[1] لأي سي/ دي سي ودارك **سايد أوف ذا مون**[2] لبينك فلويد، لينعم بصحبة جيدة.

وبعد بضع دقائق، عاد جيرمي وبيده كوب من القهوة.

- ماذا عنك، هل أنت من محبّي موسيقى الروك؟ سأل وهو يرتشف قهوته.

أجبرت نفسي على الابتسام.

---

(1) **Highway to Hell** أي الطريق السريع إلى الجحيم هو الألبوم الخامس لفرقة الهارد روك الأسترالية أي سي/ دي سي - المترجمة.

(2) **The Dark Side of the Moon** أي الجانب المظلم من القمر هو الألبوم الثامن لفرقة البروغريسيف روك الإنجليزية بينك فلويد - المترجمة.

- لا ، الموسيقى ليست من اهتماماتي.

- صحيح، اهتماماتك هي الرياضيات والإحصاءات.

- تماماً. وترتيب الأقلام أيضاً.

أضاءت شرارةٌ مرحةٌ عينيه الزرقاوين، فبدا لي للحظة قصيرة شبه ودود. رن جرس الإنترفون فذهب ليفتح الباب، واقتحمت سرانيا الشقة بضع دقائق بعد ذلك.

- مرحباً! أفترض أنك جيرمي، صاحت وهي تطبع قبلتين على خدّيه، من اللطف أن تقلّنا، لكن ستة طوابق من دون مصعد، بصراحة، هي رحلة باهظة الثمن! أوه أليس، أنت هنا! (عانقتني كما لو كنت أعز صديقاتها التي لم ترها منذ عشر سنوات فأدفأت عاطفتها قلبي). لدي عشرة آلاف شيء لأخبرك بها، لا يمكنك تخيلها!

- هيا بنا إذاً، قال جيرمي.

وضع فنجان القهوة وأمسك بمفاتيح السيارة ووضعها في جيب سرواله الجينز.

- ألن تأخذ معطفاً معك؟ سألت سرانيا، البرد قارس في الخارج. ويحاولون إقناعنا بالاحتباس الحراري!

- لا علاقة للأمر بذلك، أجاب جيرمي، فالاحتباس الحراري يتسبب بانخفاض درجات الحرارة في أوروبا.

- لا أريدك أن تصاب بالزكام بسببي، فسيجبرني شعوري بالذنب على صعود تلك الطوابق الستة مجدداً لأحضر لك الحساء والشوكولاتة الساخنة.

ثم أمسكت وشاحاً معلقاً على شماعة المعاطف من دون أي حرج ولفّته حول رقبته بحزم.

- تمام. من السهل أن نصاب بنزلة برد من رقبتنا.

متفاجئاً قليلاً، لم يبدِ جيرمي أي ردة فعل، ونزلنا مشياً على الأقدام إلى المرآب ترافقنا ثرثرة الشابة.

- أخبرتني أليس أنك من النوع المهووس وأنك تقضي أيامك في صفِّ سطورِ البرمجة، علقت سرانيا وهي تحدق في جيرمي كما لو أنها تحدق بفندان الشوكولاتة في نافذة محل حلويات. تصورتك رجلاً أصلعَ قصير القامة يرتدي نظارات؛ علينا الاحتراس من الكليشيهات، إنها مضلِّلة.

ذُهلتُ من أنها رددت له تعليقاتي، إلا أن شبه الابتسامة التي ارتسمت على شفتَي جيرمي دلت على أنه كان مستمتعاً بالموقف أكثر من كونه مصدوماً به.

جلستُ في الخلف وكما توقعت، ما إن انطلقت السيارة حتى تولّت سرانيا مهمة إدارة تسعة وتسعين في المائة من المحادثة، إذ راحت توضح لجيرمي أنها تعمل في دار للمسنين.

- الأمر رهيب. المشكلة الحقيقية في الشيخوخة ليست الشيخوخة نفسها بل الوحدة. أرى أناساً يتركون أنفسهم يموتون لأن عائلاتهم لم تعد تزورهم، لأنهم يشعرون أنهم عبء على من يحبونهم. أنا لا أفهم هؤلاء الأطفال الذين لا يهتمون بوالديهم، هذا يسخطني!

وددت أن أجيبها بأنها تجهل قصتهم، وفكرتُ في أمي التي لم أتحدث إليها منذ أكثر من خمس سنوات. تساءلت عما إذا كانت لا تزال تجلس على الشاطئ كل صباح أحد لتشاهد الأمواج، ولا تزال تسكب لنفسها كأساً من النبيذ عندما تعمل متأخرةً على إحدى الترجمات، وتقضم ظفر إبهامها وهي تفكر في الكلمة المناسبة.

تساءلت عما إذا كانت قادرة على التعايش مع هذه الحياة، على عكسي.

- ألا يحبطك التعامل مع ذلك على نحوٍ يوميّ؟ سألتها من المقعد الخلفي للهروب من أفكاري السوداوية.

- إنه عمل قاسٍ، لكنه مجزٍ أيضاً لأنه يمكنك من مساعدتهم على قدر ما تستطعين. فأنا مثلاً، أُسهل العلاقات بين المقيمين في الدار.

أخرجت سرانيا كريم الأساس من حقيبة يدها وأدارت مرآة الرؤية الخلفية نحوها وبدأت في دهن وجهها مواصلة كلامها:

- لديّ قائمة مفصلة تضم أكثر من مائة وعشرين سؤالاً حول ما تحب، وما لا تحب، وما إذا كنت تفضل الكلاب أو القطط، المالح أو الحلو، إذا كان أحفادك يضايقونك أو ينوِّرون حياتك، هذا النوع من الأسئلة. أجعل كل عجائزي الصغار يملأونها، ثم أقوم بمطابقة النتائج. إنه عملٌ شاقٌّ. وعندما أرى أن اثنين منهما يمكنهما الانسجام، أنتقل إلى مرحلة التنفيذ، فأخبر مثلاً روبير بأن إيفيت تراه يشبه مارلون براندو وأخبر إيفيت أن روبير دائماً ما يتغزل بجمال عينيها.

أرجع جيرمي مرآة الرؤية الخلفية إلى مكانها.

- استخدمي مرآة واقي الشمس، وإلّا ستتعرّض لحادث.

- يتعلق الأمر في أن تكون دقيقاً ومبدعاً بعض الشيء في الإطراءات، تابعت سرانيا وهي تعبث بمرآة الرؤية الخلفية من جديد كما لو أنها لم تسمع جيرمي. في زمنهم، لم يكن الإغراء بإلقاء كلمة «أنت مثيرة» على سنابشات. ففي البداية، يتظاهرون باللامبالاة، لكن يمكنني أن أرى أنهم يقدرون الإطراء، لأن لا أحد يمدحك بعد

سن السبعين. ثم ينظرون بعضهم إلى بعض، ويتصرفون مثل مراهقين في حفلة، ويتحايلون ليكونوا في نفس فريق لعبة الورق، وبينغو! لديّ معدل نجاح يبلغ تسعين في المائة، إذ تمكنت في غضون خمس سنوات من تشكيل اثنتي عشرة علاقة.

مررتْ فرشاة الماكياج على بشرتها البنية وهي تنظر في مرآة الرؤية الخلفية التي أرجعها جيرمي إلى مكانها ثلاث مرات في خمس عشرة ثانية.

- بالمناسبة، سألها، ما هي السهرة التي تنظمينها؟

ضربته سرانيا ضربة خفيفة على ذراعه بعلبة الماكياج ونظرت إليه نظرة عتاب.

- إنها ليست سهرة! إنه عيد الديوالي، عيد الأنوار. أنت أبعد ما تكون عن التعدد الثقافي! يبدو الأمر كما لو أنك قلت لي إنك لا تعرف عيد الميلاد! ديوالي، عيد الأنوار والفرح، يتوافق مع العام الهندوسي الجديد. إنه يدوم خمسة أيام، ولكل يوم معناه وطقوسه الخاصة. اليوم الأول هو يوم التنظيف الكبير، وينبغي بك أن تشتري أشياء جديدة، كطريقةٍ للاحتفال ببداية جديدة. ويجب عليك أن ترحب بلاكشمي، إلهة الازدهار، مرتدياً ملابس ومجوهرات جديدة. باختصار، إنها دعوة مفتوحة للتسوق. ثم نرسم آثار أقدام على الأرض تكريماً لها. وفي اليوم الثاني، تزين المنزل بالـ **رانغولي**.

رفع جيرمي حاجبيه.

- بماذا؟

- **الرانغولي**، وهي رسوماتٌ هنديةٌ لزهور معقدة شيئاً ما ومصنوعة من البودرة أو الرمل أو الأرز المجفف أو السميد الملون. ثم نشعل الـ **ديا**، وهي مصابيح زيت صغيرة نضعها أمام الباب

الأمامي للمنزل لنرحب بلاكشمي. ونعلق الشرائط المضيئة في كل مكان، ونعدّ الطعام الهندي بكميات ضخمة، وندعو جميع أحبائنا للاحتفال. اليوم الرابع هو **بادوا**، اليوم الرسمي للعام الجديد، ونتبادل فيه الهدايا والتمنيات مع جميع أفراد العائلة. وأخيراً، اليوم الخامس والأخير من ديوالي، **بهاي دوج** هو مكرس للإخوة والأخوات، فهم يزورون بعضهم بعضاً ويقدمون الهدايا بعضهم لبعض. هل لديك إخوة وأخوات؟

- لدي أخ أصغر، رد جيرمي.

سكتت سرانيا للحظة ثم التفتت نحوي بابتسامة عريضة. تجمّدتُ. لمرة في حياتها، بدت سرانيا وكأنها تصغي حقاً، وكان السؤال موجهاً لي مع الأسف. غزا النمل يدَي وتحلل الهواء في رئتَي. تعلقت يدي بمعصمي وأمسكت بحلي سواري. الأسطوانة، ثم هذا السؤال الآن، كان هذا أكثر مما يمكنني تحمّله في يوم واحد.

- ليس حقاً...

خرجت الكلمات دفعة واحدة، ومزقت حنجرتي كأبشع الخيانات. سأُعاقَب يوماً على كل المرات التي تلاعبت فيها مع الحقيقة، وصنعت خيالاً من العالم الحقيقي. ستخنقني أكاذيبي شيئاً فشيئاً، هذه الجمل العابرة والحركات السخيفة، وسأغرق في الحقيقة المحرَّفة التي اخترعتها لنفسي. أو أسوأ من ذلك، لن أتمكن من تمييز الحقيقي من المزيف. سأمحو الذكريات حتى لا أضطر إلى تحمّل ذنبي. في مرآة الرؤية الخلفية، التقت عيناي بعينَي جيرمي الصافيتين والمتسائلتَين.

- هل أنت بخير؟ تبدين شاحبة.

لم أستطع الإجابة بسبب الشعور بالضيق في حلقي. **هل أنت بخير؟** أنا أكره هذه الكلمات، هذا السؤال البلاغي البحت بالفرنسية كما بالإنجليزية، فهو ليس بسؤال حتى، إذ يدعو إلى الإجابة بـ «نعم» بشكل تلقائي، ويذكّرك، من خلال تكراره، بأن لا، لا تسير الأمور على ما يرام ولن تتحسن في المستقبل القريب.

سُمِع صوت بوق سيارة، تلاه كبح مفاجئ لفرامل، فأطلقت سرانيا صرخةً صغيرةً. لوّح لنا بغضب سائقُ سيارة أجرة اعترضنا طريقه.

- باللّه عليك يا سرانيا، تذمّر جيرمي، أنا بحاجة إلى مرآة الرؤية الخلفية. كدنا نصطدم بالرجل.

صرف ذلك الانتباه عنّي فتمكنت من إغماض عينَي من جديد، والتركيز على الإحساس بحلي سواري تحت إبهامي. عادت إليّ همهمة الأمواج، ورأيت أثر الماء اللامع الذي تركته الأمواج على الرمل أثناء تراجعها، وبصمة قدمَي أختي محفورةً أمام بصمتي على الرمل المبلل، والصوت الخشن لخطواتنا وأنا أركض وراءها. مررت لساني على شفتَي الجافتين وتذوقت طعم الملح والرياح. اعتذرت بصمت عن قلة وفائي. عن هذه الخيانة الجديدة. ثم، تذكرت أنها دائماً ما كانت تسامحني على كل شيء، فاستطعت التنفس من جديد.

تحدثت سرانيا الآن عن أخواتها بطلاقة. لقد اعتنت بهن كثيراً، فهي تحب أن تعتني بالآخرين، وخاصة أولئك الذين لم يعد أحد يهتم بهم، ولهذا السبب هي تعمل في دار للمسنين. هدأني صوتها رويداً رويداً.

على عكس التوقعات، بدا جيرمي وسرانيا منسجمَين. إنهما

متكاملان: جيرمي يستمع وسرانيا تتكلم، واستمرت الحال على هذا النحو حتى وصولنا إلى متجر مترو، ما سمح لي بأن أستعيد رباطة جأشي.

كان تسوُّقنا فوضوياً، إذ بدت سرانيا عازمة على شراء كل ما في المتجر. أعطت لكل منا عربة واستغرق الأمر أقل من عشرين دقيقة لتفيضا بالمؤونة. ساعدها جيرمي الرصين في الحصول على المنتوجات الموضوعة في الأعلى، وأخذت تناديه بـ «جيرم» الآن وتربت على ظهره بكل طبيعية فيما تتأرجح قناطير الأرز في عربته، كل ذلك دون التوقف عن الحديث ولو ثانية واحدة.

- أتعجب كيف يمكنها أن تتنفس، علق جيرمي بحيرة محدقاً بسرانيا وهي تندفع نحو موظف لتسأله عن مكان الأطباق الورقية. أنا أحب الأشخاص الثرثارين، أضاف متأملاً، فلا أبقى قلقاً بشأن إيجاد شيء لأقوله.

فاجأتني ملاحظته، إذ كنت أوافقه الرأي تماماً. عند انتهائنا، استغرق منا ملء السيارة التي كادت تنفجر أكثر من ربع ساعة. أمسكت سرانيا بهاتف جيرمي وأدخلت عنوانها وهي تتذمر من عدم امتلاكه هاتف آيفون مثل الجميع. كان مطعم والديها، حدائق تاج محل، يقع في الدائرة العاشرة. ساعدناها على نقل المقتنيات، فدعتنا لتناول القهوة. قبلتُ عرضها فيما اعتذر جيرمي بأدبٍ.

- يجب أن أحضر ابنتي من عند والدتها.

كلفته هذه الجملة البسيطة سبعة عشر سؤالاً أطلقت بالمدفع الرشاش: كم عمرها، ما اسمها، هل هو مطلق، منفصل، لماذا، إلخ؟

- يجب أن أذهب، اعتذر راغباً في تجنب الموضوع.

استدار نحوي.

- أليس، إذا كنتِ تودين أن أقلّك. . .

- لا عليك، سآخذ مترو الأنفاق.

- حسناً، عطلة نهاية أسبوع طيبة.

ركب سيارته.

- جيرمي؟

رفع رأسه متسائلاً، فابتسمتُ له بصدق تامٍّ لأول مرة.

- شكراً لك.

- على الرحب والسعة.

اقترحتُ بعدها مساعدة سرانيا في تفريغ المشتريات، فدعتني إلى الاستوديو الخاص بها فوق المطعم لتناول القهوة. كادت الفوضى المروعة السائدة في المكان تصيبني بنوبة قلبية، لكنني كنت قد بدأت أعتاد على نزوات سرانيا. معها، كنت أترك أسلاكي الشائكة جانباً. أزاحت كومة من الملابس المبعثرة عن سريرها، وأعادت ترتيب لحافها المزهّر على عجل، ثم أشارت إلى سريرها.

- اجلسي.

وجدتْ علبة من كبسولات القهوة فوق الدولاب بين جرة مليئة بأقلام المكياج وكومة من كتب الجيب.

- هل ستحضرين احتفالنا بعيد الديوالي؟

- أوه، لست متأكدةً. . .

- أجل، أجل، أنا أصر على ذلك، سأكون سعيدةً جداً إذا أتيتِ.

حاولت جاثيةً على ركبتيها توصيل آلة القهوة بمقبس كهربائي محشور خلف خزانة باباها مفتوحان على مصراعيها، يخرج منها

جبال من الملابس الملونة المكدسة عشوائياً، ووجدت كوبين مشقوقين نظفتهما تحت الماء في غرفة الاستحمام الصغيرة المحاذية.

- الاستوديو ليس كبيراً، صرخت لتغطي صوت الماء، لكنه يمنحني شيئاً من الاستقلالية. على أية حال، مع راتبي، من المستحيل أن أدفع إيجاراً في باريس، وأفضل أن أموت على أن أعيش في الضواحي! هل تعجبكِ باريس؟ هل أنت سعيدة لأنك أتيت؟ هل تريدين السكر؟

أعطتني الكوب الذي تمكنت من سكب القهوة فيه أخيراً. انتظرتها أن تواصل دون أن تنتظر إجابتي على أسئلتها كالعادة، لكنها رفعت كوبها إلى فمها وحدقت بي بعينيها الكبيرتين.

- كانت والدتي فرنسية، قلت بعد صمت وأنا أنفخ على كوبي، فلطالما حلمت بأن أرى باريس، وقرأت الكتيبات السياحية، وادخرت المال لشراء تذكرة. . . لكنني اعتقدت أنني سأذهب في ظروف أفضل، باختصار. . . المشكلة هي أنك تعتقدين أن لديك الكثير من الوقت، ولكنك تستيقظين يوماً وتجدين أن الأوان قد فات.

ارتشفت سرانيا رشفةً من قهوتها مقطبة حاجبيها.

- أترين، بحكم عملي مع عجائزي الصغار، تعلمت شيئين أساسيين. أول شيء هو أننا نقلق بشأن أمور لن نتذكرها بعد عام، ما يعني أن لا أهمية لها على مقياس حياة أصلاً. والثاني هو أن العيش طويلاً فرصة لا تُمنح للجميع، لذا فإن الأشياء التي تريدين حقاً القيام بها في حياتك، المشاريع المهمة بالنسبة إليك، عليك المباشرة فيها من دون انتظار لأن لا أحد منا يعلم متى سيتوقف المشوار.

لم أستطع منع نفسي من الإمساك ببلوزة مكورة على السرير وطيّها بعناية.

- أتسمحين لي أن أساعدك على الترتيب؟ توترني كل هذه الفوضى.

انفجرت ضاحكة.

- إذا كان هذا يمتعك، فلا ترددي!

وضعت كوب القهوة وبدأت في طي وجمع الغسيل المبعثر، ورتبت السرير، وصففت الكتب المتراكمة على المنضدة والتقطت الأحذية المتناثرة على السجادة. شاركت سرانيا بفتور وهي تواصل حديثها، ثم استدارت فجأة وحدقت بي بشدة بعينيها اللتين بدتا سوداوين تحت ظل كحلها الأسود الفاحم.

- أليس، أريد أن أعتذر، أنا آسفةٌ على سؤالي عن الإخوة والأخوات، فلا عذر لديّ، لقد أخبرتني أنجيلا أنك فقدت أختك...

لم أستطع الإجابة من وطأة الصدمة. لا يهمني إذا كانت سرانيا قد التقطت كذبتي في السيارة، لكن شعرت بالخيانة من فكرة أن أنجيلا أخبرتها عن حياتي.

- لم أرغب في إزعاجك أو تذكيرك بذكريات حزينة، تابعت قائلة، فأنا غالباً ما أتحدث من دون تفكير.

ابتسمتْ لي بلطفٍ، وبدت قلقةً حقّاً. لم أكن مستاءة منها، لكني نهضت فجأة.

- لا... لا بأس. لقد... لقد تذكرت للتو... لدي شيء، يجب أن أذهب.

رافقتني إلى باب الاستوديو. كنت أعرف أنها آسفة حقاً، لكنني لم أكن أريد مواصلة هذه المحادثة، لم أكن أريد إدخال أحد في

خصوصية حياتي الماضية. وقبل أن تغلق الباب، بدت وكأنها تذكرت شيئاً:

- بالمناسبة، هل تمانعين إعطائي رقم جيرمي؟

- أوه... لا، بالطبع، بتاتاً.

أخرجتُ هاتفي وفتحت الرسالة النصية الوحيدة التي أرسلها لي جيرمي ليعطيني عنوانه. أمليت رقمه على سرانيا، فأرسلت لي قبلة بأطراف أصابعها وأغلقت الباب خلفي.

عدت أدراجي مشياً. كانت الشمس قد بدأت في الغروب فجبت شوارع باريس وصولاً إلى منزلي. استنشقت رائحة الكستناء الساخنة، وتوقفت لشراء بعض البضائع، وسمحت لتورتة توت بدت شهية جداً في نافذة متجر حلويات بإغوائي. لقد قضيت يوماً ممتعاً، لأول مرة منذ وقت طويلٍ. لكن خيانة أنجيلا تركت فيّ طعماً مريراً. هي التي تعرفني جيداً، كيف أمكنها أن تخبر سرانيا بما تعرفه، حتى دون أن تستشيرني؟ سأكتب لها لتوضيح الأمور.

عند عودتي إلى المنزل، وجدت في صندوق بريدي ظرفاً كبيراً من لندن.

فتحته متفاجئةً. كان في داخله ظرفٌ آخر كُتب عليه «بريد أليس سميث» بقلمٍ أسود ورسالة قرأتها في المصعد. كانت مكتوبة بالإنجليزية، على عجل وبالكاد مقروءة:

عزيزتي أليس،

لقد عرفت من وكيلك العقاري أنك عدت إلى أوروبا. بعد أن استلمتُ شقتك في لندن للعيش فيها بعد انتقالك، تلقيت بريداً يخصك، ووصلت رسالة باسمك الأسبوع الماضي، لذا سمحت لنفسي بإرسال كل شيء لك.

آمل أن تكوني بخير وأتمنى لك إقامة ممتعة في باريس،
جون فوستر، مؤجِّرك السابق.

دخلت ووضعت الظرف على الطاولة الزجاجية. تمدد ديفيد على الأريكة وأطلق مواء، طالباً الانتباه.

- لا أرغب في فتحها يا قطي الصغير، قلت وأنا آخذه في حضني.

خرخر، ما دل على أنه لا يهتم، فذهبت لأملأ وعاءه بالحليب. شغّلتُ الغلاية، وانتظرت بضع دقائق وسكبت الماء على كيس الشاي. وضعت كوبي بجوار الظرف ونظرت إليه وأنا أعض شفتي. عندما فسخت عقد إيجار شقة ويست هامبستيد، قطعت خط الإنترنت، والكهرباء والماء، لكنني رفضت نقل البريد.

كان بإمكاني التخلص من الرسالة، فقد عشت حتى الآن دون معرفة محتواها. ولكن ماذا لو احتوت على معلومات مهمة؟ وكيف وردتني رسالة الأسبوع الماضي، بعد فترة طويلة من انتقالي؟ أنا لا أؤمن بالصدف والمصادفات. فإذا وصلني هذا البريد، فيجب أن أقرأه.

ابتلعت رشفة من الشاي. كان ساخناً جداً. قطعت الغلاف البني بعناية وأخرجت حفنة من الرسائل. فاتورة كهرباء، إعلان يلخص عروض البلاك فرايدي[1] لمتجر سينسبري، دعوتان أو

(1) Black Friday أو الجمعة السوداء هو اليوم الذي يلي عيد الشكر مباشرة في الولايات المتحدة وهو يوم تقوم فيه أغلب المتاجر بتقديم عروض وخصومات - المترجمة.

ثلاث، وظرف أبيض يحمل علامة «سري» دلّ ختمه على أنه أُرسِل بالبريد مؤخراً.

مهما ضمّ هذا الظرف، فلا بد أن محتواه مرتبط بالماضي. والماضي يؤلم. الماضي لا يطاق. ومع ذلك، فتحته. أمسكت بكوبي بيد وأنا أنفخ على الدخان المتصاعد، وباليد الأخرى، بسطت الورقة المطوية على ثلاثة. وفي اللحظة التي قرأت فيها الترويسة، شحب وجهي. وضعت الكوب على الطاولة على عجل. انسكب الشاي الساخن على يدي المرتجفة، لكنني لم أشعر بالألم. قرأت عيناي السطور رغماً عني بينما انفطر قلبي إلى قطع صغيرة في صدري المضغوط.مكتبة سُر مَن قرأ

عزيزتي السيدة سميث-ريفيير،

أكتب إليك لأبلغك بأن طبيبتك النسائية في مستشفى الملكة فيكتوريا الخاص، دولوريس تايلور، قد تقاعدت. يمكنك أن تتوجهين إليّ الآن لطلب أي معلوماتٍ أو إذا رغبت في بدء إجراء جديد يخص المساعدة الطبية على الإنجاب.

وأود أن أغتنم هذه الفرصة لأذكرك بأن الأجنة المجمدة يوم 28 مارس 2012 في مستشفى الملكة فيكتوريا الخاص بهدف الإخصاب الأنبوبي سيتم تدميرها، وفقاً للقانون البريطاني ولسياستنا الخاصة بحفظ الأجنة، في 28 مارس 2022، أي بعد عشر سنوات من التجميد.

بالنيابة عن مستشفى الملكة فيكتوريا الخاص، أشكرك على ثقتك وأطلب منك أن تقبلي، سيدتي، أطيب تحياتي.

الدكتور تيموثي ستون

قرأت الرسالة ثلاث مرات متتالية، حابسة أنفاسي، ثم تشوشت رؤيتي وبدأت أبكي بكاءً شديداً لم تتمكن من إراحتي منه حتى الخرخرة الحزينة لديفيد، الذي كنت أحمله في حضني.

من: أنجيلا سرينيفاسان
إلى: أليس سميث
في: 10 أكتوبر 2018
الموضوع: أخبار

مرحباً يا أعجوبتي في بلاد الأليسات،
وجدت رسالتك الإلكترونية غير منصفة، بل مؤلمة، ما جعلني أرد عليك على الفور، حتى لو استدعى ذلك أن تبرد سلطة الأفوكادو وبذور الشيا! نعم، لقد زوَّدتُ قريبتي ببعض المعلومات الشخصية عنك، لكني لم أفعل ذلك «من باب النميمة» كما لمتِني، بل لأحذرها - أعتذر عن صراحتي - من انطباع البرود الذي قد ينبعث منك في الوهلة الأولى.
أنا لا أحب فكرة وجودك وحدك في الجانب الآخر من الكوكب، حتى لو كان ذلك، نظرياً، في أجمل مدينة في العالم، وإنني أعلم أنك لطالما حلمت بالعيش في باريس. أنا متأكدةٌ من أنكما ستنسجمان أنت وسرانيا، لكنني أراقبك منذ ما يقارب الخمس سنوات، وأنت تنصبين الحواجز بينك وبين الآخرين وتخافين من التعلق بأحد أو أن يتعلق بك أحد، فخشيت أن تواجهي صعوبة في تكوين صداقات جديدة. هذا كل شيء. حرصت على أن تكون لديك حليفة واحدة على الأقل عند وصولك إلى باريس، وبدا لي أن الطريقة الأكثر فاعليةً تمثلت في منح سرانيا خلفية صغيرة عنك. ليس لكي تشفق عليك كما قلت في رسالتك، بل لتفهم ذاك الجانب غير الاجتماعي فيك. أنت مثل فيلم مستقل أو كتابٍ أدبي، يا أليس: معقدة ورائعة، لكنك تتطلبين بعض الجهد في الفصول الأولى حتى نبدأ في تقديرك حقاً.

صحيح أنك طلبت مني عدم ذكر الأحداث، ومنذ معرفتي بك لم أفشِ بكلمة لأحد إلّا لآبي، أقسم لك، فلا أحد في العمل على علم بأي شيء. (بالمناسبة، ستسعدين بمعرفة أن والدة آبي لم تمت من جدري الماء، بل تعرضت للدغاتِ بعوض فعلاً، لذا فهي مقتنعة الآن بأنها أصيبت بفيروس زيكا).

لقد أعطى أندرو مكتبك لذلك الحقير توم، فأشعر بوخزٍ في قلبي كلما أمر أمامه وأرى رأسه الأصلع بدلاً من ملامحك الجميلة المركِّزة. وقد لبست سنترال بارك ألوانها الشتوية، وأنا متأكدةٌ من أنها ستثلج قريباً. أنا أذهب إلى هناك بمفردي الآن لتناول الغداء أيام الثلاثاء، وأجلس على مقعدنا وأفكر فيك وأنا أشاهد السناجب، حتى أنني اشتريت الأسبوع الماضي إحدى شطائر الهوت دوغ الرديئة ذات الدولار الواحد المغطاة بالكاتشب من بائع متجول كما كنت تفعلين أحياناً، فقط لأتحدث عنك مع أحد. (لم آكلها، بل أعطيتها لمتشرد). البائع يتذكرك تماماً، وطلب مني أن أبلغك سلامه. هذه كل الأخبار.

أعلم أنك لن تظلي مستاءةً مني طويلاً. مَن هو هذا الزميل الذي رافقك إلى تسوق عيد الديوالي؟

اعتني بنفسك.

مع حبي،

أنجيلا

ملاحظة: مرفق لك وصفة فندان شوكولاتة نباتية خالية من الغلوتين: عليك استبدال البيض والزبدة والقشدة بحليب اللوز، واستبدال الدقيق الأبيض بنشا الذرة. إنه لذيذ وخفيف جداً.

يوميات أليس

لندن، 15 يناير 2012

مرحباً يا بروس،

لا أخبار عن سكارليت منذ شجارنا. أهداني أوليفر حصة تدليك في منتجعٍ صحي (لأنه يعتقد على الأرجح أنني بحاجة إلى الاسترخاء)، وتحدثنا من جديد عن تنظيم رحلة رومانسية قصيرة في باريس.

أودّ حقاً الذهاب إلى باريس. إذا لم يستطع أوليفر الذهاب، أعتقد أنني سأذهب وحدي. فلطالما حلمنا أنا وسكارليت بالذهاب إلى هناك عندما كنا صغيرتين... لدرجة أننا كنا مهووستين بباريس في فترة ما. صحيح أن إمكانياتنا لم تسمح لنا بالحصول على ملابس من ماركات عالمية مثل بعض صديقاتنا، أو على عطل الربيع في فلوريدا، أو عشوات في مطاعم شهيرة في بوسطن أو بروفيدانس، إلا أننا كنا نحمل الجنسية الفرنسية، والتي كانت أكثر أناقةً من كل قمصان نوم آشلي من فيكتورياز سيكريت[1]، ولذلك قررنا أن

(1) Victoria's Secret هي إحدى أهم ماركات الملابس الداخلية في الولايات المتحدة، أسست عام 1977 - المترجمة.

جنسيتنا الفرنسية ستكون بطاقة شعبيتنا في أدغال سنوات الإعدادية القاسية، فرحت أقرأ جميع روايات أمي الفرنسية، بينما تعلمت سكارليت الأغاني الفرنسية. وقد أفسدنا صفحات دليل أمي القديم عن باريس من كثرة استعمالنا له في تخيل رحلاتنا في العاصمة الفرنسية. لم تكن الإنترنت متوفرة في منزلنا آنذاك، فكنا نستعين بحاسوب المكتبة لإجراء الأبحاث، وننفق الرصيد المخصص لنسخ محاضرات علم الأحياء في طباعة خريطة مترو باريس، وصور بالأبيض والأسود لكاتدرائية ساكري كور أو نوتردام، التي نشرناها فوق سريرينا في غرفتنا في العلية.

لم تكن أمي على اتصالٍ بأسرتها. لقد توفي والداها بعد فترة من ولادتي، وكانت حاملاً بسكارليت آنذاك فلم تستطع حضور جنازتهما. كانت الابنة الوحيدة، ولذا لم يكن لنا أخوال وخالات ولا أبناء أخوال في فرنسا يمكننا زيارتهم يوماً ما، وكان ذلك من دواعي أسفنا.

ثم توقفت سكارليت عن الاهتمام بفرنسا وبباريس للتركيز على موضوع واحد: موسيقاها. كانت تعزف على الغيتارة بمجرد تفرغها ولو لدقيقة، إذ أصبحت الموسيقى هوسها، والشيء الوحيد الذي يهمّها. وبعد عامين من الدراسة مع السيدة هاملتون، شعرتْ هذه الأخيرة أنه ينبغي لأختي أن تأخذ دروساً مع معلِّم غيتارة حقيقي بينما ستكتفي هي بتعليمها الغناء، خاصة وأن السيدة هاملتون اعترفت بأسف بأنها لن تكون قادرة على إقناع سكارليت بالتخصص في الموسيقى الكلاسيكية، أو بشكلٍ أكثر دقةٍ في البيانو الذي بدا أنها تتمتع بموهبة حقيقية فيه. فزارت معلمة الموسيقى أمي مرةً أخرى وتحدثتا من جديد في المطبخ بصوت منخفضٍ وتركت لها السيدة

هاملتون رقم معلّم غيتارة شاب. لكن هذه المرة، وعلى الرغم من إصرار السيدة هاملتون، رفضت أمي دفع تكلفة هذه الدروس الخاصة لسكارليت، التي كانت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمرها، فتفاوضت مع مطعم للمأكولات البحرية في الميناء للقيام بساعات الخدمة المسائية وعطلات نهاية الأسبوع لكسب ما يكفي من المال لتمويل دروسها. فهي التي لم تكن تطيق السمك، عادت إلى المنزل تفوح منها رائحة البحر.

كانت هذه الفترةَ التي سجلنا فيها أغاني الراديو التي أحببناها على أشرطة صوتية. وكنا نضطر أحياناً إلى لف الشريط بقلم رصاص عندما يعلق في القارئ. كانت لدى سكارليت مجموعة كاملة، معلَّمة باللواصق بعناية ومرتبة أبجدياً. كتبت كلمات الأغاني في دفتر ملاحظاتٍ لولبي أزرق صغير لم يتركها أبداً. وكان بإمكانها قضاء ليالٍ كاملة في الاستماع إلى الراديو، في انتظار إعادة تمرير أغنية أعجبتها لتسجلها.

بالنسبة إلى كل ما تعلق بالموسيقى، لطالما كانت سكارليت صارمةً ومنضبطةً بشكلٍ مثير للدهشة. أما بالنسبة إلى باقي الأمور، فكانت فنانة، مثلك تماماً يا بروس. بمعنى آخر، بدا نصفها من الغرفة أشبه بسوق مر عليه إعصار، ولم تكن تصل في الوقت المحدد أبداً، وكانت تنسى دروسها وجدولها الزمني، وتغير رأيها كما تغير سروالها الداخلي، وكان طبعها عاصفاً مثل المحيط في شهر ديسمبر.

من جانبي، لم أكن في ذلك الوقت فتاة ذات شعبية ولا تلميذة منبوذة تُدفع في الممرات وخزائنها ملطخة بشتائم تنم عن قلة إبداع جلاديها، إذ صنّفتني جهودي لتجنب لفت الانتباه في منطقة الحياد لأولئك الذين ندعهم وشأنهم لأننا نتجاهل وجودهم، على عكس

سكارليت التي تبنّت منذ سن الثالثة عشرة مظهر الروك ولم تتخلَّ عنه منذ ذلك الحين: عينان يزينهما مكياج أسود ثقيل، سروال جينز مزقته بنفسها، وسترة من الجلد عملت من أجلها في الميناء طوال الصيف كعاملة نظافة في اليخوت العابرة. عندما كنا صغيرتين، بدونا متشابهتين، ولهذا السبب أبقيت شعري مرفوعاً وهي أبقته منسدلاً، ولكن منذ سن المراهقة وهذا التغيير في المظهر، لم يعد أحدٌ يخلط بيني وبين سكارليت.

عندما كنا اثنتين، كان دائماً ثلاثة منا: هي وأنا وغيتارتها، هاملتون. قضينا معظم أوقاتنا معاً. وبالنظر إلى الوراء، أعتقد أننا كنا زوجاً غير متطابق إطلاقاً. أنا، مع تسريحة ذيل الحصان المحتشمة ونظارات التلميذة المجتهدة، وهي بحذائها المستعمل من طراز دكتور مارتينز وغيتارتها الملتصقة بجسدها على الدوام كأنها عضو حيوي إضافي.

كان لسكارليت وضعٌ خاصٌّ. ففي ظل الديكتاتورية العنيفة لسنوات الثانوية حيث يُحكَم على كل مَن يختلف عن الجماعة بالموت الاجتماعي الفوري، لم يكن من المفترض بها، نظرياً، أن تنجو. لكنها كانت تمتلك البطاقة الرابحة المطلقة: لم تكن تبالي إطلاقاً. في الواقع، لم تكن تبالي بأي شيء لا علاقة بالموسيقى. لم تكن تبالي لدرجة أنها أثارت الإعجاب. كانت تبدو لي على أعلى درجة من الكاريزما وهي تسير في أروقة الثانوية بمشغل الموسيقى مثبت في أذنيها دون إيلاء أدنى اهتمام للسخرية والشتائم التي أثارها مظهرها غير المألوف. بالطبع، كانت لديها هفواتها وشكوكها، لكن بالنظر إلى الوراء، ما زلت حتى اليوم معجبة بروح الاستقلالية فيها.

كنت أمضي الكثير من وقت فراغي مع داكوتا وآشلي في

المقارنة بين الأولاد وكريمات معالجة حب الشباب. وفي الصف التاسع، اقتصرت تجربتي العاطفية على المشي يداً بيد مع فتى يدعى ويل، وانتهى بنا الأمر بالانفصال عندما فقدت الأمل في أنه سيجرؤ على تقبيلي. ومثل جميع الفتيات في الإعدادية (وربما بعض الفتيان)، أُغرمتُ بجوشوا ريتشاردسون. أنا متأكدةٌ أنه كان لديك أنت أيضاً جوشوا ريتشاردسون في مدرستك الثانوية، يا بروس: الأبله النموذجي الذي تقع جميع الفتيات في حبه كأنهن يسقطن من أعلى الجرف. متر وخمسة وثمانون سنتيمتراً من البلاهة الخالصة المختبئة وراء ابتسامةٍ خلابة وبطن مشدود يستحق أن يُصنف من بين التراث العالمي لليونسكو. كان عمره سبعة عشر عاماً، وقد منحته هذه الحقيقة البسيطة بالنسبة إلى خرقاء عمرها ثلاثة عشر عاماً ونصف، مكانة جذابة جداً كرجل ناضج.

وبغض النظر عن بنيته الجسدية، اتسم جوشوا بثلاث صفات: 1/ كان في السنة الثانوية الأخيرة، 2/ كان قائد فريق كرة القدم 3/ كان في السنة الثانوية الأخيرة. ورغم أنني فكرت فيه ليلاً نهاراً، لم أكن أتخيل أبداً أنه من الممكن أن يهتم بي. لذا، بنفس الدقة التي نتذكر بها الأحداث البارزة في حياتنا، أتذكر اليومَ الذي نزل فيه جوشوا ريتشاردسون من منصته المنيرة ليتحدث إليّ. كنت أقف أمام خزانتي عند الاستراحة، أستبدل كتاب علم الأحياء بكتاب التاريخ وأنا أدندن «ترولي، مادلي، ديبلي» لفرقة سافج غاردن[1]، أغنيتي المفضلة في ذلك الوقت، لأن أحداث الفيديو الذي كنت أعرفه عن

---

(1) Savage Garden هو ثنائي بوب أسترالي نال قدراً كبيراً من النجاح في أواخر تسعينيات القرن الماضي - المترجمة.

ظهر قلب دارت في باريس، ولأنه كان لدي ذوق رديء، ودلّت صور الباك ستريت بويز[1] الملصقة داخل خزانتي على هذا الأمر بوضوح تام.

- أليس؟

استغرق الأمر مني خمس عشرة ثانية للرد، خمس عشرة ثانية طويلة من التفكير المكثف والتركيز الخالص للفظ ثلاث كلمات بصوت حاد ومخنوق لم أدرك على الفور أنه صوتي:

- هل تعرف اسمي؟

حتى وإن لم يجعلني أبدو ذكيةً، كان السؤال منطقيّاً تماماً ولم يفاجئه.

- على ما يبدو. هل تريدين أن نشرب شيئاً في بوبز بعد الحصص؟

(عشر ثوانٍ من التفكير والتعرق المفرط).

- حسناً.

- عند الخامسة مساءً؟ قابليني خارج قاعة الألعاب الرياضية، سأصطحبك.

(خمس عشرة ثانية من التفكير ومن الاضطرابات التنفسيةً الشديدة).

- حسناً.

ثم أدار ظهره وغادر. كانت الساعة العاشرة صباحاً، ما يعني أنه كان لدي سبع ساعات لتحضير نفسي للموعد الذي قد يغير

---

(1) Backstreet Boys هي فرقة بوب موسيقية أمريكية، تأسست في مدينة أورلاندو بفلوريدا سنة 1993 - المترجمة.

حياتي. كان الأمر خطيراً. كان لا بد من عقد مجلس حربٍ في أقرب وقت ممكن. وفي غياب الهواتف المحمولة والإنترنت (كنا لا نزال في القرن العشرين)، اضطررت إلى الانتظار حتى الغداء لألتقي بداكوتا وآشلي وسكارليت في المقصف على طاولتنا المعتادة.

بدت آشلي وداكوتا متشككتين بعض الشيء:

- هل أنت متأكدة من أنه لم يكن في حالة سكرٍ أو تحت تأثير المخدرات؟

- هل أنت متأكدة من أنه لم يخلط بينك وبين فتاة أخرى؟

لم تنبس سكارليت بكلمة، كانت تقضم شطيرتها بزبدة الفول السوداني في صمتٍ بينما ناقشنا احتمالية عدم حضوري دروس بعد الظهر لأذهب إلى المنزل وأغير ملابسي، مع العلم أنه إذا لاحظ أنني غيّرتها، سيعرف أنني مهتمة، وإظهار اهتمامك عندما تكونين مهتمة هو خطأ المبتدئات (بحسب داكوتا). لكن من ناحية أخرى، سروالي الليفايز 501 وقميصي الأصفر الصارخ عبّرا بوضوح عن عدم اهتمامي، حتى أنه خطأ استراتيجي أسوأ (بحسب آشلي).

تهت بين نصائح صديقتَي المتضاربة وعانيت من التوتر لدرجة أنني قد أكون فقدت عشر سنوات من عمري المتوقع منذ الساعة العاشرة صباحاً، فالتفتُّ إلى سكارليت.

- ما رأيك أنتِ؟

مرّرت سكارليت يدها في شعرها. كان ذلك قبل أن تختبر كل ألوان قوس قزح على شعرها الكستنائي. أنا لم أتمكن أبداً من تسريح شعري بشكل منسدل، أما هي فكانت لديها طريقة لتمرير أصابعها وترك خصلها تسقط بشكل طبيعي على جانبَي وجهها جعلتها

تبدو مثيرة.

- أعتقد أن جوشوا ريتشاردسون معتوه وأنه لا ينبغي لك أن تذهبي للقائه.

قوبِل هذا التصريح بصمت لا يوازي سخافته سوى موضة الأحذية الرياضية ذات الكعب السميك.

- إن كان معتوهاً حقاً، لما كان قائد فريق كرة القدم، قلت مدافعة عنه.

ضحكت سكارليت بازدراءٍ.

- أذكّرك أنه واعد جيسيكا العام الماضي. لقد أقاما علاقة وانفصل عنها في اليوم التالي، وأخبر الجميع أن السبب هو أنها لم تحلق إبطيها.

كنت أعرف تلك القصة بطبيعة الحال، فقد سمع الجميع عن شعر إبطَي جيسيكا بيكر ورأى الجميع أنه من المضحك أن جوشوا وضع في الأسابيع التالية شفرات حلاقة وكريمات لإزالة الشعر وشرائط شمع في خزانتها في حال لم تصلها الرسالة، ولم يقلق بشأنها أحد عندما انتقلت إلى ثانوية أخرى في منتصف العام الدراسي.

- يكفي أليس أن تحلق شعر جسمها إذاً، قالت داكوتا التي من الواضح أنها لم تستوعب لب المشكلة، فدعمتها آشلي التي لم يحركها حسها النسوي أيضاً.

- لا تذهبي، قالت سكارليت.

ثم أضافت بعد ترددٍ:

- رجاءً.

- ستكون غلطة عمرك إن لم تذهبي، صرحت داكوتا.

- إن لم تذهبي، فسأذهب مكانك، أكدت آشلي.

- سأذهب، قررت. حتى لو بدافع الفضول فقط.

رفعت سكارليت عينيها إلى أعلى وأغلقت علبة غدائها بطقطقة جافة.

- هو ليس مهتماً بك.

- من الفظاعة أن تقولي ذلك! صاحت آشلي مذهولةً.

هزت سكارليت كتفيها.

- هذه هي الحقيقة.

- وكيف تعلمين ذلك؟

- أعلم ذلك فحسب. وإذا كنت تثقين بي، فلن تذهبي.

جزءٌ مني عرف أنها على صواب، لكن الجزء الآخر، الجزء الذي أمضى أياماً في غرفة نومنا يتخيّل سيناريوهات حب غير محتملة مع جوشوا ريتشاردسون وهو يستمع إلى سافج غاردن، أراد تلك القصة. تبادلت داكوتا وآشلي نظرة، لكنهما لم تقولا شيئاً. إما لأنهما اعتقدتا حقاً أن سكارليت كانت على حق، أو لأنهما تعلمان أنه من غير المجدي انتقاد أختي الصغيرة في حضوري.

التحق بي جوشوا خارج قاعة الألعاب الرياضية متأخراً بنصف ساعةٍ. رافقني إلى سيارته وفتح لي الباب، وكاد يغمى عليّ من لفتة الشهامة هذه. شربنا مخفوق الحليب عند بوبز، وأراحني أنه لم يترك لي مجالاً لأنطق بكلمة، إذ تكلم بإسهابٍ عن موضوعه المفضل: نفسه. شربت بخشوع كلماته ومخفوق الحليب بنكهة الفانيلا، ثم اقترح عليّ أن نعود إلى سيارته، وهو ما فعلناه. أخرج من درج السيارة زجاجة فودكا رخيصة شرب منها عدة رشفات قبل أن يمدّها

لي.

- لديّ بطاقة هوية مزيفةٌ، قال مبرراً وجود الزجاجة رغم أنه لم يبلغ سن الواحدة والعشرين القانونية.

شربت منها فأحرق الكحول حلقي، واختنقت من شدة السعال. كانت هذه المرة الأولى التي أشرب فيها أكثر من رشفة من البيرة. ولأنني لم أرغب في أن أبدو طفلة، رغم أنني كنت كذلك، حملت الزجاجة إلى شفتَي وشربت رشفة أخرى. هذه المرة، أنا من كنت المتمردة. لم أعد خائفةً من شيءٍ. كان رأسي يدور. وضع ذراعاً حول كتفيَّ وقبّلني. كان ذلك إحساساً جديداً بالنسبة إليّ وبالتالي مثيراً للاهتمام، ولكن كان اللعاب عاملاً مزعجاً، وكان مكبح اليد مغروساً في أضلاعي، ما كان مؤلماً للغاية. ورغم ذلك سمحتُ ليديه أن تنزلقا تحت قميصي، وروادني شعور بالخوف من أنني قد لا أخرج من تلك السيارة بسلام عندما ابتعد مني فجأة وغرق في مقعده.

- أردت أن أحدثكِ في موضوع.

وبما أنني لم أجب، تابع:

- أرغب في مواعدة أختك.

شعرت بصدمة كما لو أن حاوية قمامةٍ أُفرغت فجأةً على رأسي، ولأستعيد رباطة جأشي، عدّلت قميصي، وقلت في نفسي إنه وسيم حقاً، ما كان غبياً مني حقاً. حدق في وجهي منتظراً ردي.

- لماذا تبكين؟

- أعاني من حساسيةٍ من الكحول، تلعثمت.

- آه، حسناً.

كنت في حالة من الصدمة: لأول مرة، فضّل أحدهم سكارليت عليّ. اصطحبني جوشوا إلى المنزل في صمت، وعند وصولنا أمام المنزل، سألني من جديد:

- هل ستكلمينها؟

وليُظهر لي حسن نيّته، أطلَّ من النافذة فيما كنت أمشي مبتعدة وصرخ:

- إذا لم تقبل، فأنا مستعدٌ لمواعدتك!

عندما دخلتُ المنزل، تجاهلتُ أمي وهي تسألني من المطبخ عن سبب عودتي في وقت متأخر كهذا وتوجهت إلى غرفتي مباشرة. كانت سكارليت جالسةً على السرير، تتعلم قطعةً جديدة على الغيتارة. نظرت إليّ بقلق.

- إذاً؟

- إذاً، جوشوا ريتشاردسون يريد مواعدتك أنتِ.

لم تتفاجأ. كانت تعلم ذلك على الأرجح، وقد حاولت أن تحذرني. استمرت في العزف، شاردة الذهن. ارتميت على سريرها وشاهدت أظافر عازفة الغيتارة القصيرة ذات الطلاء الأزرق المتقشر وهي تلاعب أوتار الآلة. سألتها بعد دقيقة طويلة:

- ماذا تريدين أن أقول له؟

ابتسمتْ ومسحت بأناملها الدموع التي انذرفت على خدي.

- أنا موافقة لكن على شرط: أن يزيل شعر جسمه بأكمله بالشمع الساخن، بما في ذلك شعر رأسه وحاجبَيه.

ضحكنا بشكلٍ هستيريٍّ لدرجة أنني سقطت من السرير.

وأنا أكتب هذه السطور، أتساءل يا بروس ما إذا كان جوشوا

ريتشاردسون، على الرغم من غبائه، قد رأى قبل الجميع ما رأيته في سكارليت وما سيراه بدورهم الكثير من الناس بعد ذلك: أنه لم يكن هناك أروع من سكارليت سميث-ريفيير في ولاية رود آيلاند بأكملها.

من: إريكا سبنسر

إلى: ألِيس سميث

في: 10 أكتوبر 2018

الموضوع:

ألِيس،

أنت لم تردّي على أي من رسائلي الإلكترونية. لقد مررت بمقر عملك وفوجئت عندما علمت أنك لم تعودي تعملين في وول ستريت. حتى أن إحدى زميلاتك أخبرتني أنك انتقلت للعيش في فرنسا.

أنا أرغب في التحدث إليك. فكما تعلمين، ليس من مصلحتك أن ترفضي وستكونين مخطئة إذا ظننت أن عليك فقط الانتقال إلى بلد آخر للتخلص مني.

اتصلي بي.

إريكا سبنسر

2018

فصل الشتاء

«يقولون إن الوقت يشفي كل شيء،
لكن مرت سنواتٌ عديدةٌ الآن، وما زلت لم أتعافَ.
أبتسم، أغني، أرقص، أغازل،
لكن كل مرة أفكر فيك، أتألم».

سكارليت س. ر. والفينيق الأزرق، أمي

وضعتُ الماسكارا بعنايةٍ وفحصت وجهي في المرآة. أكاد لا أضع المكياج أبداً، لكني وعدت أنجيلا بأن أبذل بعض الجهد عند ذهابي إلى حفل سرانيا للاحتفال بعيد الأنوار. ارتديت فستاناً اشتريته خصيصاً لهذه المناسبة وأخرجت من أحد الصناديق حذاءً أحمر ذا كعب عالٍ، وهو زي من الطراز الذي قد ألبسه في أعياد الميلاد. ارتديت معطفي وتوجهت إلى المترو.

كان شهر ديسمبر على الأبواب، فكانت الأشجار عارية في الشوارع والأرصفة زلقة بسبب الأوراق المتساقطة. وصلتُ إلى مطعم والدَي سرانيا عند الساعة السابعة مساءً، كما أوصتني. كان الداخل مضاءً وميزت حركةً خلف ستائر النافذة، إلا أن الباب الرئيسي كان مغلقاً. طرقته عدة مرات قبل أن يفتح لي أحدهم.

- آه، لا بد أنك أليس!

كانت المرأة التي فتحت لي الباب ترتدي سارياً برتقاليّاً جميلاً مطرزاً بالذهب والفضة. كانت تشبه سرانيا تماماً، مع ثلاثين عاماً وثلاثين كيلوغراماً إضافية. ضمّتني إلى صدرها الضخم.

- مرحباً بك، عزيزتي أليس! لقد أخبرتني سرانيا الكثير عنك!

رددت بخجلٍ على عناقها الدافئ الذي لم أتوقعه ومددت لها باقة من الزهور.

كانت الأضواء مطفأة، وأضاءت مئات الشموع والشرائط المضيئة المعلقة في كل مكان قاعة المطعم بضوء دافئ وخافتٍ. تم دفع الطاولات إلى الجدران لتحويلها إلى بوفيه ولفسح المجال لحلبة رقصٍ لاحقاً. ، واختلطت رائحة توابل خفيفة مع رائحة اللحم المشوي.

وضع بعض الضيوف، معظمهم من النساء في أزياء تقليدية، على البوفيه المغطى بقماش أبيض وفرة من الأطباق الملونة. كنت المرأة البيضاء الوحيدة، والوحيدة التي ترتدي ملابس غربية. لم أكن أعلم ماذا أفعل أو أين أقف، إذ بدا الجميع مشغولاً.

- أيمكنني مساعدتكم؟

- بالطبع لا، ردت والدة سرانيا، أنت ضيفتنا. أين سرانيا؟

أخرجت هاتف آيفون من ثنية ساريها كما لو قامت بخدعة سحرية وشرعت في الاتصال بابنتها التي تحدثت إليها بلغة غير مفهومة. تذكرت أن أنجيلا أخبرتني ذات مرة أن هناك أكثر من مائة وعشرين لهجة في الهند، وبالتالي لم أفترض أنها الهندية.

- ستنزل حالاً!

وتجسدت سرانيا أمامي بالفعل بعد بضع دقائق، وبدت كأميرة **ألف ليلة وليلة**. كانت ترتدي سارياً أزرقَ فيروزيّاً مطرزاً بزهور فضية كبيرة، وكشف النسيج الأزرق الشفاف الذي امتد من وركها ليغطي كتفها اليسرى عن جزءٍ من بطنها، كما كانت ذراعها اليمنى المكشوفة مثقلة بأساور من الفضة المرصعة بالأحجار الزرقاء التي وصلت إلى كوعها وتطابقت مع حلقَين طويلين لامسا كتفيها. كان مكياجها أقوى

من العادة، وأظهر حاجباها الكثيفان والماسة على أنفها جمال عينيها الداكنتين مثل حجرين كريمين في وجهها الأسمر.

- تبدين رائعة، أثنيت عليها بكل صدق.

- أعلم ذلك! كان بودّي أن أقول الشيء نفسه عنك، لكنك تبدين وكأنك في جنازة، أجابت وهي تسحبني من يدي.

لم يتسنَّ لي الدفاع عن نفسي فسرعان ما سحبتني إلى الغرفة الخلفية وجعلتني أصعد الطابقين المؤديين إلى الاستوديو الخاص بها.

تأملت بفزع كومة الألبسة الملونة المبعثرة على سريرها وعلب المكياج المتناثرة التي غطت كل شبر من قطع الأثاث القليلة في الغرفة.

- لقد خربت كل ما رتبناه معاً!

نظرت سرانيا من حولها، وبدت في حيرة من أمرها حقاً.

- كل ما فعلته هو أخذ ما كنت بحاجة إليه. كفى هراء، سنجد لك زياً مناسباً.

حاولتُ الاحتجاج لكن من دون جدوى، وحاولتْ تجريدي من ملابسي بالقوة، إلا أنني قاومتها فقبلتْ أن أختبئ في غرفة الاستحمام الصغيرة جداً، أصغر من كشك هاتف، لأخلع فستاني. وبما أنني لم أبدُ جذابة إطلاقاً بحسب قولها، دعت أخواتها للمساعدة، فلفّتني الأولى في أمتار من الحرير الأصفر والذهبي مثل لفة السبرينغ رول، ومشطت وملست ثم جعدت الثانية شعري الكستنائي، بينما باشرت سرانيا، مسلحة بمجموعةٍ من علب المكياج والأدوات تعادل تلك الموجودة في طابق التجميل في متجر بلومينغديلز، بإعادة طلاء وجهي.

- أرجوك لا تبالغي في تزيين عينَي، توسلت إليها في هلع، أنا لا أحب أن أضع المكياج على عينَي. ولا أحب أن يكون شعري منسدلاً، أفضله مربوطاً.

- ثقي بي، صاحت بحماس، مع مقوِّس الرموش في يدٍ وصف من الرموش الاصطناعية في اليد الأخرى، ما أشار بالعكس إلى أنه لا ينبغي أن أثق بها وأنه قد يستحسن أن أهرب راكضةً.

لكن لا فائدة من مقاومة سرانيا وعنادها، فاستسلمت بيأس وتركتها تحولني إلى أميرة هندية.

- تمام! صاحت بعد انتهائها.

نظرت إليّ أخواتها وهززن رؤوسهن.

- لا بأس، أقرت إحداهن.

- إنها تفتقر إلى لمسة أخيرة، قالت أخرى معلقةً على جبيني جوهرة ذهبية تتطابق مع الحلقَين اللذين ألبسنني إياهما قسراً.

عندما وقع بصري على المرآة، استغرق الأمر بضع ثوانٍ لأدرك أن ما أتأمله هو انعكاسي. لهذا السبب أنا لا أضع المكياج أبداً. فما عدا بشرتي الفاتحة، بدوتُ كفتاة هندية. وكشجرة عيد الميلاد: الساري المطرز بالذهب، والمجوهرات، والشعر المنسدل والمجعد، ونقطة البندي الحمراء على الجبين والعينين. فرغم وعدها، أحاطت سرانيا عينَي بالأسود، بحيث جعلهما الكحل والظلال الداكن تبدوان واسعتين ومتوهجتين.

- هل أعجبك ذلك؟

لا، لم يعجبني. لا علاقة للفتاة في المرآة بي، والمكياج المفرط يذكّرني بشخصٍ أحاول نسيانه. لكنها بدت سعيدة جداً من تحولي ففضلت الكذب.

- شكراً لك، هذا جميلٌ جدّاً.

- عظيم! يمكننا أن ننزل الآن.

كانت عملية إعادة تأهيلي قد استغرقت أكثر من خمس وأربعين دقيقة، فعندما عدنا إلى الأسفل، كان المطعم مكتظاً بالناس. كانت الموسيقى في أوجها، وكان الضيوف يأكلون ويتحدثون بمرحٍ، وجوههم مضاءة بضوء الشرائط والشموع الناعم، ولاحظت لأول مرة **الرانغولي** على الأرض، تلك الرسومات الملونة بالزهور الهندسية التي ذكرتها سرانيا.

- تفضلي! صرخت سرانيا وهي تناولني صحناً من الورق المقوى.

قامت بتقديم سريع للبوفيه: طبق الدال المصنوع من العدس، وحمص الماسالا المنكه بالكاري والكمون، ودجاج التندوري مع صلصة الكزبرة، وأنواع خبز النان المختلفة، وفطائر الساموسا المحشوة بالقريدس والخضروات واللحم. لم أفهم كل ما قالته، إلا أنني ملأت صحني تدريجياً وهي تشرح لي كل طبق وتذوقه. رفضت كأس النبيذ الذي قدّمته لي بتكتم واكتفيت بفنجان شاي.

- جزءٌ من عائلتي لا يشرب الكحول، بمن فيهم أنا... رسمياً، شرحت لي وهي تغمز بعينيها وتسكب لنفسها كوباً.

جلسنا إلى زاوية من الطاولة، فعرفتني سرانيا على أقاربها، لكني لم أحفظ كل الأسماء. غمستُ قطعة من النان في صلصة حمراء كريمية. كان الطعم لذيذاً جداً، إلا أن لساني لم يكن معتاداً على التوابل فشعرت بوجهي يحمر.

- إذا كان حاراً جداً، فهناك جبن أبيض في ثلاجة المطعم، قالت إحدى قريباتها ضاحكةً.

- أشكرك، إنه لذيذٌ.

لطالما أحببت الطعام الحار. غالباً ما دعتني أنجيلا لتناول العشاء في منزلها، لكنها لم تطبخ الأكل الهندي أبداً، فالوصفة الوحيدة التي أتقنتها كانت شاي الكرك مع الحليب والتوابل. رائعة. أما عن الباقي، فكنت آمل دائماً أن يطبخ آبي عندما دعواني إلى منزلهما، لأن تجارب أنجيلا مع الطبخ النباتي كانت كارثية أحياناً.

- في الهند، هناك مثل يقول «اعتنِ بجسدك كي ترغب روحك في البقاء فيه»، قالت سرانيا بفمٍ ممتلئ.

- لست متأكدةً أن «اعتنِ بجسدك» يعني تناول خمسة كيلوغرامات من دجاج تكا ماسالا، ردت إحدى قريباتها ضاحكةً.

- أنت مخطئةٌ، روحي تحب دجاج تكا ماسالا، ردت سرانيا، وجسدي مثالي كما هو!

لم أشعر بمرور الوقت. لقد أكلت كثيراً وأتعبتني الموسيقى الصاخبة. انحنيت على أذن سرانيا وهمست لها:

- سأعود.

توجهت إلى دورة المياه، متسللة بين الراقصين المتعرقين. وبينما كنت أغسل يدي، تفاجأت مرة أخرى من انعكاسي في مرآة الحمام الصغيرة. ترددت في إعادة ربط شعري، لكني كنت قد تركت الرباط المطاطي في الأعلى. أشحت بنظري عن المرآة. في طريقي للخروج، لمحت باباً موارباً في نهاية الرواق، فلم أقاوم الرغبة في دفعه، ليس بدافع الفضول بل بحثاً عن بعض الهدوء. كانت غرفةَ تخزين مكدسة بالصناديق، ولا بد أن عائلة سرانيا قد صنعت **الرانغولي** الذي يزين منزلهم في هذه الغرفة الصغيرة. فعلى طاولة

قابلة للطي، جاورت أكياس من المساحيق متعددة الألوان مراسم[1] ورقية، كما رُسمت دوائر بالطباشير على الألواح، وهي بدايات لرسومات هندسية لزهور وأشجار وطيور. ألقيت نظرة على كومة من النماذج المطبوعة من الإنترنت. ترددت، لكن لم أستطع المقاومة. جلست على الكرسي القابل للطي وأمسكت بلوحةٍ، وبدأت أرسم. تركت الباب مفتوحاً. وصلني صوت الموسيقى والضحك المتعالي بشكل خافتٍ. اعتمدت نموذجاً لطاووس، ثم ارتجلت. رششت بأطراف أصابعي الرمل الملون داخل المرسم لرسم الريش، وكنت مركِّزة على مهمتي لدرجة أنني نسيت أين كنت ولم أعر اهتماماً للوقت الذي يمر.

أخرجتني نحنحة من خمودي.

- المعذرة، أنا أبحث عن...

رفعت رأسي وعندما رأى وجهي، توقف محاوري عن الكلام. ظهرت الدهشة للحظة على عينيه الزرقاوين المألوفتين اللتين عادة ما تخلوان من التعبير.

- مرحباً يا جيرمي، لم أكن أعلم أنك ستأتي.

- اعذريني، أنا لم أتعرف عليك، قال بعد صمت قصير.

وانتابني فجأة شعور غريب بأنه على الرغم من المكياج، والمجوهرات، والساري، وتسريحة الشعر غير الاعتيادية، كان يراني للمرة الأولى. حدق بي بشدة لدرجة أنني أعدت ترتيب الساري لاإرادياً، لكن هذا لم يزل ارتباكي.

---

(1) المرسام هو سطح رقيق من الورق مُفرغ منه أجزاء على شكل حروف أو تصاميم ويستخدم لنسخ كتابة أو رسم - المترجمة.

- كنت أبحث عن دورة المياه.

- إنها في آخر الرواق على اليمين.

هز رأسه، لكنه لم يتحرك. تساءلت عما إذا كان قد أفرط في الشرب، فكان هناك تردد في سلوكه لم أره من قبل. تذكرت أن سرانيا طلبت مني رقمه. هل كان ذلك لدعوته الليلة وشكره فقط أم لدعوته على مشروب؟ هل كانا يتواعدان؟ أدركت أنها لم تعد تخبرني عن مواعيدها على تيندر منذ فترة.

- إنه جميل جداً، قال فجأةً، مشيراً بذقنه إلى الرسم شبه المكتمل. لم أكن أعرف أنك فنانة.

- لا، لا، أنا لست فنانةً على الإطلاق... إنه مجرد طاووس.

- همم، بدا لي أشبه بطائر الفينيق.

- لا بتاتاً، إنه طاووس.

- حسناً... أراكِ لاحقاً إذاً.

خرج من الغرفة الصغيرة ونظرت إلى الرسم. كان على حق. لقد ابتعدت عن الرسم الأصلي، إذ يشبه الطائرُ الأزرق ذو الجناحين المفتوحين والمحاط بلهب أحمر وأصفر وبرتقالي طائرَ الفينيق فعلاً. هززت كتفَي ووضعت يدَي وسط **الرانغولي**، وببضع حركات، أتلفتُ الرسم الذي استغرق مني رسمه وقتاً طويلاً فتلاشى الطائر الأزرق في صهارة من الرمال الملونة. قصص للأطفال. الفينيق لا يولد من رماده من جديد. نظرت بارتياح إلى راحتَي يدَي المكسوتين بالمساحيق. هذا ما يحدث حقاً لطائر الفينيق. إنه يضمحل في عظمته؛ يعميه نوره، ويموت جرّاء إيمانه بأنه خالد، فتلتهمه النيران التي أحرق بها الآخرين.

عند عودتي إلى قاعة المطعم، كان الجميع على حلبة الرقص،

بمن فيهم جيرمي الذي استولت عليه قريبات سرانيا. رقصن حوله، وجعلت أيديهن المشبوكة والمتموجة الأساور تتلألأ على معاصمهن. لم يبد مستمتعاً، إلا أنه حاول تقليدهن قدر المستطاع. جعلني المشهد أبتسم. أمسكت سرانيا بيدي فجأة.

- أليس! أين كنت؟

- كنت أصنع **رانغولي**.

نظرت إلى الأعلى وسحبتني إلى الحلبة. حاولت المقاومة، لكن من دون جدوى. صرخت في أذنها لأغطي صوت الموسيقى:

- هل دعوت جيرمي؟

- بالطبع!

- هل رأيته منذ تلك المرة؟

- مرةً واحدةً، نعم. كنت بحاجة إلى شخص ليقود أحد عجائزي الصغار إلى المسرح في عيد ميلاده ولا أعرف أحداً غيره لديه سيارة! إنه لطيف جداً.

ودون أن تمنحني الوقت للتفكير فيما قالته، جرّتني إلى رقصة محمومة على أغنية من الراب الهندي ردّد الضيوف كلماتها بحماس، فركّزت على الحركات المعقدة التي بدا وكأن الجميع يتقنونها، لأقلدها. زينت كرة ديسكو الساريات متعددة الألوان ببقع من الضوء، فشعرت وكأنني في كوميديا موسيقيةٍ. راقبت الوجوه من حولي وأدهشني الفرح الذي انبعث من كل تلك الابتسامات. منذ متى لم أشعر بهذه الخفة؟ هذه الرغبة في الرقص؟

- جيرم! صرخت سرانيا وهي تسحب جيرمي من بين قريباتها لتُدخله دائرتنا. أنت ترقص كيفما اتفق! ركّز قليلاً!

- لقد جعلتني أشرب كثيراً، قال متذمراً، كل شيء يتمايل من حولي!

شرعت سرانيا في تعليمه حركات الرقصة بالعرض البطيء، فراقبها باهتمام فيما جعدت ابتسامةٌ لطيفة ساخرة طرفَ عينيه وامتدت شفتاه.

انخفضت الموسيقى بعد فترةٍ وشغّل أحدهم أغنيةً هادئةً. ألقيت نظرة إلى ساعتي، متفاجئةً. إنها الرابعة صباحاً. خفتت إثارة السهرة وشعرتُ بنفسي مستنزَفة، فانسحبت بهدوء وصعدت إلى استوديو سرانيا لأغير ملابسي، وتركت الساري الأصفر مطوياً بعناية على سريرها، ثم استعدت معطفي ونزلت. بحثت عن سرانيا في الحشد لأودعها، لكنها كانت ترقص مع جيرمي فلن تراني. قررت ألا أقاطعهما وتسللت إلى الخارج. داهمني البرد فزررت مرتجفةً معطفي حتى أعلى الياقة. أخرجت هاتفي لأطلب سيارة أوبر. كانت فترة الانتظار ثلاث عشرة دقيقةً. تنهدت فخرج بعض البخار الأبيض من فمي. كان عليّ طلب السيارة وأنا في الداخل لتجنب هذا الانتظار العقيم. مرت الدقائق ببطء رهيبٍ. انغلق الباب خلفي وانضم إليّ جيرمي. كانت يداه في جيبَي سترته وخوذة دراجة نارية في يده.

- أليس؟ هل أنت ذاهبة إلى المنزل؟

- نعم، أنا أنتظر سيارة أوبر.

- أنا سأذهب بدراجتي النارية. هل تريدين توصيلةً؟

- بالطبع لا، لقد أفرطتَ في الشرب ولا ينبغي بك أن تقود.

ضحك ضحكة خفيفة.

- حاضر، يا أمي...

- أنا جادةٌ، الأمر خطير. يمكنك أن تستقل سيارة أوبر التي طلبتُها.

- مستحيل أن أترك دراجتي على الرصيف طوال الليل.

أطلقتُ تنهيدة طويلة وألقيت نظرة إلى شاشة هاتفي. كان الأوبر سيصل في غضون ثلاث دقائق.

- أين ركنتها؟

- في الجانب الآخر من الشارع، لماذا؟

فتحت التطبيق وألغيت طلبي.

- لأنني سأصطحبك إلى منزلك.

سأل وقد بدا مستمتعاً ومتفاجئاً في آن معاً :

- كيف ستصطحبينني؟

- على دراجتك النارية، بما أنك لا تريد تركها هنا.

حدق فيّ مذهولاً، ثم راح يضحك ضحكة مكتومة.

- ألديك رخصة سياقة دراجة نارية؟

- نعم، أعطني مفاتيحك.

مددت له يدي المفتوحة. تردد، ثم وضع فيها مفاتيحه. لامستْ أصابعُه راحةَ يدي فسحبتها بسرعة، محرجة من الرعشة التي تسبب فيها هذا الاتصال غير المتوقع. وبصراحة، كنت مرتاحة أكثر لفكرة أننا نكره أحدنا الآخر.

- حسناً، أيتها القائدة، لكن ارتدي الخوذة. وكوني حذرةً! أود أن أذكّرك أن مصير الجوارب اليتيمة هو بين يدَي فإذا قتلتني على دراجة نارية، فلن أتمكن أبداً من إصدار التطبيق. . .

ابتسمت وركبت الدراجة، فاستقر خلفي.

أخفضتُ قناع الخوذة وشغّلت المحرك. تشبّثَ بالمقبضين

الخلفيين للدراجة وانطلقتُ مسرعةً. كانت الشوارع فارغة، وأمتعتني السرعة والضوء الخفيف لأعمدة الإضاءة. اختفى تعبي فجأة، ولم أعد أريد العودة إلى المنزل. تبعنا قناة سان مارتان، أعطاني جيرمي التعليمات، لكنني لم أتبعها فتهت في متاهة من الأزقة.

انحنى نحوي وصرخ ليغطي صوت المحرك.

- حسناً، بما أنك تعتقدين أنه وقت مناسب لزيارة باريس، انعطفي يساراً عند الزقاق التالي، وسنتجه إلى أرصفة السين.

اتبعت نصيحته فوصلت إلى ضفاف نهر السين. كانت خالية من المراكب والقوارب التي تعكّر صفو سطحها أثناء النهار، فبدت مسطحة مثل المرآة، مضاءة بأضواء الشوارع العتيقة. أشار جيرمي إلى كاتدرائية نوتردام ونافذتها الموردة وبرجيها المضيئين، وقصر كونسييرجيري، وجسر نُف، وجسر الفنون، وسمعت ابتسامة غير مألوفة في صوته الأجش، دون أن أجيب. ولأول مرة، رأيت باريس العشاق، من دون حشود السياح والباريسيين الكئيبين، كما لو كانت المدينة خالية، بمبانيها الهوسمانية، وشوارعها العريضة المزينة بالأشجار، ولوحاتها الإرشادية القديمة حيث كُتب «متروبوليتان» باللون الأخضر على خلفية صفراء، وبرج إيفل المهيب والمتلألئ في الليل البارد، والقبة المضيئة للقصر الكبير. تسربت الرياح داخل معطفي، لكنني لم أبالِ. تجولت في الشوارع الفارغة مع نفس الشعور بالحرية كما لو كنت على متن مركبٍ شراعي وسط المحيط. ثم ذكّرني فجأة الصليب الأخضر لصيدلية بالوقت فالتفتُّ نحو راكبي:

- آسفة على إطالة الطريق، سنذهب إلى المنزل الآن!

اتجهت على مضض إلى الدائرة التاسعة حسب توجيه جيرمي وتوقفت أمام المبنى الذي أشار إليه.

- الحد الأقصى للسرعة في المدينة هو خمسون كيلومتراً في الساعة، وليس مائة وعشرين، لاحظ وهو ينزل عن الدراجة، وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيه.

قهقتُ ضاحكةً وخلعت الخوذة ونفضت خصل شعري البنية والضفائر الجميلة التي صفّفتها أخوات سرانيا والتي لا بد أنها خربت الآن. أمعن النظر في عينَي.

- إذا لخصتُ الأمر، لقد اقترحتِ أن تصطحبيني إلى المنزل، ثم أخذتني في نزهة رومانسية على ضفاف نهر السين، فيُفترض بي الآن أن أدعوك إلى منزلي لنحتسي كأساً أخيراً. . .

وضعت مفاتيح دراجته النارية في الخوذة ومددتها له.

- ولكن بما أنني لا أشرب، وأنك تعيش في الطابق السادس من دون مصعد، وأنني متيقنةٌ من أنك مهذبٌ ولا تدعو زملاءك إلى منزلك في منتصف الليل، سأطلب سيارة أوبر وستذهب أنت إلى الفراش بعد أن تشرب ثلاثة أكواب كبيرة من الماء. وستشكرني غداً.

- لقد تم إصلاح المصعد، ولديّ زجاجة بيرييه خالية من الغازات في الثلاجة، أو حتى كوب من ماء الصنبور الفاخر.

- أنت تغريني حقاً. . .

- واعلمي أنني أقل تهذيباً بكثير مما أبدو عليه.

لم يكن يمزح. تعتمت عيناه وظلتا مركزتين على عينَي. بقيتُ عاجزةً عن الكلام للحظة وأنا أستوعب أنه كان يقترح عليّ فعلاً أن أصعد إلى منزله. لم يكن انطوائياً كما ظننتُ إذاً، إلا إن كانت الكحول تجعله متهوراً. . .

- أتتكلم بجدٍّ؟

لا بد أنني خفضت مستوى حذري، واسترخيت، وأعطيته انطباعاً بأنني فتاةٌ عاديةٌ، قادرةٌ على قضاء ليلة معه لمجرد أنني معجبةٌ به. ما كان يجب أن أتصرف على هذا النحو.

- لقد سبق أن أجرينا هذه المحادثة من قبل، فأنا لا أقول شيئاً لا أقصده، أجاب.

- وماذا عن سرانيا؟

رفع حاجيه متفاجئاً بسؤالي.

- سرانيا فتاةٌ رائعةٌ، لكن إذا كانت تتوقع أن يحدث أي شيء بيننا، لما طلبت مني هذا الكم من النصائح حول المغازلة. وقد منحتني رسمياً الليلة لقب «مدرب اللقاءات»، وبالمناسبة، هي تواعد منذ ثلاثة أسابيع منسق حدائق يكتب لها القصائد على إنستغرام...

الشاعر-منسق الحدائق... لقد حدثتني عنه، لكنني لم أكن أعلم أنها كانت لا تزال تواعده.

أومأت برأسي وأخرجت هاتفي من حقيبتي.

- أنت لم تجيبي، لاحظ باقتضاب.

استند إلى البوابة، وبدا من الواضح أنه لم يكن ينوي الصعود إلى منزله، فشعرت بتوتر شديد.

- جوابي هو لا.

سادت لحظة صمت.

- من باب المبدأ أو لأنك لا تريدين ذلك؟

- لأنني لا أريد ذلك، لأننا نعمل معاً ولأنني... لا أفعل «ذلك».

- «ذلك»؟

رغبت في أن يتوقف عن النظر إليّ.

- المغازلة، قلت بحدة أكثر مما كنت أنوي، اللقاءات، العلاقات الرومانسية، الحياة الزوجية. . .

كست ابتسامة طفيفة محياه.

- من باب التوضيح، لم يكن ذلك طلباً للزواج، لكن القرار قرارك.

ظل وجهه خالياً من أي تعبير وأنا أطلب سيارتي. لم تبدُ عليه حتى خيبة الأمل. قلت في نفسي إنه ثمل وقد حاول معي لأنني كنت الفتاة الوحيدة المتاحة. عندما سيستيقظ غداً، سيريحه رفضي.

- متى سيصل سائقك؟

- بعد أربع دقائق، لكن يمكنك الصعود.

- سأنتظر معك.

- لست مضطراً إلى ذلك.

شعرتُ بخيبة أمل سخيفة، بشيء يخنقني، كما لو أنه هو من رفض للتو قضاء الليلة معي وليس العكس.

- لا تقلقي، ليس من أسلوبي الإصرار، ولم يتبقَّ من الوقت سوى ثلاث دقائق ونصف، قال معلقاً.

دسّ يديه في جيبَي سترته وانتظرنا دون أن نتكلم. لو كان أصر، هل كنت سأصعد؟ ربما، نعم. مرةً واحدةً فقط. كي لا أنام وحدي. لكنني أفقد صوابي. لا يجب أن أفكر في الأمر، أو أن أتخيله حتى. لم أكن معجبةً به. لم أعجب بأحد منذ زمن طويل. أو ربما أنني معجبةٌ به قليلاً، لكنها مجرد رغبة عابرة، وسأنسى الأمر غداً. حتى رغبتي في وضع يدي على لحيته البنية التي تغطي خديه، وفي أن أتنفس رائحة الصابون في جوف رقبته، وأن أغرق في عينيه الزرقاوين العميقتين لدرجة أنني لم أدرِ ما إذا كنت خائفةً من الغرق

فيهما أو كنت أرغب في ذلك. لكن لا، إنها باريس، والليل، وهذه السهرة. غداً، لن أرغب في أي من هذا. لن أرغب في سماع صوته الأجش يهمس بكلمات محبة في أذني أو في أن أمرر يدَي تحت جلد سترته لقياس حرارة جسده.

- فيمَ تفكرين؟ سأل متثائباً، أنت تنظرين إليّ بغرابةٍ.

قفزت، ثم احمر وجهي خجلاً.

- في لا شيء. في أوبر.

- ها هو ذا.

توقفت سيارة سوداء أمامنا. فتح لي جيرمي الباب وجلست في الداخل.

- الشعر المنسدل يليق بك. تصبحين على خير يا أليس.

أغلق الباب دون أن ينتظر إجابتي وانطلقت السيارة.

أخرجت شريطاً مطاطياً من حقيبتي وربطت شعري على شكل ذيل حصان ضيق بحركة غاضبة. لسبب لم أفهمه، كنت غاضبة جداً وحزينة جداً في آنٍ واحدٍ. غرقت في جلد المقعد وتنهدت تنهيدة طويلةً.

بقدر ما كان ذلك غير مفهوم وغير منطقي وسخيفاً، كنت معجبةً به طبعاً.

كان يجدر بي أن أقبل.

يوميات أليس

لندن، 2 فبراير 2012

مرحباً يا بروس،

لم أكتب منذ فترةٍ. لا حافز لديّ. ولا أخبار عن سكارليت، أنا أفتقدها. ينبغي لي أن أتصل بها، لكنها لطالما قامت بالخطوة الأولى عندما نتشاجر. توقفتُ عن الذهاب إلى الطبيب النفسي. لا فائدة من ذلك. ذهبت إلى طبيبتي النسائية بدلاً عن ذلك وسألتها كيف يمكنني تسهيل العملية، وبدأت أتناول الهرمونات على شكل حبوب مع قهوتي عند الإفطار لتحفيز الإباضة.

لقد أتى ذلك بنتيجة، حتى لو لم تكن النتيجة المنشودة: لقد نما شعري أسرع بثلاث عشرة مرة، وزاد وزني ثلاثة كيلوغرامات، وظهر حب الشباب على وجهي بحيث بدا أسوأ حالاً من وجه مراهق مصاب بجدري الماء. وبالمناسبة، مزاجي سيئ للغاية وأشعر بنفسي مرهقة في حين أنني غارقة في العمل.

فأوقفت كل شيءٍ. الطبيب النفسي، اليوغا لتعزيز الخصوبة، زيت زهرة الربيع المسائية، ومدرِّب المبايض .

عدت لأكتب إليك هنا يا بروس، لأنني أشعر أن الكتابة تسمح

لي بأن أرتب أفكاري. بصراحةٍ، هذا لا يعني أنك تساعدني كثيراً، لكنني أكتفي بما هو متاح.

أمس، ناقشنا أنا وأوليفر إمكانية إجراء تخصيبٍ أنبوبيٍّ. لقد سبق له أن ذكر ذلك لكنني رفضت، فليس هذا ما تخيلته لطفلي. أردته أن يُنجَب في الحب، وليس في أنبوب اختبار. ربما لكوني أُنجِبتُ بتخصيبٍ أنبوبيٍّ. . . لا أدري. لقد بلغتُ السابعة والعشرين للتو، فليس الأمر كما لو كنت في الثالثة والستين، لكن علينا أن نواجه الواقع: أنا لا أحمل وأوليفر يناهز السبعة وثلاثين عاماً. . . لذا وعدته بأنني سأفكر في الأمر.

أنا لا أحب جسدي، يا بروس، أشعر أنه يخذلني، أنه لا يقوم بوظيفته كما ينبغي، وأنه غير قادرٍ على القيام بما تقوم به الأخريات منذ فجر الزمن. لم أسأل نفسي أبداً إن كنتُ قادرةً على إنجاب الأطفال حتى رغبت في إنجاب طفل. ونظراً لتاريخ والدَي، ربما كان عليّ أن أفعل، لكن منذ تزوجتُ أوليفر وأنا أتخيل نفسي محاطة بالأطفال. لطالما أحببتهم، فمنذ كنت في الثالثة عشرة، قمت بمضاعفة خدماتي كجليسة أطفالٍ في الحي، من باب المتعة أكثر منه الحصول على المال. وكان للرضع مكان مميز في قلبي، بحبهم العفوي، وثقتهم البريئة، وثرثرتهم المتحمسة، ولم يكن صراخهم يزعجني، بل كان بإمكاني هدهدتهم لساعات.

لقد انتظرت دورتي الشهرية بفارغ الصبر، لأنها بشّرت بنهاية الطفولة أكثر من إمكانية الأمومة، فهي فكرة لم تكن قد خطرت ببالي حتى في سن الرابعة عشرة، إذ لم تتحدث لنا أمي عن هذه الأمور: لم يكن ذلك لائقاً. ومع ذلك، اشتريت حزمة من الفوط الصحية من والمارت بنقود مجالسة الأطفال (الأرخص بالطبع، بدولارين وعشرة

سنتات للعلبة) وتدربت عدة مرات في الحمام على تثبيت فوطة على سروالي الداخلي. ومنذ كنت في الحادية عشرة، حملت في حقيبتي محفظة زرقاء سماوية تحتوي على سروال داخلي نظيف وعلبة مناديل وفوطتين صحيتين. وكنت أخرج هذه العدة بانتظام وأعيد ترتيبها بدقةٍ، متخيلةً اليوم الذي سأستخدمها فيه أخيراً. كم نحن غبيات في الرابعة عشرة، يا بروس، لأني منذ جاءتني دورتي الشهرية، وأنا مستعدة أن أضحي بمجموعتي الكاملة من الروايات الفرنسية وبمبيضي الأيمن كي لا تأتيني.

في يناير عام 1999، بلغتُ الرابعة عشرة من عمري ولم يحدث شيءٌ. وفي شهر مايو، أفادت محفظتي الزرقاء السماوية أحداً أخيراً: سكارليت. فعَلِم العالم كله بهذا التطور لجسد سكارليت، لأنها قررت أن لا سبب لديها للاختباء من حدث طبيعي تماماً يحدث كل شهرٍ لنصف البشرية. وأنا لم أرها قط تخفي فوطة صحية في كمّها أو جيبها، كما فعلنا جميعاً، أو تختلق الأعذار عندما آلمها بطنها، وقد احتُجزت ذات مرة لفترة ساعة مع موعظةٍ من الناظر حول ضرورة الاحتشام لأنها رفعت يدها في فصل التاريخ وطلبت بصوت عالٍ الإذن للخروج وتغيير فوطتها الصحية. انفجر فصلنا ضاحكاً وخجلت منها وقتها. أما اليوم، فأنا أشعر بالخجل لأني شعرت بالخجل.

وكما أنني كنت دائماً مَن يمدّها بالمناديل الورقية، والأقلام، ومزيل العرق بعد حصة الرياضة، بدأت في تزويدها بالمناديل الصحية والسدادات القطنية. ولفترة طويلة، كانت على دفتر مواعيدي علامة زرقاء تشير إلى التاريخ المرتقب لدورتي الشهرية وعلامة خضراء تشير إلى دورتها لأنها لم يكن بإمكانها تذكرها. أتصور أنها

تستعين اليوم بتذكير على هاتفها، وبالرغم من أنني لُمتها كل هذه السنوات على افتقارها إلى التنظيم، إلا أن فكرة أنها لم تعد بحاجة إليَّ الآن وهي بعيدة عني تحزنني بعض الشيء.

أذكر أيضاً أن عام 1999 تميّز بحدث مهم: وافقت أمي على توفير خدمة الإنترنت في المنزل. رسمياً لأنها كانت تستخدمه للتواصل مع عملائها، وحقيقةً لأنني أصررت على الموضوع لأكثر من ستة أشهر ولم ترفض لي أمي طلباً أبداً. كان لدينا مودم يومض ويصفِّر ويخشخش مع كل اتصال، وكان تصفُّح الويب مكلفاً، وليس فقط من ناحية الوقت. سمحتْ لنا بالاتصال بالشبكة لمدة خمس عشرة دقيقة كل اليوم، بعد الانتهاء من واجباتنا المدرسية وإعداد الطاولة، ووضعت بجوار الكمبيوتر مؤقت المطبخ وهو قطعة أثرية على شكل تفاحة بلاستيكية باهتة تطقطق حتى يعلن جرسها المشؤوم عن نهاية الاستراحة.

لم تتصفح سكارليت الإنترنت إلّا لجمع معلومات تخص مسيرتها المستقبلية كنجمة موسيقى الروك (أقصد البانك). ففي تلك الفترة، كان بإمكانها التحدث لساعات عن خصوصيات حركة البانك وفرقة السيكس بيستلس[1] وكذا ديد كينيديز[2]. أما أنا، فكنت أنتظر طوال اليوم تلك الدقائق الخمس عشرة من الإنترنت. كان لديّ صندوق بريد أتحقق منه مرة كل أسبوعين أو ثلاثة حتى لا يتم توقيفه، وكنت أقضي تلك المدة في الدردشة مع داكوتا وآشلي

(1) Sex Pistols هي فرقة بانك إنجليزية سابقة، تشكلت في لندن عام 1975 - المترجمة.

(2) Dead Kennedys هي فرقة هاردكور بانك أمريكية تشكلت في سان فرانسيسكو بكاليفورنيا - المترجمة.

وهاري، وهو فتى خجولٌ في صفي لم يكن يتحدث إليّ أبداً في المدرسة، لكنه أضافني على إم إس إن ماسنجر. كنت أتأرجح بين نوافذ المراسلة، وكنا نرسل بعضنا لبعض ابتسامات خجولة، وقلوباً مفطورة أحياناً ومُنقطة دائماً، دون أن ننسى تعبير «قطعة البيتزا» الغريب.

وهذه في الفترة التي قررت فيها سكارليت تأليف أغانيها الخاصة.

- ما نوع الأغاني التي تريدين تأليفها؟ سألتها ذات مرة.

كان مقهى بيتش كافيه قد أغلق أبوابه لمدة أسبوعٍ بسبب أعمال الترميم، وكنا مستلقيتين على رمل شاطئ ناراغانسيت. كان شهر أكتوبر قد طرد السياح وكان الشاطئ فارغاً. عَكَس البحر رماديةَ السماء وحلقت طيور النورس فوق رأسينا محمولة برياح الخريف. كنت أداعب بأطراف أصابعي خصلها البنية المنتشرة على الرمل الأبيض. توقعتها أن تقول إنها تريد كتابة أغانٍ بأسلوب جوان جيت أو ألانيس موريسيت، أو حتى أويسس أو إي سي/ دي سي أو نيرفانا. إلا أنها ردت بجديةٍ شديدةٍ، والرمل يتسرب بين أصابعها:

- أريد أن أكتب أغانيَ تبدأ ببطء ثم يتسارع إيقاعها بعد ذلك.

- هل هذا أسلوب موسيقي؟

- هذا أسلوبي الموسيقي.

لم أتحدث إلى جيرمي حقاً منذ حفلة الديوالي، فهو يقفل على نفسه مع فيكتوار في مكتبه ويبرمجان طوال اليوم، والسماعات في آذانهما.

وإذا التقينا في الردهة، يقول:

- مرحباً يا أليس.

بالطريقة نفسها التي كان يقولها من قبل، فمن المستحيل معرفة ما إذا كان محرَجاً أو غير مبالٍ أو كان ببساطةٍ لا يتذكر كيف انتهت سهرتنا. لكن ما الذي حصل فعلاً؟ دقيقة من الانجذاب سريعة الزوال، قد أكون تخيلتها، تفاعل كيميائي للدراجة النارية ودجاج ماسالا الذي تحوّل إلى سوء تفاهم. ومع ذلك، يصعب عليّ نسيان تعابير وجهه عندما دخل عليّ وأنا أرسم طائر الفينيق، كما لو أنه رأى مَن أنا تماماً.

كنت أشعر بالملل أمام جدولِ إكسيل يلخص نفقات كريس الباهظة من جهة وإيراداتنا المنعدمة من الجهة الأخرى (خانة واحدة تحتوي على «0»)، وإذا بي أرفع رأسي في اللحظة التي عبرت فيها زوي وأمها الفضاء المفتوح.

- تبّاً يا أليس! هتفت لي وهي تشير بيدها فيما جرّتها أمها من ذراعها دون أن تتوقف.

- مرحباً يا زوي، قلت مبتسمة.

لم أستطع منع نفسي من مراقبة المرأة التي ترافقها. كانت هذه هي المرة الأولى التي أراها فيها شخصياً. لا يمكن تخيل شخص أكثر اختلافاً عني، مع أنه ليس هناك من سبب لأقارن نفسي بها. بدت أكبر من جيرمي ببضع سنواتٍ. كان شعرها قصيراً وأشعث، أشقرَ بلاتينياً ذا جذورٍ سوداء، وعيناها خضراوين صافيتين بمكياج ثقيل، وسمح قميصها بظهور طائر موشوم على كتفها اليمنى. إنها نحاتة، حسب ما أخبرتني فيكتوار ذات يوم.

كانت تودع زوي في منتصف النهار مجدداً، وكان واضحاً أنه لم يكن ذلك متوقعاً. راقبتهم بطرف عيني، تماماً مثل رضا وفيكتوار اللذين تابعا المشهد مثل متفرجين على مدرجات سيرك. أجلَس جيرمي الفتاة الصغيرة في زاوية من مكتبه وأعطاها كتاباً، ثم سحب زوجته السابقة من ذراعها إلى غرفة الاجتماعات، وما إن أغلق الباب حتى تجهم وجهه. كانا يتجادلان. أو على نحو أكثر دقةٍ، بدا غاضباً بينما كانت تضحك وتهز كتفيها بسفاهةٍ، وتداعب خده أحياناً بأناملها ذات الأظافر المطلية باللون الأحمر الداكن.

- سوف تتغلب عليه، حللت فيكتوار بحذقٍ.

- بكل معنى الكلمة، أكد رضا بإيماءة من رأسه.

- عجيب كيف تتحكم الغرائز البيولوجية بالرجال، واصلت الشابة. إنه رجل ذكي وموهوب، قادر على العثور بكل سهولة على شريكة لطيفة وصادقة، لكنه يكرر نفس الخطأ إلى ما لانهاية، يضع ثقته في امرأة تسيء إليه معتقداً كل مرة أن النتيجة ستكون مختلفة.

- أعتقد أنه يرغب في إقامة علاقة معها من جديد، قال رضا، إنها مثيرةٌ جداً.

تذمرت فيكتوار بازدراء.

- الجمال عبارة عن مسألة أعراف اجتماعية تعتمد على الحقبة الزمنية التي تعيش فيها، وبيئتك الاجتماعية، وأصولك الجغرافية، وهي أعراف يجعلك المجتمع تتبناها منذ الولادة. علاوةً على ذلك، فالمظهر الجسدي هو بطبيعته سريع الزوال، لذلك من الغباوة تماماً اختيار شريكك لمجرد جماله.

- حسناً، ضحك رضا، على أي أساس تختارين شريكك إذاً؟

- على أساس معايير مفيدةٍ وموضوعيةٍ وقابلةٍ للقياس. فلتصبح شريكي على سبيل المثال، يجب أن تكون ذكراً بين الرابعة والعشرين والسادسة والعشرين من العمر، مع تجربة جنسية مع شريكين على الأقل ولكن ليس أكثر من خمسة للحد من خطر الإصابة بالأمراض المنقولة جنسيّاً، ألا توجد أمراض وراثية في أسرتك، مع 120 نقطة كحد أدنى لمعدل الذكاء، ومؤشر كتلة جسم صحي لتجنب حوادث القلب والأوعية الدموية، والرغبة في تأسيس أسرة لأنها أول وظيفة اجتماعية لنا. وأخيراً، وبشكل بديهي، أن تكون مشتركاً في نتفليكس.

- عمري ثمانية وعشرون عاماً، قال رضا، لكن لديّ حساب نتفليكس.

- يؤسفني أن أبلغك أنك لا تستوفي المعايير لأن تكون شريكي.

أعاد رضا ضبط قبعته اليانكيز، وعيناه السوداوان تلمعان من الظرافة.

- أنا لم أترشح أساساً. . .

- أنت لا تستوفين المعايير أيضاً يا أليس، ارتأت أن توضح لي فيكتوار، بما أنك لست ذكراً.

- مع الأسف، غمغمت وأنا ما زلت أتجسس على المحادثة التي تدور بين جيرمي وزوجته السابقة.

وكما توقعت فيكتوار، هدأ جيرمي في الأخير وغادرت زوجته وهي ترسل له قبلة.

- من المفترض أن تكون حضانة طفلتهما مشتركة، شرحت فيكتوار كما لو أنها سمعت الأسئلة الصامتة التي دارت ببالي، لكنها دائماً ما تترك له زوي دون سابق إنذار. كان غاضباً ذات يوم لأنها طلبت منه المال لتدفع تكاليف وجبات الغداء إلا أنه اكتشف بعد ذلك أنها لم تسدده للمدرسة أبداً.

- ينبغي له أن يطلب الحضانة الكاملة، لاحظ رضا بعد برهة.

كان من الواضح أنه لا يرغب في العمل، وأنه مستمتع بالمشاركة في نميمة المكتب.

أشحات فيكتوار بنظرها عن شاشة حاسوبها وهزت كتفيها.

- لقد فعل ذلك، لكنها رفضت وهو لا يرغب في تسوية الأمر في المحاكم، لا سيما أنه لا يزال يحبها.

- كيف تعلمين ذلك؟

- أنا أعمل معه، ومن أجل بناء علاقة مهنيةٍ صحيةٍ، أنتبه إليه، وأستمع إلى ما يقوله على الهاتف، وأراقبه، وأقرأ رسائله الإلكترونية ورسائله النصية.

حدقتُ بها بعينين جاحظتين:

- تقرئين رسائله الإلكترونية ورسائله النصية؟!

- نعم، اخترقت بريده. من المهم جداً التعرف على الأشخاص الذين تعملين معهم لبناء روابط اجتماعية مستدامة.

- لا يمكنك قراءة رسائل الناس، إنه اعتداء على خصوصيتهم.

- أليس محقةٌ تماماً، قال رضا.

- أوه... لم أكن على علم بهذا العرف الاجتماعي، أجابت فيكتوار مقطبة حاجبيها. في هذه الحالة، لن أقرأ رسائلكما بعد الآن، وعلى أية حال، لم تكن مثيرة للاهتمام، قالت منهيةً حديثها.

يوميات أليس

مكتبة
t.me/soramnqraa

لندن، 27 فبراير 2012

بروووووووس!!

لقد تصالحت مع سكارليت!!!! لا أعرف ما إذا كانت هناك نقاط تعجبٍ كافية للتعبير عن نشوتي الحالية.

لقد اتصلت بي أمس حوالي الساعة السابعة مساءً. لم يقل أوليفر شيئاً، أعتقد أنه يعلم جيداً أن صمتها يحبطني.

- هل أزعجك؟ سألتْ سكارليت عندما فتحت الخط.

- لا، إطلاقاً.

بدت عيناها على الشاشة واسعتين وبراقتين، إذ كانت قد زينتهما بالأسود والأزرق مثل آلهة مصرية. لم يعد شعرها المنسدل أشقرَ بلاتينياً بل وردياً باهتاً وكانت ترتدي سترة جلدية سوداء من دون أكمام لم أرها من قبل، تسمح برؤية تشابك الورود والأشواك الموشومة على ذراعها.

- هل اللون الوردي جديد؟ سألتها.

- نعم، هل أعجبك؟

نظرت إلى ساعتي. كانت الساعة الواحدة ظهراً في الولايات المتحدة.

- إنه يليق بك. هل ستخرجين؟

- لدي موعدٌ، همست.

لاحظتُ أنها بدت قلقةً. كانت يدها اليمنى ترفع وتُنزل سحاب سترتها بعصبيةٍ، كما أنها تجنبت النظر في عينَي.

- لا أريد أن أزعجك، تابعت، إلا أنني متوترةٌ للغاية وكنت بحاجة إلى سماع صوتك.

- سكار، أنت لا تزعجينني أبداً. أعتذر عن المرة السابقة، لم أكن بكامل وعيي، فكل هذه القصص عن الحمل تفقدني صوابي. أنا لا أعرف حتى كيف يتحملني أوليفر...

- لا، أنت على حق، أنا أتكل عليك كثيراً ولا ينبغي ذلك. لديك حياتك وأتفهم ذلك. لكن...

توقفتْ وارتجف ذقنها قليلاً. سكارليت لا تخاف شيئاً عادةً، قلت في نفسي. فما الذي يجري؟

- لكن ماذا يا عزيزتي؟

- لكن إن كنتِ حتى أنت لم تعودي تؤمنين بي، فأنا لا أعرف لماذا أستمر، أنا...

- توقفي... أنا لم أقصد كل ما قلته، بالطبع أنا أؤمن بك، يا سكارليت، أنت الفتاة الأكثر موهبةً وعزيمةً وقوةً عرفتها. ستنالين مبغاك يوماً، فلطالما آمنتُ بذلك. ما هو هذا الموعد؟

- إنه رجلٌ... التقيت به في الحانة التي أغني فيها أيام الأربعاء والتي أخبرتك عنها المرة السابقة. هو يعمل لدى شركة

لإنتاج الموسيقى وطلب مني عينة من عملي، فأعطيته على شريحة يو إس بي أول أربع أغانٍ من الألبوم الذي أعمل عليه.

- هذا عظيمٌ!

- لا أدري... لقد اتصل بي في صباح اليوم التالي، لكنه لم يتحدث عن موسيقاي قط، ولا أعرف حتى ما إذا كان قد استمع إليها. هو لم يعطني أي تفاصيل، ولا حتى اسم شركة الإنتاج الخاصة به، إذ استغرقت المحادثة عشر ثوانٍ فقط. يعتقد أليخاندرو أنه أراد فقط عذراً لاحتساء كأس معي.

- هل أليخاندرو لا يزال في المشهد؟

- نعم... أنا... أنا أستلطفه، لقد فكرت فيما قلت لي بخصوص بناء علاقات متينة وقررت أن آخذ هذه العلاقة على محمل الجد.

استغرق الأمر مني بضع ثوانٍ لاستيعاب هذا الخبر غير المتوقع. كان لدى أختي الصغيرة رجل في حياتها... علاقة أرادت أن تأخذها «على محمل الجد». سعدت من أجلها، رغم أنني شعرت بوخزٍ في قلبي من فكرة أنها خلال أسابيع الصمت تلك، أخبرته هو، لا أنا، بآمالها ومخاوفها وأحلامها.

- أنا سعيدة من أجلك، وآمل أن تدوم علاقتكما.

- هل تعتقدين أنه ينبغي لي أن أذهب إلى هذا الموعد؟

- أين ومتى حدد لك الموعد؟

- في حانة فندق والدورف، على الساعة الثالثة عصراً.

تردّدتُ. لم أكن أعرف شيئاً عن مجال الموسيقى، وبطبيعة الحال، موعدٌ في حانة فندقٍ لم يكن مؤشراً جيداً، ولكن من ناحية أخرى، كانت الساعة الثالثة أمراً مطمئناً. كما أنني أؤمن، وبشكلٍ

موضوعيٍّ، أنّ سكارليت تتمتع بموهبة حقيقية، حتى أن أوليفر نفسه اعترف بذلك ذات مرة، على الرغم من أنه خلص إلى أن «الكثير من الناس يتمتعون بموهبة، وإذا كانت الموهبة كافية للنجاح في هذا النوع من الأوساط، لعرفنا ذلك». لكنني أعلم أيضاً أنها، ولسبب ما، دائماً ما تجذب رجالاً غريبي الأطوار.

- ألا يمكنك الذهاب مع أليخاندرو على أنه مدير أعمالك؟ اقترحت عليها.

- لن يرغب في ذلك، فهو يرفض فكرة ذهابي أساساً...

رفعت حاجبَي من شدة تعجبي.

- لا يحق له أن يقرر عنكِ، أليس كذلك؟

لم أتصور أبداً أن سكارليت قد تقع في حب رجل يملي عليها الأوامر، ولأكون صريحة، لم يعجبني ذلك.

- نعم، ولهذا السبب اتصلت بك. لأحصل على رأي آخر.

- حسناً، قلت بحذرٍ، أنا أعتقد أن عليك الذهاب، ولكن مهما حدث، فلا توافقي على الصعود إلى غرفة ولا تشربي الكحول، اتفقنا؟

لم تجب، بل اكتفت بعضّ شفتيها المكسوتين بملمّع الشفاه.

- أنت تريدين الذهاب يا سكار، واصلتُ بهدوءٍ، وإلا فلن تكوني جاهزةً قبل ساعتين من الموعد... إذا ظللتِ في مكانٍ عامٍّ، فلن يصيبك أي مكروهٍ...

-أوه، أنا لست خائفةً من ذلك، أجابت وهي تضع خصلةً وردية خلف أذنها، فقد تعاملتُ مع ما يكفي من الأوغاد الذين يعدونك بتحقيق العجائب رغبةً في الوصول إليك... لكن هناك أربع

أغنيات فقط في هذا الألبوم في الوقت الحالي، وبالنسبة إليّ، إنه مميز جداً، إذ قمت بتأليف كل المقاطع بمفردي على جهاز مركِّب الصوتيات، ولم أنم لليالٍ، وأعطيت كل ما لديّ لكل أغنية، ولم يستمع أحد إليها سوى هذا الرجل المجهول، وهو لم يعلق عليها قط على الهاتف. وإذا فشلتُ في هذا الألبوم، فلا أعلم ما إذا كانت لدي الطاقة للبدء من جديد.

شعرت بالحزن، فلطالما كنت أول مستمعة لسكارليت، فهي دائماً ما تُسمعني أغانيها وهي تؤلفها، وتعزفها لي لأعلق عليها، فأحاول أن أكون موضوعيةً وبناءةً وأن أساعدها قدر الإمكان. لم يكن هذا الوقت المناسب للاستياء. كانت هذه هي المرة الأولى التي رأيت فيها شيئاً شبيهاً بالإحباط على وجه سكارليت، ولم أكن لأسمح لهذا الشعور بأن يتغلب على غزيمتها الصلبة.

- اذهبي يا سكارليت. وإذا لم يكن جاداً، فلا بأس، ستجدين منتِجاً آخر. أنا أعرفك، إنك تناضلين منذ سنوات، وسوف تنهضين من جديد كما في المرات الأخرى، كما هي الحال دائماً. فلا أعتقد أن بإمكان أي شيء أن يهزمك.

- أنا لا أعرف أحداً بقوتك، قالت بهدوء.

اجتاحتني عاطفةٌ غريبةٌ.

- لقد بدأتُ علاجاً هرمونياً، اعترفت لها فجأة.

- أوه... حسناً... و... كيف تشعرين؟

- لقد مرت دورتان ولم ينجح الأمر بعد. وإذا فشل العلاج من جديد في الدورة المقبلة، فسنحاول التلقيح الاصطناعي.

أومأت برأسها ببطء.

- آمل أن ينجح يا أليس.

- آمل ذلك أيضاً، لكن على أية حالٍ. . . كنتِ على حق، فأنا أشعر على الأقل أنني أقوم بشيءٍ ملموسٍ وأنني أمضي قُدماً.

- أنا متأكدةٌ من أنك ستكونين حاملاً قريباً وأنك ستزعجين كل من حولك، وتصرخين على الجميع وترغبين في تناول لفائف الكركند في منتصف الليل.

جعلني تفاؤلها أبتسم.

- وأنت ستكونين نجمةً في ذلك الوقت، وستقدمين لي هدايا ولادة من علامة بُربري كل يوم.

- من المستحيل أن تطأ قدماي ذاك المتجر المتكبر! سأهديك أعمال البيتلز الكاملة عند ولادة طفلك.

ضحكت، إذ كان من الصعب فعلاً تخيل سكارليت وهي تختار ملابس مولودي الجديد في طابق المنتوجات الفاخرة ببلومينغديلز.

- أنا مضطرة أن أذهب، لقد أعدّ أوليفر العشاء ولا أريده أن يبرد، لكن اكتبي لي وأخبريني كيف سارت الأمور، اتفقنا؟

- نعم، أعدك بذلك.

وأرسلت لي قبلة بأطراف أصابعها.

أختي الصغيرة نجمة الروك ذات الشعر الوردي. . . دمعت عيناي دون أي أعي ذلك.

الهرمونات اللعينة.

إذا استمررت في نتف شعري بسبب الحسابات، فسوف ينتهي بي المطاف صلعاء. المال يُبدد، وما زلنا من دون تطبيق بطبيعة الحال. ومن الواضح أن كريس يعتقد أن المال ينمو على النباتات الخضراء في مكتبه ذي التصميم الحديث، فهو ينفق المال دون حسابٍ، وعندما أتحدث عن الميزانية والربحية والدخل، يبدو عليه الملل والحيرة مثل تلميذ خامل أقرأ عليه دليل استخدام ثلاجة باللغة الصربية-الكرواتية.

ومرةً أخرى، ذهبت لأقابل رئيسنا التنفيذي-الشاعر لأشرح له أن علينا الحد من نفقاتنا، وأن بهذه الوتيرة، لن تستمر شركته ستة أشهر. ولأول مرة، استمع إليّ بانتباه، مقطباً حاجبيه وراء الإطار السميك لنظاراته، بينما كان يلعب بكرة مضادة للتوتر تشبه الخصية بشكل مريبٍ.

وعندما أنهيت خطابي، ظل صامتاً للحظةٍ وذقنه بين يديه وحاجباه مقطبان وكأنه «مفكر رودان[1] الويب»، ثم صفق بيديه وصرخ منتصراً:

---

(1) Le Penseur هو تمثال من الرخام والبرونز للنحات الفرنسي أوغوست رودان، يصور رجلاً متأملاً يتصارع في دخيلة نفسه مع أفكار عميقة - المترجمة.

- لدي فكرة!

- إنه لأمر رائع، لأنني بصراحة لم أعد أعرف ما الحجة التي يجب أن أخترعها لكي نوفر المال.

- سننظم ندوة للشركة ونطلق التطبيق.

وقف وأعاد ضبط نظاراته فوق ابتسامة منتصرة فيما حدقتُ فيه بذهول، متسائلةً كيف يمكن لهدر آلاف اليوروهات في ندوة للشركة أن يقلل من نفقاتنا.

- سأنظمها! تابع. يجب أن نجد مكاناً جميلاً في ضواحي باريس أو في الجنوب، ربما مع منتجع صحي، نعم، المنتجع الصحي فكرة جيدة! مساء السبت، ستكون أمسية! فكري في موضوع للندوة يا أليس. أريدها أن تكون مثل ندوات غوغل، سيعيد ذلك تحفيز الجميع.

- لكن، يا كريس، ميزانيتنا المحدودة...

- لا! ليست هناك ميزانية محدودة! الميزانية المحدودة تعني الرداءة! نحن في حالة من الركود لأن طموحاتنا ليست كبيرة بما يكفي. هذه هي الحقيقة، يا أليس. أنا متفائل بخصوص إيفردريم. بل حتى متفائل جدّاً.

شعرت بيأس عميق لدرجة أنني تركته يتحمس وحده. ثم رن هاتفه، فهاتف كريس يرن طوال الوقت. ليس لدينا عملاء ولا شركاء ولا شيء على الإطلاق بما أنه ليس لدينا تطبيق، إلا أن هاتفه يرن طوال الوقت. أمر لا يُفهَم. أخرجني من مكتبه بلطف ووجدت نفسي وحدي في الفضاء المفتوح. شعرت برغبةٍ في الاستسلام، فماذا يهمني إذا غرقت الشركة؟ لكن وقع نظري على رضا وفيكتوار اللذين كانا يعملان بجد وفجأة صعقتني الحقيقة. أنا ورضا وفيكتوار. ما

احتمالية عثورنا على عمل آخر؟ هل نحن نعمل هنا لأننا لم نجد عملاً آخر، أم أن كريس وظفنا لأنه كان يعلم أننا لن نجد عملاً آخر؟ في النهاية، هو ربما لا يساعد الجوارب اليتيمة، إلا أنه يساعدنا نحن.

نظرت إلى كريس وهو يتحدث عبر الهاتف مع حركات كبيرة وتذكرت المرة التي رافقني فيها إلى المستشفى، فشعرت بنفحةٍ من الحنان تجاهه. فعلى الرغم من افتقاره إلى التنظيم وعدم قدرته على النجاح في شيءٍ، إلا أنه شخص جميل، صادق ومخلص، وأنا مدينة له بالتزامي، لأنه منحني فرصة لبناء حياةٍ جديدةٍ دون أن يعرفني، ولن أكون ممتنةً بما يكفي حيال ذلك.

تنهدت وكتبت «كيفية تنظيم ندوة للشركات» في شريط البحث.

يوميات أليس

لندن، 5 مارس 2012

عزيزي بروس،

على عكس توقعاتي، إني أفتقد كتابة هذه اليوميات. أعتقد أنني اعتدت على ذلك. هي ليست بالأمر المفيد حقاً، لكن قد أكون سعيدةً للعثور على هذه الذكريات في يوم من الأيام، عندما أشيب وحدي في دار للمسنين لأنني لم أنجب أطفالاً، ولأن أوليفر يكون قد مات منذ فترةٍ طويلةٍ على الأرجح، نظراً لجدول عمله المنهِك وهوسه بالسمك والبطاطا.

كما ترى، أنا لا أعمل بجد على قدراتي على رؤية الجانب الإيجابي للأمور.

وبما أنني أعلم أنك تتساءل بهذا الخصوص، ستكون سعيداً بمعرفة أن موعد سكارليت سار على ما يرام. اتضح أن الرجل يعمل لدى شركة إنتاج تدعى أوريجين ريكوردز. أعتقد أنه المدير الفني. وقد جاء إلى الموعد مع رجل آخر سيعمل كوكيل فني لسكارليت. سكارليت لديها وكيل فني، يا بروس!!! أليس هذا جنونيّاً؟! قد

تلتقي بك شخصيّاً قريباً. عليها أن تكتب أغانيَ أخرى الآن لاستكمال ألبومها، ما يستغرق كل وقتها.

يبدو أنني الوحيدة المتحمسة لهذا الخبر، فقالت لي سكارليت إنها تفضل ألا تنجرف وأن تتعامل مع الأمر بحذرٍ، فإصدار ألبوم لا يعني أنه سيحقق نجاحاً وأوريجين ريكوردز ليست يونيفرسال ستوديوز. أما أمي فهي غير مهتمةٍ بالموضوع على الإطلاق، وقالت لسكارليت إنه قد يكون ذلك أملاً آخرَ يتبخر في الهواء وإنه من الأفضل لها أن تعثر على عمل حقيقي.

أفتقد سكارليت. فرغم أنني أتواصل معها على سكايب مرة في الأسبوع على الأقل وأتلقى بانتظام رسائل نصية من قبيل «لقد وقّعتُ عقدي!» أو «هاري يريدنا أن نبدأ التسجيل الشهر المقبل...»، أو «لقد بدأنا الدمج الصوتي» وأخباراً أخرى أجهل معناها، أستصعب وجودها بعيدة عني في لحظة انتظرتها كل هذه المدة.

أتذكر فترة مراهقتها، لقد أمضتْ جزءاً من عطلات نهاية الأسبوع في العمل لدفع ثمن دروس الغيتارة، والجزء الآخر في المرآب حيث أقامت ركناً للعزف. وطوال هذه السنوات، كانت أظافرُها المطلية معظم الوقت بالأسود أو الأزرق مقصوصةً قصيرة جداً. كانت لديها بثور في أطراف أصابعها، التي تركت عليها الأوتار علامات حادة ومؤلمة، حتى أنها كانت تنزف في بعض الأحيان. هي لم تشكُ أبداً، لكن أمام إصراري، كانت تعقم الجروح بمطهّر كحولي في المساء وهي متجهمة.

لقد اتصلتُ بمتجر غيتارات في إيست فيليدج وجدته في دليل الهاتف وسألتهم عما يمكننا فعله لتفادي هذه الجروح، ثم أرسلتُ لهم شيكاً ليرسلوا لي واقيات أصابع من نيويورك، إلا أن سكارليت

لم تستخدمها أبداً: كانت تريد أن تشعر بالموسيقى، إذ بحسب قولها، على المرء أن يعاني كي يصبح فناناً.

كانت أمي تعمل لساعات طويلة حينها. لقد بدأت كمترجمة روايات إباحية لتصبح بعدها متخصصةً في الترجمة المالية والمحاسبية. وبالنظر إلى الوراء، يبدو لي هذا التطور في مسيرتها المهنية غريباً شيئاً ما، إذ كرست أيامها وجزءاً من لياليها لترجمة حسابات الشركات وتقاريرها السنوية من الإنجليزية إلى الفرنسية. كان الأمر أقل متعةً من وصف مغامرات سكرتيرة تقع في حب رئيسها الملياردير ذي العضلات المفتولة، لكنه أكثر ربحاً بكثير. وبفضل تخفّفها النسبيّ من العبء المالي، خصصت لنا المزيد من وقتها، فراجعت واجباتي المدرسية وشجعتني وهنأتني على درجاتي، حتى أنها قررت أن تمنحني ثلاثة دولارات كمصروفٍ أسبوعيٍّ، وطلبت مني ألا أخبر سكارليت، ما وضعني في موقف لا أُحسد عليه، إذ كنتُ كبيرةً بما يكفي لأفهم أن ذلك سيجرح أختي. ليس من أجل المال، إذ لطالما لم تكن سكارليت مهتمة به، بل لأن أختي الصغيرة التي لم يكن يهمها رأي الآخرين، أولت، ولا تزال تولي إلى يومنا هذا، أهمية كبيرة لرأي أمي.

بدأت سكارليت في كسب المال في سن مبكرةٍ جداً. كذبت بشأن عمرها وقبلت جميع الأعمال التي يمكن أن تجلب لها بضعة دولارات: اشتغلت كنادلة في حانات الميناء، وأعادت طلاء القوارب في الصيف، وبستنت من حين لآخر لصالح والدَي آشلي، وساعدت المنتجين المحليين صباح يوم السبت في سوق المزارعين، كل ذلك لدفع ثمن دروس الغيثارة وادخار المال لشراء غيتارة كهربائية ومضخم صوت وبعض الملابس الخاصة بها، بدلاً من

الحصول على ملابسي دائماً. لقد احتفظت بكل ما كسبته في صندوق بسكويت صدئ تركته على رفها. وللتعويض عن ظلم المصروف التي كنت أحصل عليه، قسمتُ إلى نصفين كل المبالغ التي أعطتني إياها أمي، وكلما حصلتْ سكارليت على أجرة، وضعتُ نصف مصروف جيبي في صندوقها. لم تكن من النوع الذي يحسب ماله فلم تلاحظ ذلك أبداً، إلا مرةً واحدةً، عندما وجدتها على سريرها تفحص محتوى الصندوق مقطبة حاجبيها.

- تبدين مستاءة، هل المبلغ ناقص؟ سألتُ بحذر.

- هناك أكثر بكثيرٍ مما كنت أعتقد.

- لا بد أنك أخطأت في الحساب.

هزت رأسها منزعجةً ثم أضاء وجهها، وعلى الرغم من الكحل حول عينيها والسترة الجلدية السوداء، استعادت فجأةً بهجتها الطفولية.

- ربما تكون أمي هي من منحتني إياها سراً، قالت بنبرةٍ مفعمةٍ بالأمل.

لم أكذِّب ذلك.

وبمجرد ما جمعت المبلغ اللازم، اشترت غيتارتها الكهربائية. كانت قد وجدت الآلة الموسيقية قبل عام ونصف في متجر في بروفيدانس، وبعد أن جربتها، وعدت صاحب المتجر بالعودة، وكلمتني عنها كل يوم منذ ذلك الحين. لقبتها «ستار» وتكلمت عنها بحنان، كطفل ستتبناه وسيصبح قريباً جزءاً من العائلة. وفي صباح أحد أيام السبت، استقللنا سوياً الحافلة المتوجهة إلى بروفيدانس، وكانت هذه إحدى المرات القليلة التي رأيت فيها سكارليت متوترة، بل حتى قلقة. هي لم تتحدث كثيراً، كما حدقت عيناها الكبيرتان في

المناظر الطبيعية عبر النافذة. بدا الأمر وكأنها كانت ذاهبةً في موعدٍ غرامي مع حب حياتها.

لقد تذكرها صاحب المتجر جيداً.

- هل عدتِ لشرائها إذاً؟ سأل مبتسماً.

- نعم، أنت لم تبعها، أليس كذلك؟

ضحك وذهب إلى الغرفة الخلفية، فأمسكت سكارليت بيدي فجأةً وضغطت عليها بشدةٍ، كما لو كانت مشاعرها أكثر مما يمكن لشخص تحمّله، كلحظة الوصول إلى أعلى المنحدر في لعبة الأفعوانية أو دخول القاعة يوم زفافك.

عاد مع الغيتارة التي كانت زرقاء داكنة، متلألئة مثل زينة عيد الميلاد، وتحمل ألسنة من حجر الراين الفضي تحت أوتارها. أسترجع صورة سكارليت حينها: هي لم تعد طفلة، لكنها لم تصر راشدة تماماً، وبدت صغيرة البنية في سترتها الجلدية الضخمة. بدت مثل عصفور صغير، وبدا على وجهها تعبير الخجل والوقار نفسه الذي بدا عليه في المرة الأولى التي عزفت فيها على البيانو في قاعة الموسيقى في الإعدادية. في الثواني القليلة الأولى، لم تجرؤ على أخذها، ثم تركت يدي، وبنعومة بالغة، أمسكت الغيتارة وحضنتها. شاهدها الرجل في صمت شابكاً ذراعيه على صدره، وتناقضت عذوبة ابتسامته مع مظهره كراكب دراجةٍ ناريةٍ متمرسٍ: كان له صدغان أصلعان وشعر رمادي طويل مربوط على شكل ذيل حصانٍ.

- إذاً، سألتُها بفضول بعد صمت طويل، أما زالت تعجبك كما في السابق؟

أومأت برأسها ببطء، ثم لوت شفتيها بعبوسٍ.

- ما الخطب؟

- كنتُ مخططة. اسمها ليس ستار، بل فينكس[1].

أهداها صاحب المتجر حزام كتف بنقش جلد النمر لتعلق غيارتها، واستقللنا الحافلة إلى كوينزتاون، مع سكارليت بجواري، ومضخم الصوت الجديد عند قدميها، وفينكس في حضنها، فبدت كأم خرجت لتوها من جناح الولادة وطفلها بين ذراعيها.

ومنذ ذلك الحين، جَمَعت غيتارتها الكلاسيكية، هاملتون المسكينة، الغبار تحت سرير أختي الصغيرة. وفي العام الدراسي التالي، نشرت سكارليت إعلاناً على السبورة بجوار مكاتب الإدارة، معلنةً أنها مغنية وعازفة غيتارة وأنها ترغب في تشكيل فرقةٍ، وأنها منفتحةً على جميع الآلات الموسيقية، لكنها أرادت بشكل خاص ضم عازف طبول وعازف غيتارة البيس[2].

وذات يوم سبت، أجرت تجارب أداءٍ جادة في المرآب، نتج عنها، في نظرنا نحن الجاهلتَين بالموسيقى التجريبية، ضجيجٌ لا يطاق من الساعة التاسعة صباحاً حتى الساعة الثامنة مساءً، فلم تستطع أمي الغاضبة العمل وحرمت سكارليت من الخروج حتى بلوغها سن الرشد. أما أنا فركبت دراجتي وذهبت إلى الشاطئ، غير قادرة على تحمّل المزيد.

كانت الشمس مشرقةً، إلا أنني لم أفكر في ارتداء ملابس السباحة وأتذكر أنني قضيت فترة ما بعد الظهيرة جالسةً على الحائط

---

(1) Phoenix أي طائر الفينيق بالإنجليزية هو طائر عجيب يجدد نفسه ذاتياً بشكل متكرر، فهو يولد من رماد احتراق جسده - المترجمة.

(2) Bass guitar أي غيتار البيس أو البيس غيتار هي آلة موسيقية وترية تعزف بالأصابع أو الإبهام أو ريشة النقر وتشبه في المظهر الغيتار الصوتي والكهربائي - المترجمة.

المنخفض أمام مقهى بيتش كافيه، أشاهد بحزن الناس يمرحون في الأمواج المتلألئة والأطفال يبنون قلاعاً متداعيةً بين المناشف المخططة. كانت هذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بنوع من الحنين إلى طفولتي، إذ فهمت أن سكارليت ستغادر، وتبتعد عني. لم أشك في أنها كانت متجهةً إلى حياةٍ أعظم من حياتي، وأنني بجانبها لن أكون سوى شخصيةٍ ثانوية تساعد على تسليط الضوء عليها، لكن حتى تلك اللحظة، لم أفكر أبداً فيما قد يعنيه ذلك حقاً، وصدمتني الحقيقة لأول مرة: كنت سأبقى وحدي في كوينزتاون، بينما ستجوب هي العالم في جولات فنيةٍ. ستتزوج من ليام غلاغير وستظهر على شاشات التلفزيون، فيما سأتزوج أنا أحد الجيران أو أحد أصدقاء الطفولة أو المدرسة الثانوية، وقد أصبح مترجمةً مثل أمي، وسيستقل أطفالي حافلة المدرسة الصفراء نفسها للذهاب إلى المدرسة الابتدائية نفسها، ثم الإعدادية نفسها والثانوية نفسها التي ذهبت إليها. وكنت سأصنع فطيرة التفاح عشية يوم الأحد وأذهب مع عائلتي في نزهة شهرية إلى الميناء لنتناول لفائف الكركند. فكرت في المنزل الخشبي الكبير مع برجه وغرفته الزجاجية المطلة على البحر الذي رسمته سكارليت قبل سنوات في هذا المقهى. هل ستعود حقاً لبنائه عندما ستصبح غنية؟ لماذا ستعود إلى هنا إذا كان بإمكانها العيش في نيويورك أو باريس أو سيدني؟ هل ستفتقد الشوكولاتة الساخنة في بيتش كافيه فيما يمكنها احتساؤها في كافيه دو لا بيه في باريس؟

عدت مكتئبةً إلى المنزل، ومصابة بحروق شمس بالغة. كانت سكارليت متحمسةً جداً، فقد اختارت ثلاثة موسيقيين لفرقتها: عازفة طبول وعازف غيتارة بيس ومختصة في دمج الموسيقى، حتى أنها

اختارت اسماً للفرقة فلقبتها «بلو فينكس» أي الفينيق الأزرق. كانت عيناها تلمعان من الإثارة، ومثلما كانت حالها عندما تتحمس لشيء ما، كانت هناك قوة كهربائية في صوتها وفي كل حركة من حركاتها وومضات شغف في عينيها ملأت المكان بأكمله. لقد أضفت الموسيقى الكاريزما على سكارليت. فعندما لم تكن تعزف أو تتحدث، إذا نظرنا إلى ما وراء مكياجها المبهرج وشعرها الذي تغير لونه من أسبوع إلى آخر وجواربَيها النايلون الممزقَين تحت سروالها الجينز الباهت القصير، فقد كانت انطوائية، وكتفاها منحنيتين إلى الأمام من ممارسة الغيتارة تحت سترتها الجلدية البالية. إلا أن الموسيقى أشعلت ضوءاً في عينيها، وأوقدت ابتسامتُها ناراً ملتهبة في سائر جسدها، لتصبح فجأةً آسرةً وجذابةً بحيث طغت على كل مَن حولها.

- شيء لا يُصدق. ستكون لدي فرقتي. مثل أويسس، قالت وهي تسقط على سريرها وذراعاها متشابكتان.

كنت جالسةً إلى مكتبي، أتظاهر بقراءة كتاب قواعد اللغة الفرنسية. لم تكن ترى سوى ظهري.

- لماذا لا تقولين شيئاً؟ ألست سعيدةً من أجلي؟

- بلى، بالطبع.

بدت وكأنها اكتفت بهذا الجواب، فشرعت في إخباري بالتفصيل عن جلسات الأداء التي أجرتها يومها، ولم تسألني إبداً عن كيفية قضاء نهاري، أو عن حروق الشمس التي بدت عليّ، أو عن عدم ردي على هذا المونولوغ الطويل. لم أدرِ كيف أعبّر لها أنني كنت سعيدة جداً من أجلها، لكن حزينةً على نفسي في آنٍ واحد.

ومنذ ولادة بلو فينكس، تراجعت درجات سكارليت في معظم المواد من متواضعةٍ إلى رديئة، إلا أنها استطاعت ألا تعيد الفصل لأنني قمت بكل واجباتها الدراسية وتركتها تنقل مني وتقرأ دروسي، التي دائماً ما دوّنتها بحرص كبير. ومع ذلك، كانت تقوم ببعض الأمور بسهولة مدهشة، في المواد العلمية أكثر من المواد الأدبية. كانت تنفر من كل ما استدعى منها حفظاً عن ظهر قلبٍ، وتستمتع بالرياضيات، لسبب لم أفهمه أبداً، وتحصل على درجات لا بأس بها دون أن تبذل أي جهد، فيما كانت من بين الأخيرات في اللغة الإنجليزية وكارثية في التاريخ والجغرافيا.

أمضت سكارليت السنة الرابعة في محاولة إحياء حفل موسيقي لبلو فينكس في صالة الألعاب الرياضية في المدرسة الثانوية، لكن لعدة أسبابٍ، من بينها التغيب والوقاحة وتراجع درجاتها، لم يسمح لها الناظر بذلك أبداً. لكن نظراً لكونها شخصاً لا يسمح لنفسه بالاستسلام، لقد حاولت من جديد بمجرد ولوجها الثانوية، وراح الناظر، لأنه انزعج من رؤيتها في مكتبه عدة مرات في الأسبوع، أو لأنها طُردت من الفصل، أو لأنها تأخرت، أو لأنها أرادت التفاوض بخصوص حفلها الموسيقي، راح يرفض بانتظام جميع المواعيد التي طلبتها من سكرتيرته.

وذات يوم، عادت سكارليت إلى المنزل غاضبةً وألقت حقيبتها على الأرض قبل أن ترمي بنفسها على سريرها.

- هذا الناظر اللعين يقول إنني أزعجه بقصصي عن الحفل الموسيقي! لقد منع سكرتيرته من إعطائي موعداً أو السماح لي بدخول مكتبه.

رفعتُ نظري عن روايتي. كانت تفكر بتركيز وهي تعبث بخصلة

من شعرها الأشعث، مقطبة حاجبيها فوق عينيها السوداوين من الغضب.

- يجب أن أجد حلاً، فقد تدربنا لأكثر من عام! إذا لم نتمكن من تنظيم هذا الحفل، فلا فائدة لكل هذه الجهود.

- ربما عليك التخلي عن فكرة تنظيم حفل في المدرسة الثانوية، وأن تنتظري سنة أو سنتين وتحاولي تنظيمه في مكان آخر، في الجامعة أو في...

- كفى، أنت تعلمين جيداً أنني لن ألتحق بالجامعة أبداً، قالت مقاطعةً حديثي.

- من جهةٍ أخرى، الناظر يكرهك منذ الصف الأول، فكيف تريدين تغيير رأيه؟ لو كنت مكانك، لتأقلمت...

- لا، عندما نريد شيئاً، علينا أن نمنح أنفسنا الوسائل للحصول عليه. أقسم لك أنني سأنال مبتغاي، حتى لو كانت الإدارة بأكملها ضدي.

جعلتني تعابير وجهها الطفولية الحزينة أغلق كتابي متنهدة.

- يمكنك مراسلته وكتابة حججك بشكل واضح... ففي بعض الأحيان، عندما تتحدثين، تكونين... عنيفةً بعض الشيء.

- أنا لا أحب الكتابة، أنا فظيعة في الكتابة. سوف يقنعه ذلك أكثر بأنني لا أستحق فرصة منه.

- إذا كان هذا كل ما في الأمر، يمكنني كتابة هذه الرسالة بنفسي .

أضاء وجهها عند سماع هذه الكلمات واستقامت على لحافها غير المرتب، فسكارليت، على عكسي، لم تكن ترتب سريرها في

الصباح. فبحسب قولها، كان ذلك مضيعة للوقت لأنها تضطر إلى نزع لحافها في المساء لتخلد للنوم.

- أوه، نعم، سيكون ذلك رائعاً! هل ستفعلين ذلك من أجلي؟

- هل هناك أشياء كثيرة لم أقم بها من أجلك؟

انقضّت عليّ ودفعتني على السرير.

- شكراً، شكراً، شكراً! لا أعلم ماذا كنت سأفعل من دونك يا أليستي.

قضيت عدة ساعات في كتابة تلك الرسالة. تحدثت عن الحدث الثقافي الذي سيمثله هذا الحفل بالنسة إلى المدرسة الثانوية، ووضحت أن الفنانين لم يطلبوا الحصول على أجرٍ، وأنه سيتم التبرع بالأرباح لجمعية خيرية. كما وعدت بأن أحصل على إذن الإدارة بما يخص اختيار الأغاني (وقد جعلتني سكارليت أعيد كتابة النص بالكامل لمجرد إزالة هذه النقطة التي كانت «منافية لمبدأ الإبداع والحرية لبلو فينكس»). ثم وقّعتْ على النسخة النهائية بحماس، ووصفت الرسالة بالمثالية، وأكدت أنني أفضل أختٍ في العالم.

وبعد أسبوعٍ من ذلك، التقيت بالناظر في رواق بالمدرسة، فقال لي:

- آنسة سميث-ريفيير، كانت رسالتك مقنعةً للغاية؛ أنا أفهم الآن لماذا أنت الأولى في صف اللغة الإنجليزية.

- أي رسالة؟ سألت وقد احمر وجهي خجلاً.

- من المدهش أن يكون لشخصٍ جادٍّ ومجتهدٍ مثلك أختٌ غير ناضجةٍ وبذيئة، أجاب متجاهلاً سؤالي.

ثم ابتعد بهدوء، مرتدياً بذلته الرخيصة ذات المربعات، ويداه خلف ظهره، معتقداً أنه جاملني، وتمنيت لو سحبت نظاراته الصغيرة

ذات الإطار المعدني المستدير التي لطالما انزلقت على جلد أنفه الدهني واللامع لأقحمها في منخاريه.

لم أخبر أختي أبداً بهذه المحادثة ولم تتلقَّ بدورها أي ردّ على رسالتها أبداً. لكن بعد ذلك ببضعة أيام، علمتُ أن المدرسة ستقيم حفلاً في 31 ديسمبر بمناسبة دخول عام 2000، وأنه تم التعاقد مع فرقةٍ محترفةٍ من كوينزتاون لإحياء الأمسية. قلت في نفسي إن الخبر سيوجه ضربة قاضية لسكارليت فلم أجرؤ على إخبارها به.

حلَّ شهر يناير دون سابق إنذارٍ، بقراراته الصائبة سريعة الزوال وأيامه الرمادية. ورغم إصرار أنجيلا، لم أذهب إلى نيويورك لإحياء عيد الميلاد، بل احتفلت به مع عائلة سرانيا. لم يكن عيد ميلاد تقليدياً، بل وجبةً عائليةً مفعمةً بالحيوية والبهجة جعلتني أنسى هذه الفترة من العام التي أكرهها بشكل خاص. ودعاني رضا إلى حفلةٍ في منزله ليلة رأس السنة، فأمضيت هناك ساعتين على الأقل وعدت إلى المنزل مع فيكتوار قبل منتصف الليل بقليل. كنت لا أزال بحاجةٍ إلى حبوب منومة، لكنني لم أعد أتعاطى مضادات الاكتئاب إلا قليلاً جداً، ولم أعانِ من نوبات هلعٍ منذ شهرين تقريباً.

من الغريب أنني لطالماً شعرت بنفسي فرنسية في الولايات المتحدة. أما هنا، فذكّرني كل شيء بأنني أمريكيةٌ، فارتباكي بخصوص درجات سيلسيوس وفهرنهايت أو بخصوص الأميال والكيلومترات لم يكن سوى الجزء المرئي من جبل الجليد الثقافي الذي فصلني عن زملائي أحياناً. لكن رغم ذلك، وبفضل استراحات القهوة مع رضا التي تكلمنا فيها بالإنجليزية، لقد اقتربت منه، حتى أنني دعوته هو وسرانيا لتناول وجبة البرانش في منزلي صباح يوم الأحد، وقد أتى بصحبة فيكتوار، فتساءلت عما إذا كان بإمكاني تكوين صداقات هنا.

جررت حقيبتي في محطة مونبارناس. إنها الساعة 2:32 ظهراً، وسينطلق القطار المتوجه إلى بريست عند الساعة 4:35 عصراً. وبناءً على تجربتي مع أشخاص مثل سرانيا يتعمالون مع العشر دقائق كما لو أنها ساعة ونصف، قررت إخبار رضا بأننا سنغادر عند الساعة 2:45 ظهراً لتفادي وصوله إلى المحطة في الوقت الذي سنصل فيه إلى بريست.

لمحته وهو يركض نحوي ويجر وراءه حقيبةً ضخمةً، وقد بدا مذعوراً تماماً.

- أليس! لقد تأخرنا، تلعثم ملتقطاً أنفاسه، سنفوت الطائرة.

حدقت فيه بهدوء، ممتنعة عن الضحك.

- الطائرة هي قطار في الحقيقة، يا رضا، ولن نفوت شيئاً، بل لدينا ما يكفي من الوقت لاحتساء فنجان قهوة.

لقد رفض كريس إخبارنا عن موضوع ندوة الشركة، لكنه ظل يكرر خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، مشحوناً مثل لوحة قواطع كهربائية، أنه وجد المكان المثالي.

ما جعلنا نتوقع الأسوأ بطبيعة الحال.

لقد تحققت من توقعات أحوال الطقس: ستمطر بغزارة في بريست في الأيام الثلاثة لإقامتنا. كنت طبعاً أول من ركب على متن القطار، ولم يمتنع كريس، رغم الوضع المالي الكارثي لإيفردريم، من حجز التذاكر في الدرجة الأولى.

عند وصولنا إلى بريست، كانت بانتظارنا حافلةٌ صغيرةٌ. وفي الوقت الذي رمينا فيه حقائبنا في صندوق المركبة، كان المطر قد تسلل إلى عظامنا. سمحت للذين حاولوا حماية رؤوسهم بالصحف

بالصعود أولاً، وركبت أخيراً، وشعري المبلل يقطر على معطفي الرقيق الذي اخترقه المطر في بضع دقائق.

- لا تبدين منزعجة من المطر، يا أليس، لاحظ رضا.

فتحت فتحة التهوية فوق رأسي لأشعر بالتدفئة وعصرت شعري المصفف على شكل تسريحة ذيل الحصان.

- لا، أنا أتجمد من البرد، لكن المطر لا يزعجني أكثر من الريح أو الشمس، فقد نشأت بالقرب من البحر وعندما تمطر هناك، نقوم بالأشياء نفسها التي نقوم بها في الأيام الأخرى، إلا أننا نرتدي قلسونة.

التفتت إليّ فيكتوار وهي تنشر سترتها على المقعد أمامها:

- اعتقدت أنك تنحدرين من نيويورك.

- عشت هناك، نعم، لكنني لم أولد فيها.

- أين ولدت بالضبط؟ سأل كريس. لدي أصدقاء في ميشيغان!

- في بلدةٍ نائية لا يعرفها أحد، قلت محرجة. ماذا عنك؟

أردت أن أصرف الحديث عني. ما الذي دفعني إلى القول بأنني نشأت بالقرب من البحر؟

- باريس، رد كريس. في أي ولاية تقع بلدتك؟

- رود آيلاند.

- أين تقع هذه الولاية؟ سأل رضا.

- في الشمال، على الساحل الشرقي، هي أصغر ولاية في الولايات المتحدة، لذلك لا أحد يعرف...

فككت ربطة شعري ولوحت به تحت فتحة التدفئة لأستعيد رباطة جأشي، وإذ بالسائق ينقذني عن غير قصد بإعلانه انطلاقنا.

لاحظت أن جيرمي، الذي لم يشارك في المحادثة، يحدق بي متأملاً، فأشحت بنظري منزعجة. كان ينبغي لي أن أرد أنني ولدت في كاليفورنيا، أو في قاع تكساس، أو في مزرعة في وايومنغ. بعيداً قدر الإمكان عن كوينزتاون، رود آيلاند، مسقط رأس سكارليت سميث-ريفيير، كما تشير ويكيبيديا علانيةً. كان عليّ أن أبتعد عن الحقيقة قدر الإمكان. لكن كلما تكلمت أكثر، فضحت نفسي أكثر. هذه هي مشكلة الاقتراب من الناس: ينتهي بنا الأمر بالتخلي عن حذرنا والكشف تدريجياً عما أردنا إخفاءه.

- سأحاول الحصول على قسط من النوم، قلت لأتجنب الأسئلة.

- أنت مبللة، ستصابين بنزلة بردٍ، علقت فيكتوار.

وعلى نحوٍ عفويٍّ، مدت لي سترتها ذات القلنسوة.

أثّرت فيّ هذه اللفتة أكثر مما ينبغي فظللت عاجزةً عن الكلام للحظة قبل أن أَقبَلها وأشكرها بابتسامةٍ. عليّ حقاً أن أسترجع أسلاكي الشائكة الواقية وأن أتوقف عن تكوين الروابط.

وأنا جالسة وحدي في الصف الأمامي، التفتُّ نحو زجاج النافذة حيث تدفق المطر. شغّل السائق المذياع. أويسس. **لا تنظر إلى الوراء بغضب**[1]. لم أستطع إخفاء قشعريرتي. نظرت خلفي: كان جيرمي ورضا مركزين على حاسوبيهما وفيكتوار نائمة وكريس ينقر على هاتفه. ومن الصف الأمامي حيث جلست، ملتُ نحو السائق وطلبت منه بتكتم أن يطفئ المذياع، فكل ما سمعناه بعد ذلك

---

(1) **Don't Look Back in Anger** هي خامس أغنية من ألبوم (واتس ذا ستوري) مورنينغ غلوري؟ لفرقة أويسس الصادر عام 1995 - المترجمة.

كان صوت القطرات فوق هدير المحرك. تركنا الطريق السريع وتوجهنا نحو طريقٍ ضيقةٍ. حاولت مساحات الزجاج المذعورة إزاحة ستارة المياه المتساقطة على الزجاج الأمامي للحافلة الصغيرة، لكن دون تحقيق نجاح ملحوظ.

وفجأة، ظهر البحر. استقمت في جلستي لاإرادياً، ودون وعي مني، حاولت يدي مسح القطرات التي تطمس المشهد وراء الزجاج. أمسكت يدي المرتجفة بسوار معصمي، وبقيت عيناي مركزتين على المنظر الطبيعي. أرعبتني فكرة تعرضي لنوبة هلع مفاجئة، بينما جعلتني أيأس فكرة عدم القدرة على التوقف لشم رائحة الملح في الرياح المثقلة بالماء والقوية لدرجة أنها طوت الأعشاب الطويلة المصطفة على جانب الشاطئ. امتدت الطريق على طول الساحل. كان المد منخفضاً. قلت في نفسي إنها نفس المياه التي تداعب رمال ناراغانسيت على بعد بضعة آلاف كيلومتر من هنا. في البعيد، اصطدمت الأمواج الزرقاء الداكنة ذات الحواف البيضاء بالشاطئ المهجور الممتد على مئات الأمتار. لم أر البحر منذ خمس سنواتٍ. لم أدرك ذلك حتى واجهتُ هذا المحيط الغاضب جراء هجره. لقد بقيت في المدينة، وغرقت في ضجيجها وتلوثها وهيجانها الدائم، واستبدلت ناطحات سحاب نيويورك بمباني باريس، دون أن أفكر، ودون أن أتمعن في الأمر. وبدا جليّاً أن هذا لم يكن صدفة، كل هذه الفصول الصيفية التي أمضيتها في نيويورك حيث بقيت في المكتب تحت مكيف الهواء، بدلاً من مرافقة أنجيلا وعائلتها إلى شواطئ لونغ آيلاند. . . لقد هربت من البحر، كما هربت من الباقي، من واقعي وحياتي ومسؤولياتي.

لم أشعر بنوبة هلعٍ أو بتوتر، بل بحزنٍ كبيرٍ، مثل فجوةٍ في

صدري تملأ بالدموع عينيّ التائهتين. اتكأت على النافذة وأخفضت قلنسوة سترة فيكتوار على رأسي لأخفي وجهي. وبعد بضع دقائق، ابتعدنا عن الساحل لنلتحق بمناظر طبيعية للغابة. شعرت بنفسي ممزقة بين الحزن والارتياح، فحدقت في البحر الرمادي وهو يختفي في غروب الشمس خلفنا.

يوميات أليس

لندن، 10 مارس 2012

بروس، يا عزيزي،

سأزف لك خبراً مهماً: لقد اتخذت قراراً مع أوليفر، سنشرع في الإخصاب في المختبر، أي ما يسمى الإخصاب الأنبوبي.

نعم، لأني بعد فشل تحفيز المبيض، عشت فشل التلقيح الاصطناعي. لو تعلم، يا بروس، عدد الأشخاص الذين قمت بفتح ساقَي أمامهم، والأشياء التي حشوها في أجزائي الحميمة خلال الأشهر القليلة الماضية، والحبوب، وحقن الهرمونات... مجرد التفكير في الأمر يرهقني. لكن هذه المرة، حُسِمَ الأمر.

أنا الآن أُعالَج في مستشفى الملكة فيكتوريا الخاص، وطبيبتي النسائية تدعى دولوريس -فنظراً لمعرفتها الواسعة بمهبلي، أسمح لنفسي بأن أناديها باسمها الشخصي. ترسم تجاعيد دولوريس خطوطاً منقطةً حول عينيها الخضراوين المرقطتين بالذهبي، كما لديها ابتسامةٌ هادئةٌ وصبورة مثل جدة موثوقة وذات خبرةٍ، تلهمني بالشجاعة التي أحتاج إليها في كل موعد. في ظروفٍ أخرى، كنت سأسامحها على قضاء مواعيدنا ورأسها بين ساقي، لكن بالطريقة نفسها التي يصعب

فيها أن نحب طبيب الاسنان أثناء عملية التقليح، لا يمكنني ألا أستاء منها.

ربما دفعني نجاح سكارليت إلى أخذ زمام المبادرة. نعم، الأمر مؤكد، سكارليت تسجل أسطوانةً. أنا لا أعلم عن هذه الصناعة شيئاً، لكن «يمكن لذلك أن يكون بداية كل شيء»، قالت لي بنبرةٍ حذرةٍ. أشعر بارتياحٍ كبيرٍ، كما لو أن ثقل المسؤولية قد أزيل عني فجأةً. في نهاية المطاف، ربما كانت الطبيبة النفسية على حق. فأنا أشعر بالارتياح نفسه الذي شعرت به أول مرة رأيتها في حفل الموسيقي. ورغماً عني، ورغم أنني لطالما أعجبت بموهبة أختي الصغيرة، إلا أنني مررت بفترات من الشك، يا بروس. وبالنظر إلى الوراء، فدائماً ما سبق اللحظات القليلة التي شككت فيها في سكارليت نجاحٌ باهر لها. فمباشرةً بعد فشل سكارليت في تنظيم حفلها في المدرسة الثانوية، أتذكر أن آشلي قالت لها في المقصف:

- كل واحدة منا تحلم بأن تصبح ممثلة أو مغنية، لكن في الواقع، لا أحد يحقق ذلك أبداً، لذا يستحسن أن تركزي على اختبارات السات للحصول على مكانٍ في الجامعة.

هزت سكارليت كتفيها وابتلعت نصف شطيرتها.

- هناك من يحقق ذلك، أجابت بفمٍ ممتلئٍ، وهم بالطبع ليسوا ممن يضيعون وقتهم في دراسة أشياء في الجامعة لن تخولهم إحراز تقدم في مجالاتهم.

- ألا تخشين أن ينتهي بك الأمر فاشلة؟ أن تتسولي وأن تغني في مترو أنفاق نيويورك؟

أمالت سكارليت رأسها جانباً متأملةً.

- أنا أخشى الاستسلام وقضاء بقية حياتي أتساءل عما إذا كان بإمكاني تحقيق طموحي. فما من شيء أسوأ من الندم.

سمعتْ أختي هذا النوع من الخطابات الواعظة بانتظام، من أمي ومن الأساتذة القليلين الذين لم يتخلوا تماماً عن إعادتها إلى الطريق الصحيح، وأنا متأكدة من أنها فكرت في الأمر مليّاً. فوراء مظهرها الجريء، وصوتها الصاخب، ومزاجيتها كفنانة، والفوضى، والتعبير الهائج لسلوكها السيّئ، لطالما كانت سكارليت فتاةً ذكيةً ومنظمةً للغاية. فعندما كنت أقرأ عليها دروسي في الاقتصاد في جامعة براون، فهمتْ أحياناً مفاهيم معينةً أفضل مني فشرحتها لي بوضوحٍ مدهشٍ. وأنا لم أرها تتخذ قراراً عشوائياً أبداً. وحتى يومنا هذا، أميل إلى الاعتقاد أنه كان بإمكانها تعلُّم أي مهنة بسرعةٍ كبيرةٍ، وأن ذكاءها ومثابرتها كانا سيسمحان لها بالقيام بأي شيء، بمجرد أن تقرر العمل عليه.

لكن بعد تلك المحادثة مع آشلي، تولدت لديّ شكوكٌ للمرة الأولى. لقد رأيتها تعمل ليلاً نهاراً منذ ثلاث أو أربع سنوات، لكنها حاولت على مدار ثمانية عشر شهراً تنظيم حفلها الموسيقي الأول من دون جدوى. لم يرغب أحدٌ في استضافتها، كما كانت عازفة الطبول، التي تشاجرت معها، قد انسحبت لتوها من بلو فينكس. واجهتها الكثير من العقبات، الكثير من الصعوبات. علاوة على ذلك، ماذا كانت سكارليت تعرف عن صناعة الموسيقى؟ خشيت فشلها.

جعلتني هذه الأفكار أكثر قلقاً من فكرة أنها قد تبتعد مني يوماً لأنها أصبحت نجمةً. فكرت في الأمر في الليل فمنعني احتمال فشلها من النوم، فلطالما شعرت ببعض المسؤولية عن سعادة

سكارليت. ربما لأنني كنت أعلم أنني أشغل مساحةً كبيرة في قلب أمي، بحيث لا أترك ما يكفي من مساحة لأختي الصغيرة.

كنا بحاجةٍ إلى خطة باء. كان يلزمنا حلٌّ بديلٌ لتتمكن سكارليت من شراء منزلها الكبير على الشاطئ، حتى لو لم تصبح أبداً المغنية والموسيقية التي حلمت بأن تصبحها. كان عليّ أن أعمل بجد وأن أكسب المال. من باب الاحتياط فحسب. لكي أحميها.

حتى تلك اللحظة، رغبت في أن أكون مترجمةً، مثل والدتنا. كنت ثنائية اللغة تماماً وكان مستواي الكتابي في اللغة الفرنسية ممتازاً بفضل الروايات التي التهمتها لسنوات طويلة. كما جعل حبي لفرنسا ولأدبها وعاداتها وتاريخها الدروسَ الفرنسية لحظة متعةٍ خالصةٍ. لكن كم تقرير سنوي أو كم رواية إباحية كان ينبغي أن أترجم ليتسنى لي بناء المنزل على الشاطئ الذي حلمت به سكارليت؟ فكرت في أمي التي تعمل في أوقات متأخرة من الليل، وفي عطلات نهاية الأسبوع، ولا تأخذ إجازات أبداً، وبمنزلنا الخشبي الصغير حيث وفرنا التدفئة في الشتاء. لن أغدو غنيةً إذا أصبحت مترجمةً، لذا كان عليّ أن أجد مساراً آخر. وكنت أعرف شخصاً ثرياً واحداً فقط: والد آشلي، فقررت التحري عن أصول ثروته.

لقد دُعيتُ لأول مرةٍ إلى عشاء ليلة الجمعة التقليدي في منزل آشلي لأننا كنا نعد عرضاً عن تاريخ المتنزهات الوطنية الأمريكية واقترحتْ أن أمضي الليلة عندها. ورغم الاختلاف الواضح في بيئتينا الاجتماعيتين، لا بد أن والدَيها استحسنا رفقتي، أو ربما أُغرِيا بجنسيتي الفرنسية، لأنني دُعيت عدة مراتٍ بعد ذلك. شعرت بالإطراء وأدركت الشرف الذي حظيت به، لا سيما أن قدمَي داكوتا لم تطآ منزل أشلي قط (زعمت سكارليت مؤخراً أنه كان من الجلي

أن السبب في ذلك هو أن والدَيها عنصريان، وأعترف أنني لم أفكر في هذا التفسير إطلاقاً). أما عن سكارليت، فقد دُعيتْ معي مرةً واحدةً، بعد ظهر أحد الأيام وكانت المرة الأخيرة، ولم أعرف السبب أبداً.

كانت آشلي تسكن في منزل كبير على الطراز الاستعماري في الحي الراقي من كوينزتاون، حيث كان بهو المدخل أكبر من غرفة المعيشة لدينا، وواجهت ماريا كاري بافي ومصاصي الدماء على جدران غرفة نومها المغطاة بالملصقات. كان لديها تلفاز في غرفة نومها، وسريرٌ مزدوجٌ مغطى بلحاف وردي ووسائد زهرية. وفي عيد ميلادها الثالث عشر، أهداها والداها هاتفاً خلوياً ضخماً بحجم هاتف عمومي، على شكل الهواتف في تلك الحقبة، ولم يفدها بشيء سوى بالاتصال بنا على خطنا الأرضي، بما أن مالكي الهواتف المحمولة كانوا نادرين للغاية وقتها.

كانت لآشلي أخت تدعى كيلي، وأخ اسمه أوليفر. كانت كيلي أكبر منها باثني عشر عاماً وتعمل في بوسطن في شركة كبيرة لمستحضرات التجميل. أما أوليفر، الذي يكبرنا بعشر سنوات، فكان قد أنهى للتو سنته الأخيرة في جامعة براون في بروفيدانس وحصل على وظيفةٍ في أحد المصارف، مثل والده، في برج لامع في وول ستريت. كان يعمل طوال الوقت ونادراً ما عاد إلى كوينزتاون.

أثّرت فيّ كثيراً وجبات العشاء هذه، إذ كانت حياتهم مختلفة تماماً عن حياتنا. ليس بسبب الوجبة اللذيذة التي تقدم في غرفة الطعام على الطاولة المبرنقة أو طقمها الفضي أو حتى بدلة سوزان، والدة آشلي، الأنيقة، بل بسبب نظام عائلتهم مقارنةً بعائلتنا. كان

والد آشلي، ريتشارد، رجلاً وسيماً للغاية، جعله صدغاه الرماديان يبدو مثل جورج كلوني، وحتى اللحظة التي تخلى فيها عن زوجته من أجل فتاةٍ شابةٍ في عمر ابنته الكبرى وانتقل للعيش في كاليفورنيا، كنت أنظر إليه على أنه نوع من الآلهة. أما الآن وقد أصبح والد زوجي، فقلّ إعجابي به كثيراً، خاصة وأنه في غضون ذلك، غيَّر زوجته مرتين (زوجته الأخيرة أصغر مني) وتبنى بشدة رؤى الحزب الجمهوري والاتحاد القومي للأسلحة دفاعاً عن الحق في حمل السلاح في الولايات المتحدة. على أية حالٍ، كان هو مَن يدير النقاش ويوزع وقت الكلام بشكلٍ عادلٍ بين مختلف أفراد عائلته، فتحدثوا عن الأخبار، والسياسة، وروى كل واحد منهم يومه، كما طرح الجميع الأسئلة وعلق على أحاديث أفراد الأسرة الآخرين، ولم يكن هناك أي تفضيل أو موضوع أهم من موضوع آخر، ولا تسلسل هرمي بين الأولاد.

ناقش معي أبواها بلطف خططي للمستقبل، ورغبتي في الالتحاق بالجامعة، وهواياتي، والكتب التي أقرأها، والوظائف الصيفية التي تقدمت إليها، وهي موضوعات لم تتطرق إليها أمي، رغم محاولاتها لدعمي في دراستي. فعندما بدأتُ أقلق بشأن مستقبل سكارليت، اتخذت قراراً بأن أصبح ثريةً مثل والد آشلي، ريتشارد ثورنتون. كنت في السادسة عشرة من عمري وسألته عن مهنته أثناء أحد العشوات العائلية ليوم الجمعة. وبعد ذلك العشاء نفسه، طلب أوليفر، الذي كان في زيارة خلال عطلة نهاية الأسبوع، رقم هاتفي من آشلي. ورغم أنني كنت مركزة أشد التركيز على هدفي، إلا أن الابتسامة الساحرة وسرعة البديهة للأخ الأكبر لآشلي نالتا مني.

- أنا أعمل في مجال الاندماج والشراء، أجاب ريتشارد

ثورنتون. أساعد الشركات التي ترغب في شراء شركة أخرى أو الاندماج فيما بينها في إتمام الصفقة، وفي تحديد أسعارها ومطالبها وفي تحرير العقود، وما إلى ذلك.

- وهكذا أصبحت ثرياً جداً؟

ضحك.

- نعم. هل هذا مجال يهمك؟

- نعم.

- هل تتقني التعامل مع الأرقام؟

- أبلي بلاءً حسناً، وأحتاج إلى كسب المال، الكثير منه.

دعوت ألا يسألني عن السبب. فعلاوة على أنه قد يعتبر مشروعي طفولياً، فإن التعبير بصوت عالٍ عن خوفي من أن تفشل سكارليت بدا لي خيانةً لها. لم يسألني. كان من الواضح أن الثراء يمثل غايةً في حد ذاتها بالنسبة إليه. لقد طرحت عليه الأسئلة طوال العشاء وأجابني بجديةٍ شديدةٍ قبل أن يختم:

- إذا أردت، يمكننا التحدث عن ذلك أكثر. تعالي إلى مكتبي بعد العشاء.

ومنذ ذلك اليوم، قررت أن أعمل في مجال التمويل، وأصبح والد أشلي، ريتشارد، مرشدي. كان يدعوني بانتظام للحضور والتحدث في مكتبه، الذي غادرته ورأسي محشو بالصيغ المالية وذراعاي مثقلتان بنسخٍ من صحيفة وول ستريت جورنال التي شجعني على قراءتها، والتي حرصت بدوري على دراستها من الصفحة الأولى إلى الأخيرة. لقد قرأت عدداً أقل بكثير من الروايات الفرنسية، لكنني شعرت بالارتياح: كانت لدي خطةٌ بديلةٌ لسكارليت.

وفي النهاية، صارت سكارليت، التي قضت وقتاً طويلاً مع سكرتيرة الإدارة حيث تم استدعاؤها بانتظام لعدم الانضباط، صديقتها. وبذلك، حصلت على رقم هاتف المجموعة التي كان من المقرر أن تحيي أمسية الانتقال إلى عام 2000 في المدرسة الثانوية، فالتقت بالمغني، الذي صادف أنه ابن شقيق ناظر المدرسة، وتمكنت من إقناعه بالحضور لرؤية فرقة بلو فينكس وهي تلعب الموسيقى في مرآبنا.

وبعد ذلك ببضعة أيام، اتصل ابن الأخ بالناظر واقترح عليه إحضار فرقة من الموسيقيين الشباب الواعدين لافتتاح الأمسية مقابل مبلغ متواضع قدره مائة دولار، فوافق الناظر، دون الربط بين سكارليت وبلو فينكس، على أن تعزف هذه الفرقة الشابة التي أوصى بها ابن أخيه مقطعاً موسيقياً.

في فناء المدرسة، تم تداول عدد كبير من النظريات الخيالية حول ما كان سيحدث أثناء الانتقال إلى عام 2000، فانتظرنا خطأ الألفية، ونهاية العالم، وهجوماً نووياً... حتى أن والدَي داكوتا كانا قد خزنا في قبوهما ما يكفي من الماء والأغذية المعلبة لإطعام كتيبة لمدة عقدٍ من الزمن. كان شهر ديسمبر من تلك السنة دافئاً على نحوٍ خاصٍّ. لم يكن الثلج قد غطى الشاطئ بعد ولم تتجمد البركة التي اصطفت على جانبيها الأشجار العارية على طريق المدرسة. وكان بيتش كافيه لا يزال مفتوحاً في منتصف ديسمبر. أتذكر ذلك لأننا ذهبنا إلى هناك لاحتساء الشوكولاتة الساخنة مع سكارليت في عيد ميلادها. كانت متحمسةً جداً لحفلها المرتقب، ولم تكن تريد أن تكشف لي شيئاً، لا المقطع الوحيد الذي كانت ستعزفه على غيتارتها، ولا الزي الذي صنعته بماكينة الخياطة القديمة التي أعارتها

إياها أمي مقابل القليل من الراحة، والتي استمعت وأنا في سريري إلى صوتها المنتظم المزعج حتى وقت متأخر من الليل.

- سترين، ستكون مفاجأةً، قالت لي بعينين تلمعان من السعادة، ويداها مشبوكتان حول الشوكولاتة التي نسيت أن تشربها من شدة حماسها.

كان 31 ديسمبر 1999 يوم جمعة. أخفيت قلقي من الألفية الجديدة وراء نكات ساخرة. أما سكارليت، ونظراً لعدم التواضع الذي ميزها وقتها، فرأت في ذلك التاريخ إشارةً: ستبدأ مسيرتها المهنية في ذلك اليوم، على المسرح المؤقت الذي سيقام في صالة للألعاب الرياضية بمدرستنا الثانوية، في فجر الألفية الثالثة، مثل المسيح قبل ذلك بألفَي سنة وبضعة أيام.

ما زلت أرى بوضوح شرائط الزينة المعلقة على التعريشات الخشبية ولافتة «مرحباً 2000 - عام جديد سعيد» فوق المنصة، والبوفيه وعليه غطاء ورقي بألوان العلم الأمريكي وكؤوس بلاستيكية حمراء. لقد عثرت قبل بضع سنوات على صورة باهتة لي ولسكارليت، التقطتها أمي قبل أن توصلنا إلى الحفل، بدوت فيها مثل شيبولاتا[1] في فستاني الطويل من الساتان الوردي، ولم تكن سكارليت قد ارتدت ملابسها بعد، لأنها لم تكن ترغب في أن يرى أحد ملابسها قبل العرض، فكانت ترتدي في الصورة سروال جينز ممزقاً وقميص أيروسميث قصيراً جداً وتظهر بتباهٍ حلق سرتها الحديث على شكل جمجمة، ما أثار سخط أمي.

أتذكر حفل سكارليت الموسيقي الأول كما لو كان البارحة،

---

(1) نوع من السجق الطازج يتميز شكله بكونه قصيراً وممتلئاً - المترجمة.

وأقول «حفل موسيقيّ» لأنها لطالما ذكرته بهذا الاسم، لكن في الواقع، سُمِح لها بتقديم أغنية واحدة فقط.

عندما صعدتْ على خشبة المسرح مع فينكس وفرقتها المكونة من ثلاثة مراهقين هزلى وخائفين، لم ينظر إليها أحدٌ سواي. كانت مجرد مراهقة تمكنت من التسلل إلى حفلة المدرسة الثانوية لعزف أغنية، وبدت، وهي تمسك ميكروفونها في يدها، مثل قريبةٍ صغيرةٍ تستعد للغناء في محل كاريوكي. رغبت في أن أطلب من الجمهور أن يصمت، وأن يسمح لها بالعزف. كنت مستعدة لأن أدفع لهم المال ليصفقوا لها. لكن الأشخاص القليلين الذين لم يتجاهلوها أطلقوا عليها صيحات استهجان وطلبوا منها أن «تحزم أمتعتها وتفسح المجال للفرقة الحقيقية».

لم تكن خائفة، بل ابتسمت، واثقةً من نفسها، متأكدة من أنها في مكانها. ثم لامست أصابعها أوتار الغيتارة وبدأت في العزف. غنّت وندروول لأويسس وتغير كل شيء. أدركت في تلك الليلة، وأنا أرى الصمت يخيم تدريجياً على القاعة بأكملها، بما في ذلك البالغون، بينما كان صوتها الدافئ يرتفع تحت الشرائط المضيئة والقشعريرة تلفنا والإثارة تزداد مثل ليلة السوبر بول، أنها ستصبح نجمة. ومن الطريقة التي صرخوا بها لكي تستمر بعد نهاية الأغنية، في حين أسقطت الميكروفون عند قدميها وغادرت المسرح بغطرسة نجمةٍ كبيرة، دون أن تلتفت أو تودع الجمهور، تأكدت من أنه لم يكن ذلك غباءَ طفلة أو نزوةً عابرة أو حلماً أكبر منها، بل كانت حقيقتها الوحيدة، ومهمتها في هذا العالم، وأنها لن تقبل أبداً بخطط بديلة.

وصلنا عند حلول الظلام إلى موقف سيارات في قلب الغابة تحدده جذوع الأشجار. خرجتُ من الشاحنة الصغيرة وانغرز كعب حذائي في الأرض المبللة.

- لا يمكنني إيصالكم إلى القلعة، فالأرض موحلةٌ، لكن مكتب الاستقبال من هنا، أشار السائق.

في ضوء المصابيح الأمامية الباهتة، رأينا طريقاً في الغابة غارقاً في الليل، تصطف على جانبيه نباتات السرخس. استرد كل منا حقيبته، وساد جو من القلق.

- ماذا اخترعت مجدداً، يا كريس؟ تنهد جيرمي.

- لم أكن أتوقع ذلك بطبيعة الحال، رد كريس وقد خفّ حماسه قليلاً، لكن الآن وقد وصلنا إلى هنا، سيكون التراجع قبولاً للرداءة، فلنمشِ قدماً إذاً!

وتقدّم على الطريق الترابي بخطى حازمة، وقد شدت قلنسوته وجهه وبلل المطر نظارته على نحوٍ مضحك. نظراً لميزانية هذه الندوة، توقعت منتجعاً صحياً فاخراً في تونس، وليس مخيماً برياً. . . لكن لم يكن لدينا من خيار سوى اتّباعه، غارقين في

ملابسنا المبللة، خاصة وأن سائق الحافلة الصغيرة أغلق الباب لتوه وأعاد تشغيل مركبته بعد أن صاح باتجاهنا: «سأعود لاصطحابكم يوم الجمعة!».

سرنا في الطريق الضيق في صمت، نجر حقائبنا بين الجذور والأخاديد، وسرعان ما لمحنا ضوءاً مرتجفاً ينبعث من مبنى عالٍ وداكنٍ، يرتسم شكله خلف ستارة المطر بضبابية. بدا وكأنه قلعة محصنة بنوافذ مضاءة، تائهة وسط الغابة. عند وصوله إلى الباب الأمامي، رفع كريس المطرقة التي ارتدّت على الباب الخشبي بصوت عميق. وبعد حوالي دقيقة، وبعدما بدأنا نستسلم لفكرة النوم في الخارج قبل أن نعود إلى باريس مصابين بالتهاب رئوي قصبي، فُتح الباب وفتح لنا رجلٌ في الخمسينات من عمره ذراعيه كما لو كنا من أسرته.

- مرحباً بكم في النزل البيئي بقلعة بلوديريك! صاح قائلاً. أنا جهان ديغلمون دو مونتالمبرغ الملقَّب بالفارس الشجاع.

- أشك في أن يكون هذا اسمك الحقيقي، لاحظت فيكتوار، حاذقة كالعادة.

كان جهان ديغلمون دو مونتالمبرغ الملقَّب بالفارس الشجاع يرتدي ملابس فارس من القرون الوسطى في نسخة ناشط لمنظمة السلام الأخضر، أي، بدا كرجل نبيل ولكن بملابس خضراء من رأسه إلى أخمص قدميه. قادنا إلى ردهة واسعة حيث انتصب درع صدئ عند سفح درج حجري ضخم. اشتعلت النار في مدفأة أكبر من استوديو سرانيا، وغطت الأقمشة ذات الألوان الباهتة الجدران.

- يعود تاريخ القلعة إلى القرن الثاني عشر، أوضح مضيفنا وهو

يقودنا إلى منضدة من خشب الماهوجني المنحوت استُخدمت كمكتب استقبال، يسعدنا الترحيب بإيفردريم في بلوديريك!

أفادنا أن العشاء (الذي فاتنا) يُقدَّم عند الساعة السابعة والنصف مساءً في قاعة الحراس لأن الكهرباء تنقطع بعد الساعة التاسعة مساءً، وأن الإفطار يُقدَّم عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً في نفس المكان، وأننا سنبدأ أنشطة الندوة في العاشرة صباحاً.

- هل هناك أسئلة؟

- نعم، رد جيرمي وفيكتوار ورضا في آنٍ واحدٍ.

- ما هو رمز الواي فاي؟ سأل جيرمي.

- نفس السؤال، أكدت فيكتوار ورضا.

- في بلوديريك، لا توجد شبكة واي فاي ولا شبكة اتصال، قال جهان ديغلمون بفخر كبير. إنه مكان لإعادة شحن طاقتك والتركيز على أشياء ذات قيمة، مثل الطبيعة على سبيل المثال.

بدت الدهشة على محيّا جيرمي وفيكتوار كما لو قيل لهما إنه يتم قطع رؤوس صغار الدلافين بسكاكين الزبدة في بلوديريك.

- أترون، لقد قلت لكم إن الأمر سيكون غير نمطي، صاح كريس مسروراً.

- كنت على وشك الوصول إلى العالم رقم أربعة آلاف ومائتين وسبعة وثلاثين في كاندي كراش، صاحت فيكتوار غاضبةً.

- لكن لدينا خط أرضي للضيوف، واصل جهان مشيراً بحركة مسرحية إلى الهاتف الدوار من طراز الستينيات الموجود على منضدة الاستقبال، كما لو أن الجهاز ذا السلك الملتوي كان سيساعد فيكتوار على التقدم في كاندي كراش.

- لقد كانت العصور الوسطى بائسة حقاً، لاحظت فيكتوار.

- آمل أن يكون هناك شيء ممتع على التلفاز، تنهد رضا.

- إن الخيام غير مجهزة بأجهزة التلفاز، قال جهان كما لو أنه ألقى نكتة مرحة لم تُضحك أحداً على الإطلاق.

- الخيام؟ سأل رضا بقلقٍ.

لم يُجب عليه أحد، وبينما كنا نستعد لصعود الدرج الضخم، انفجر جهان ديغلمون ضاحكاً من جديد.

- لا، لا، لا، من هنا، يا رفاق!

اكتسى الغموض محيّا كريس، فأثار ذلك قلقي. أعاد مضيفنا فتح الباب الرئيسي الثقيل فاندفعت الأمطار التي حملتها الرياح المالحة إلى الردهة المكسوة بالحجر الرمادي.

وبينما كنا نمر عبر الباب، سلّم لكل واحدٍ منا نوعاً من فوانيس القراصنة التي تعمل بالبطارية. ها نحن قد عدنا من جديد إلى المطر الذي تحول في تلك الأثناء إلى رذاذٍ مزعجٍ. وبعد بضع دقائق، وصلنا إلى سفح شجرةٍ ولاحظتُ لوحة خشبية صغيرة مزروعة في الأرض تشير إلى رقم غرفة.

- الغرفة رقم 7، هذه هي!

- هذا أنا، قال رضا بصوت شخصٍ يُستدعى إلى الكرسي الكهربائي.

وجّه جهان ديغلمون شعاع مصباحه نحو سلمٍ خشبي يتجه إلى قمة الشجرة، وبقي رضا ساكناً للحظةٍ.

- أأنت جاد؟

- إنها غرف على شكل فقاعات في الأشجار! صاح كريس،

غير قادر على التحكم في حماسه أكثر من ذلك. سنعيش ثلاثة أيام في تناغم مع الطبيعة، بعيداً عن صخب المدينة وضوضائها!

- لا أصدق ذلك، لقد أخذنا الرجل إلى مخيم الكشافة! صرخت فيكتوار بفزع.

خُيِّل لي في شبه الظلام أن جيرمي حبس ضحكة.

- حسناً، الجو باردٌ، قلتُ، فإذا لم تصعد، فسأصعد أنا.

تسلق رضا السلم متذمراً، وساحباً وراءه حقيبته الثقيلة.

- لقد قلت أمتعة خفيفة، لاحظ كريس، أتريدني أن أساعك؟

- بالطبع لا! أجاب الشاب الغاضب.

- الفقاعات دافئةٌ ومجهزة بالكهرباء، أشار جهان، لكن كل شيء بيئي فنحن ننتج الكهرباء الخاصة بنا بفضل الألواح الشمسية الموجودة على سطح القلعة. هناك حمامٌ لكن المراحيض سمادية.

- لا أريد حتى أن أعرف ما يعنيه ذلك، تنهدت فيكتوار.

على بعد قليل من ذلك، جاء دوري. أخبرنا جهان أن شجرة البلوط الخاصة بي يبلغ عمرها عدة مئات من السنين، وأن الملك آرثر كان ينام تحت ظلها. وبما أنه كان هناك ما يقارب الخمسمائة شجرة بلوط في تلك الغابة، تساءلت كيف أمكنه التأكد من صحة هذه المعلومة، لكن لم يكن ذلك الوقت المناسب لمناقشة علم النبات.

- فلنتقابل على الإفطار عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً، ذكرنا كريس، وكونوا في الوقت المحدد: فالتأخر ما هو إلا رداءة.

لم أجب. كان بإمكانه تحذيرنا من هذه الخطة المجنونة. تسلقت السلم الخشبي، ورغم أنني احترمت تعليمات كريس ولن

آخذ إلا ما هو ضروري، كانت حقيبتي تزن وزن حمارٍ ميتٍ. وصلت أخيراً إلى منصة خشبية مثبتة بين الأغصان الضخمة لشجرة البلوط. على يميني، كان هناك شيء كالخيمة المستديرة، الشفافة كليّاً؛ وعلى يساري، ملجأ خشبي فتحت بابه: إنه الحمام. أشعلت الضوء. كان بسيطاً ونظيفاً. أطفأت الضوء ودخلت الفقاعة. كانت هناك تدفئةٌ فعلاً، كما كان هناك فراشٌ مريحٌ مغطى بلحافٍ دافئٍ موضوع على السجادة السميكة. وأتاح لي رف منخفض عليه بعض الكتب ترتيب أغراضي. كان المكان صغيراً، لكن مريحاً جداً، وكأنه نسخة فاخرة للتخييم. ارتديت سروالي الرياضي والقميص اللذين أستعملهما كلباس نوم ونشرت بذلتي المبللة على الرف، متنهدة.

وضعت بعناية على منضدة السرير صفيحة الحبوب المنومة والمهدئات، بالإضافة إلى قنينة الماء، ثم أفرغت أمتعتي وطويت كل ملابسي ووضعتها على الرف بشكل مرتب. أغلقت حقيبتي وأوقفتها في الزاوية.

ثم جلست على السرير، دون أن يكون لديّ شيء لأفعله. لم تكن هناك شبكة لتصفح إنستغرام أو للدردشة مع أنجيلا على فيسبوك. ولم يخطر لي أن أُحضر كتاباً. كانت لا تزال هناك خمس وأربعون دقيقةً قبل أن تُطفأ الأنوار. قمت بتشغيل حاسوبي وشرعت في العمل على حسابات إيفردريم، لكنه انطفأ بعد حوالي عشر دقائق. لم أشحنه قبل مجيئي ولم يكن هناك مقبسٌ كهربائي في الفقاعة. تنهدت واستلقيت على السرير، متوترة. رسم الفانوس هالةً من الضوء الأصفر على السجادة. لا أدري ماذا سيمكنني أن أفعل. أنا لا أحب الخمول، ولا الصمت. إنهما يجبرانني على التفكير. داعبت حلي سواري على نحوٍ آليٍّ. من الغريب أنني لم أشعر

بالخطر أو بالقلق، وكأن شجرة البلوط البالغة من العمر مئات السنين حمتني بأغصانها الضخمة. ألقيت نظرة على الحبوب المنومة على منضدة السرير. ترددت. أغمضت عينَي وأصغيت إلى بقبقة المطر، ونعيق البوم، وحفيف الأغصان التي تلوح بها الرياح.

يوميات أليس

لندن، 12 مارس 2012

أهلاً بروس،

لم أكتب لك منذ فترة. . . تتصل بي سكارليت كل مساء مذعورة تماماً مما يحدث لها (أي أنها تحقق الحياة التي حلمت بها، ما يضع عليها على ما يبدو ضغطاً أكبر من أي شيء عاشته حتى الآن). لقد أوشكتْ على الانتهاء من تسجيل ألبومها، فقد أثارت النسخة التجريبية من أغانيها الأربع التي أعطتها لشركة الإنتاج على شريحة يو إس بي حماساً واسعاً في جميع أنحاء الولايات المتحدة، فقررت أوريجين ريكوردز المراهنة عليها. اعتقدتُ أن مكالمات سكارليت المتكررة ستغضب أوليفر، لكن تخيّل أنه قال لي منذ بضعة أيام:

- على الأقل، منذ أصبحتْ أختك في طور النجومية، بدأت تتحدثين عن شيء آخر غير الحمل.

أمي لا تؤمن بنجاحها على الإطلاق. إنها تعتقد أن هذا الألبوم سيكون مخيباً للأمل وهي لم تتردد بإبداء رأيها هذا لسكارليت. أما أنا، يا بروس، فأعتقد العكس تماماً. وإذا كنتَ تعرف أختي الصغيرة

كما أعرفها أنا، فستوافقني الرأي. حسناً. لا تشعرْ بالغيرة، لكنني متأكدةٌ أن اسمها سيصبح أكثر شهرة من اسمك. على أي، لطالما اعتبرت أمي سكارليت غير قادرةٍ على النجاح في أي مجال كان.

والدليل على ذلك هو تلك الحفلة التي لم أنسها أبداً. كنت أكمل دراستي في جامعة براون المرموقة حيث كنت إحدى الطالبات القليلات اللواتي حصلن على منحةٍ دراسيةٍ شاملةٍ. وبفضل عملي التدريبي الصيفي في بنك استثماري في بوسطن، كنت قد كسبت بعض المال، لذا، وقبل أن أعود إلى بروفيدانس لأكمل سنتي الأخيرة في براون، قررت دعوة والدتي وسكارليت إلى المطعم. في تلك الفترة، عملتْ سكارليت بلا كللٍ، كأمينة صندوق في متجر تارغت في كوينزتاون من الساعة السابعة صباحاً حتى الرابعة عصراً، وكنادلةٍ في المساء وفي عطلات نهاية الأسبوع. وقد أمضت جزءاً كبيراً من لياليها على غيتارتها، تعزف وتلحن، وكانت أكثر عزماً وتصميماً من أي وقت مضى. لم أرَ سكارليت منذ الربيع، فقد عملتُ أنا أيضاً بجد طوال الصيف ولم يرِدني سوى القليل من الأخبار عنها، غير تلك التي سمعتها من أمي، التي كثيراً ما اشتكت من الثقل المالي لأختي، من حلمها الكبير جداً، من طبعها الصعب، ومن الفتيان الذين أحضرتهم إلى المنزل، والذين نادراً ما رأتهم أكثر من ثلاث مراتٍ. وبما أنني لم أستطع الوصول إلى سكارليت، طلبت من أمي أن تخبرها برجوعي حتى يتسنى لنا تناول العشاء ثلاثتنا، لكنّ أمي ردت أن سكارليت لم تكن متاحة.

قررت إذاً دعوة آشلي بدلاً من أختي، فكانت آشلي تدرس الأدب الفرنسي، وكانت تحب التحدث بالفرنسية، وكانت أمي تحب تصحيح أخطائها. كانتا متكاملتين على نحوٍ تامٍّ. كنت قد خططت

لدعوتهما إلى المطعم الإيطالي الموجود في الميناء، لكن في اللحظة الأخيرة، أرادت أمي الذهاب إلى بوبز برغرز. افترضت أنها اختارته كي لا أنفق الكثير من المال، فقبلت.

وعندما وصلنا إلى المطعم، كانت سكارليت تعيد وضع الكاتشب والخردل بجوار موزع المناشف، على طاولة كانت قد نظفتها للتو.

- لم أكن أعرف أن سكارليت تعمل هنا، قلتُ لأمي متفاجئة.

- أنا لا أعرف أبداً ما الذي تفعله أختك، ردت أمي، لأنها لا تخبرني أصلاً، وعلى أية حال، ما إن أتذكر اسم المكان الذي تعمل فيه، حتى يتم طردها.

بدت ساقا سكارليت هزيلتين في التنورة القصيرة لزي المطعم الموحد، وكانت عيناها محاطتين بهالات سوداء رغم كريم الأساس وظل العيون الأسود الذي جعل عينيها تبدوان واسعتين. حدقتْ فيّ بدهشةٍ، ثم أضاء وجهها الطفولي بتلك الابتسامة العريضة والنادرة التي تملأ عينيها بالنور فجأة، كما لو ضغطت على مفتاح كهربائي.

- أليس!

ارتمت في حضني، وخرقتها الرطبة لا تزال في يدها. كانت تفوح منها رائحة البطاطس المقلية، ودفنتُ وجهي في شعرها المنسدل لألتقط رائحة البابونج المألوفة لشامبوها.

- اشتقت لك! صرخت وهي تبتعد لتنظر إليّ.

عدلتْ الشارة التي تحمل اسمها أسفل تطريز «بوبز برغرز» على بلوزتها ولاحظتُ بداية وشم جديد أسفل عنقها.

- اشتقت لك أيضاً، يا سكار.

ثم أدركتُ أننا لم نكن وحدنا وبعد صمتٍ محرجٍ يكاد لا

يُلحَظ، عانقت آشلي سكارليت وعلّقت أنه مرت فترةٌ طويلةٌ جداً منذ آخر مرة التقتا إحداهما بالأخرى، إلا أنني لاحظتُ نظرتها المرتبكة. بدا جلياً أنه لم يكن هذا ما توقعتْه عندما قلتُ لها إن سكارليت تواصل مسيرتها المهنية في الموسيقى، فأدركت فجأة أن أختي حتى بالنسبة إلى آشلي، التي تعرف سكارليت منذ الحضانة، عكست صورة فتاة فاشلة لطيفة مغلوب على أمرها.

صرحت أمي:

- دعتني أليس إلى المطعم، كما ترين. أما أنت، فلم تكوني لتفعلي ذلك!

استنتجت أنهما تجادلتا مجدداً، وتساءلت عما إذا كانت قد نقلت بالفعل دعوتي للعشاء إلى سكارليت. لم تجب هذه الأخيرة ورافقتنا إلى طاولةٍ قبل أن تضع أمامنا القوائم وإبريقاً من الماء.

- سأعود بعد خمس دقائق لآخذ الطلب، قالت بينما دخل مجموعة من الرجال المطعم.

تابعتها بعينَي وهي تصطحبهم إلى طاولة بالقرب منا، متجاهلةً محاولات المغازلة المزعجة لرجل ملتح ضخم البنية يرتدي قميصاً ذا مربعات كاد يلتهمها بعينيه. كانت فكرة أن سكارليت ستخدمنا ولن تنضم إلينا مزعجة على نحوٍ خاص بالنسبة إليّ، لكن مع ذلك، كنت سعيدة بالعودة، وبالتمتع من جديد بالمذاق الفريد لصلصة برغر بوب والبيرة المحلية.

- لدى سكارليت ابتسامة جميلة حقاً، قالت آشلي، وتتمتع بأناقة طبيعية و. . . لا أعلم، نوع من الحضور كذلك. . .

كانت تشاهد سكارليت وهي تجول بين الطاولات، مبتسمةً ومثيرةً على نحوٍ لافتٍ بزيها الأحمر. كان الإطراء صادقاً، وقد

أدلت به آشلي دون أن تخلو نبرة صوتها من بعض الدهشة، وكنت أعرفها بما يكفي لأعرف أن ملاحظاتها عنت في الواقع: «على الرغم من مكياجها المبتذل، وملابسها الفظيعة، وحلقاتها ووشومها القبيحة، أختك جميلة».

- نعم، لديها كاريزما رهيبة، أيدتها بفخر، حتى أنك لم تسمعيها تغني.

- مظهرها جريء، قالت أمي، هذا أمر مؤكد، فهي مستعدة لأن تفعل أي شيء لتلفت الانتباه.

- توقفي يا أمي، قلت متنهدة.

- هذا صحيح، وأنت تعلمين ذلك جيداً. أنت لا تتعبينني، لكن سكارليت... لا يمكنك أن تتخيلي! آمل أنها ستجد وظيفةً مستقرة، لأنني لن أتمكن من إيوائها طوال الحياة.

هززت كتفَي.

- إنه أمر مؤقت، حتى تنطلق مسيرتها. وعلى أية حال، ابتداءً من العام المقبل، سأعمل وسأستطيع مساعدتكما.

كنت أواعد أوليفر منذ ما يقارب العام. كنا نلتقي مرة واحدة كل أسبوعين، وافتقدته كثيراً، وكنت أنوي الانتقال معه إلى نيويورك فور تخرجي، فنظراً لدرجاتي وسيرتي الذاتية، كنت أعلم أنني سأحصل بسهولة على وظيفة كمحللةٍ ماليةٍ في بنك استثماري في وول ستريت.

- لطالما كنت طيعة ونجحت في كل شيء، قالت أمي متنهدة، أما سكارليت...

- ليس طبعها بهذا السوء يا أمي، قاطعتها.

انتهت مناقشتنا عند هذا الحد، إذ نشب شجار عند الطاولة

المجاورة. استدرت ورأيت سكارليت وهي تسكب مخفوق الحليب بالفراولة بأكمله على رأس الرجل الملتحي الذي كان يغازلها قبل قليل، فنهض وألقى عليها الشتائم، فركلته بين ساقيه رداً على ذلك.

خرج بوب من المطبخ وأمسك بذراع سكارليت بعنف، ثم همس بشيء في أذنها، غاضباً، فابتعدت، لكن بعد أن التفتت إلى الرجل الذي كان بوب ونادلة أخرى يناولانه مناشف ورقية ويعتذران منه، قائلة:

- المرة القادمة، سأقتلع عينيك.

شاهدت أمي وآشلي الحادث بذهول، ووقفتُ فجأة:

- سأعود فوراً!

اغتنمتُ فرصة الفوضى السائدة في المكان لأتسلل إلى المطبخ حيث اختفت سكارليت. لم تكن هناك فسلكت مخرج الطوارئ لأنضم إليها في الخارج، في الفناء الخلفي للمطعم. كانت متكئة على الجدار الخرساني، تدخن بجوار حاويات القمامة، وعيناها مثبتتان على موقف السيارات. وضعتُ سترتي على كتفيها.

- سوف تصابين بنزلة بردٍ.

- لا أبالي، غمغمت بفكّين متصلّبين.

- اعتقدت أنك لا تدخنين أبداً، أن التدخين مضر لصوتك.

هزت كتفيها بغضب وسحقت السيجارة التي بالكاد بدأتها على الحائط قبل أن ترميها في حاوية القمامة.

- لقد أخذتها من علبة كانت ملقاة في الداخل.

- ماذا حدث يا سكار؟

استدارت نحوي، وبدت عيناها البنيتان المزينتان بمكياج أسود ثقيل شديدتي السواد. كانت على وشك التحدث عندما فتح الباب

المعدني بصخب واقتحم بوب الفناء الخلفي. كانت القبعة البيضاء الصغيرة التي يرتديها في المطبخ مائلة، كما كانت الحال بالنسبة إلى مئزره الأبيض، وكان سيبدو مضحكاً لولا موجة الغضب السوداء المرعبة التي انبعثت من طوله ذي المتر وتسعين سنتميتراً.

- سكارليت!

لم تبدُ خائفة أو متوترة على الإطلاق. قاطعت بوب بنبرةٍ باردةٍ:

- لقد وضع يده على مؤخرتي، يا بوب. فبدلاً من أن تمسح قميصه القبيح، كان عليك أن تطرده.

- لا يهمني! إنه زبونٌ، ولا يمكنك سكب مخفوق الحليب على الزبائن!

- ماذا كنت تريدني أن أفعل؟

- أن توبخيه بهدوء، مثل أي فتاة مهذبةٍ!

استدارت سكارليت فجأة لمواجهته، وقد كان أطول منها بكثير. غرست نظرتها الشرسة في عينيه:

- لستُ متأكدة من أنني فهمت. ما الذي تحاول قوله بالضبط؟ أنه يجب عليّ أن أسمح بأن يعبث بي كل الخنازير المسنين الذين يأتون إلى مطعمك القذر كي لا أخاطر بأن تخسر عشرين دولاراً من المبيعات؟

تنهد بوب، الذي لم يكن في الحقيقة رجلاً شريراً، بل أباً لابنة عمرها ثمانية عشر أو تسعة عشر عاماً.

- بالطبع لا، ولكن لماذا أنت من تجذبين دائماً هذا النوع من المشاكل؟ ربما لو كنت أقل... اندفاعاً...

- اندفاعاً؟ إذاً أنا من أتعرض للتحرش وأنا السبب؟!

- ليس هذا ما أقوله، تذمر بوب. اسمعي، في المرة القادمة

أرسلي شخصاً آخر ليعتني بالطاولة بدلاً منك ولا تضربي الزبائن بعد الآن، اتفقنا؟

- لا.

- ماذا تعنين بِلا؟

فكّت سكارليت رباط مئزرها الأبيض، وخلعت قبعتها الصغيرة وألقت بهما على الأرض.

- أنا أستقيل، سيتوجب عليك أن تجد فتاةً أخرى لتسلية المنحرفين الذين يقصدون ماخورك هذا.

- لا تتصرفي بصبيانية، قال بوب بهدوءٍ، أنت بحاجةٍ إلى هذه الوظيفة، يا سكارليت. يجب أن تتعلمي أن تتقبلي النقد.

ابتسمت له سكارليت، ثم خلعت السترة التي وضعتُها على كتفيها قبل قليل ومدّتها لي، ما طمأنني أنني لم أكن غير مرئيةٍ إلى هذا الحد بالنسبة إليها منذ بداية هذه المحادثة.

- وأنت تعلم جيداً أن مطعمك لم يستقبل هذا العدد من الزبائن إلا بعد مجيئي، «باندفاعي» كما تقول (وهي تتكلم، قامت بفك أزرار بلوزة زي المطعم الموحد ومررتها فوق رأسها تحت نظر بوب المذهول، قبل أن ترميها على الأرض بحركة غاضبة)، أنت تدفع لي أقل بكثير مما أستحق بذريعة أنك تسمح لي بالغناء مساء الأربعاء، رغم أنه المساء الذي نستقبل فيه أكبر عدد من الزبائن، لكن تباً لأبويتك، يا بوب، أنا لست بحاجة إليك، ولا بحاجة إلى هذه الوظيفة.

وتركت تنورتها الحمراء تسقط عند قدميها قبل أن تختم:

- أنت مَن هو بحاجة إليّ، وستندم يوماً على أنك عاملتني بهذه الطريقة.

كانت تقف في موقف السيارات وذراعاها متشابكتان فوق صدرها، بغطرسة تامة، في سروال داخلي أرجواني مرتخٍ، من النوع الذي يباع في علب وول مارت بخمسة دولاراتٍ، وحمالة صدر من الدانتيل الأسود لا تتلاءم إطلاقاً مع السروال، وكان قد أضافت وشوماً جديدة إلى جسمها منذ آخر مرة رأيتها فيها.

ظل بوب، مثلي تماماً، عاجزاً عن الكلام لبضع ثوانٍ، ثم، ودون أن يتفوه بكلمة، انحنى لالتقاط الزي الرسمي واختفى خلف الباب المعدني، بكتفين منحنيتين أكثر من العادة.

وضعتُ سترتي على كتفَي سكارليت من جديد.

- أنت مجنونة، ستصابين بنزلة بردٍ.

- يجب أن تعودي إلى أمي وآشلي، سأعيد لك السترة غداً، أجابت بوجه متهجم.

- يجب أن تحضري أغراضك، لن تعودي إلى المنزل نصف عارية!

- لا، لن تطأ قدمي هذا المطعم الفاسد مرة أخرى.

- سأذهب وأحضر ملابسك، أخبريني أين توجد، قلت متنهدة.

ترددتْ، ولا شك أنها تساءلت عما إذا كان إرسال أختها الكبرى لإحضار أغراضها لن يقلل من بطولة تصرفها، إلا أن الجانب العملي للموقف لعب دوراً في إخماد غضبها. فتبعاً لتوجيهات سكارليت، استعدتُ ملابسها وحقيبتها من غرفة تغيير الملابس الخاصة بالموظفين واغتنمت الفرصة لأعلم أمي وآشلي أننا سنضطر إلى قطع عشائنا. كانت أمي تستشيط غضباً.

- تفضلي، لقد نجحت سكارليت في إفساد أمسيتنا، حتى وإن لم تكن مدعوة! كنت أرغب في تناول فطيرة التفاح!

- يمكن لكلتينا تناول التحلية إذا أردت وسأعيدك بعدها إلى المنزل، أنا لست في عجلة من أمري، اقترحت آشلي على أمي بلطف.

وافقتُ على ذلك، فوجدت نفسي بعد عشر دقائق وحدي في السيارة مع سكارليت، وقد أشعلت التدفئة على أعلى درجة.

- ألن تعود أمي إلى المنزل؟ سألت سكارليت.

- ستوصلها آشلي.

ثم حدث شيء غير مألوف تماماً: راحت سكارليت تبكي. تجمدت من رؤيتها منهارةً لأن سكارليت لا تنهار أبداً، وكرهت بوب لإذلاله أختي الصغيرة. حضنتها بين ذراعَي وهززتها بلطف إلى أن هدأت، كما كنت أفعل عندما كانت صغيرة.

لم أنسَ أبداً ما قالته لي بعد ذلك. كانت شفتاها زرقاوين من البرد، ومكياجها قد سال وفركت يديها على نحوٍ آليّ أمام منفذ التدفئة:

- هل يمكنك أن تَعديني بشيء يا أليس؟

- بالطبع...

- سأنجح يوماً، وحتى لو اضطررت أن أقاتل كل يوم من حياتي لمدة عشرين أو ثلاثين سنة، سيعتقد الناس أن ذلك حدث بين عشية وضحاها. سيقول الصحافيون إنه بفضل أغنية حققت نجاحاً أو ضربة حظ، وهذا يصيبني بالجنون. وجميع الذين يحتقرونني اليوم سيقولون: «لقد حالفها الحظ»، «لقد سارت الأمور على ما يرام معها»، هذا النوع من الترهات التي يستأنس بها الأشخاص الذين لا يفعلون شيئاً في حياتهم. لكنني أريدك أن تتذكري أنت أن كل ما كان لديّ هو موهبتي وعزيمتي، وأن يعرف شخصٌ واحد في العالم على

الأقل ما قمت به للوصول إلى هنا. كل هذه السنوات التي عملت فيها ليلاً نهاراً، والمخاطرات التي قمت بها، ودراستي وصحتي اللتين ضحيت بهما، وكل هذه السنوات التي انتقلت فيها من فشلٍ إلى فشلٍ، والتي تحملت فيها نظرات أشخاص، مثل أشلي أو أمي، اعتبروني مجرد فاشلة وحمقاء. عديني بأنك ستعرفين؟

في تلك اللحظة، بذلت كل جهدي في محاولة إقناعها بأن آشلي لم تحكم عليها وأن أمي لم تعتقد أبداً أنها فاشلةً. ومع ذلك، وإلى يومنا هذا، أتذكر كلماتها بوضوح، وثبات نظرتها وهي تنطق بها، كما لو أني في مكان ما في أعماقي، أدركت أن هذا الخطاب مهمٌّ. والشيء المضحك، يا بروس، هو أن هذا بالضبط ما يحدث لها الآن.

استيقظتُ مفزوعة. استغرق مني الأمر بضع ثوانٍ لأدرك مكاني. لمحت فوق رأسي الأغصان المعقودة لشجرة البلوط من خلال القماش الشفاف المرصع بالقطرات. كان النهار قد طلع. لقد غفوت قبل التاسعة مساءً بقليل والساعة الآن... نظرة سريعة على هاتفي: إنها 8:12 صباحاً! لم يتبقَّ على الإفطار سوى ثماني عشرة دقيقةً.

نهضت على عجلة من أمري، وبذلت ما في وسعي لفتح سحاب الخيمة الذي علق في القماش، قبل أن أهرع إلى الحمام. ارتديت بسرعة سروال جينز وكنزة سوداء من الصوف ذات ياقة عالية وحذاء كونفيرس، لا داعي لأن أرتدي بدلتي السوداء في هذه البيئة الصعبة. ربطت شعري على شكل ذيل حصان وكدت أقتل نفسي وأنا أنزل من شجرتي مسرعةً. في وضح النهار، كان المحيط أقل رعباً بكثير، لكنني لم أركز على المناظر الطبيعية. اقتحمت لاهثةً قاعة الإفطار حيث كانت مجموعة تتحدث بهدوء حول طاولة. لم أرَ أحداً من إيفردريم.

مرت أمامي امرأة بفستانٍ طويلٍ وغطاء رأس من العصور الوسطى حاملة صينية، وتاركةً وراءها رائحة القهوة والمخبوزات الساخنة. حملت الشارة البلاستيكية على صدرها اسم «غونيفر».

- لم يأت زملاؤك بعد، قالت بابتسامة ترحيب، لكن طاولتكم هناك في الخلف.

جلست بحرص على كرسي خشبي منحوتٍ، إلى الطاولة التي أشارت إليها بالقرب من مدفأةٍ حجريةٍ ضخمةٍ تصاعدت منها طقطقة نارٍ قويةٍ. ألقيت نظرة على هاتفي. كانت الساعة 8:37. لقد كنت متأخرة بسبع دقائق، وهو أكثر من كل تأخيراتي المتراكمة على مدى السنوات الأربع الماضية. ومع ذلك، كنت أنا الأولى، ولم ينهَر العالم. فليست بالضرورة لرفرفة جناحَي فراشة عواقب. ليست هذه المرة على أية حال.

جلس كريس قبالتي، وبدا متعباً فتساءلت عما إذا كانت الحمية الرقمية تناسبه.

- مرحباً يا أليس، هل نمت جيداً؟

- جداً، أجبت تلقائياً؛ لقد نمت اثنتي عشرة ساعة متتالية.

وفور نطقي بهذه الجملة، أدركت معناها. لقد نمت كطفل رضيع. اثنتا عشرة ساعة متتالية. من دون حبوب منومة، ولا استيقاظ مفاجئ، ولا أرق. لم يحدث لي ذلك منذ خمس سنوات. ارتسمت على شفتَي ابتسامة لاإرادية.

- مرحباً يا أليس، كيف حالك؟ قال جيرمي وهو يسحب كرسياً. تبدين... مسترخيةً هذا الصباح.

بدا متفاجئاً، ولم أدرِ ما إذا كان قد أشار إلى ابتسامتي أو إلى وجهي المستريح أو إلى سروال الجينز والكونفيرس، فاتخذت تعابير حيادية، وانفجر كريس ضاحكاً.

- إنه الاتصال بالطبيعة.

- لقد نمت ثلاثين ثانية، قالت فيكتوار ملقيةً بنفسها على

الكرسي، وحلمت خلالها أن المشاة البيض في **صراع العروش** يقطعونني. نتيجةً لذلك، أبدو وكأن على رأسي أخطبوطاً ميتاً.

لم تكن العلاقة السببية بين **صراع العروش** والأخطبوط واضحةً، لكن أحاطت بالفعل الهالات عينيها، وكانت ترتدي بدلة رياضية، وضفائرها التي عادة ما تكون مصففة بشكل جميل فوق رأسها تدلت ببؤسٍ على جانبَي وجهها.

- وأنا ثماني عشرة ثانية، قال رضا الذي ظهر في نفس الوقت. كانت هناك أصوات مرعبة للحيوانات. كان الأمر مخيفاً.

- رعب حقيقي، أكدت فيكتوار.

- البوم؟ اقترح جيرمي بنصف ابتسامةٍ.

قاطعت غونييفر هذا النقاش البناء بوضعها إبريق قهوة وإبريق شاي وسلة من الكرواسون الساخن، فاحت منه رائحة شهية كفيلة بأن تهدئ النفوس.

- هل يرغب أحدكم في فطائر الكريب؟ سألت، نحن نحضرها عند الطلب.

- بالطبع نرغب في الكريب! هتف كريس بحماسته المألوفة.

- وأنت يا كريس، هل نمت جيداً؟

- على نحوٍ مثالي، فمن الرائع أن تقطع كل وسائل الاتصال، لا مواقع تواصل اجتماعي، ولا بريد إلكترونياً، ولا إنترنت. . .

لم تكن نبرة صوته مقنعة. حبستُ ابتسامة. كانت وجبة الإفطار ممتازة، وقد تناولت بسرورٍ واضح كمّاً من فطائر الكريب مع المربى أكبر بثلاث مرات مما يفترض أن تحتويه معدتي. وأنا أرفع رأسي، لاحظت أن جيرمي يراقبني، مستمتعاً بالمشهد.

- هل هي ألذ من فطائر البان كيك الأمريكية؟ سألني.

عادت إلى ذهني ذكرى فطائر البان كيك التي أحضرها والدي أحياناً صباح أيام الأحد. أزيز الزبدة المنزلقة في المقلاة، والرائحة الساخنة والحلوة للعجين الذي سكبه بالمغرفة مشكلاً قلوباً مشوهة ليضحكنا رغم نفاد صبرنا. كانت خفيفةً مثل السحابة، ذهبيةً مثل الشمس، ومنقوعةً في شراب القيقب الذي التصق بذقوننا المبهجة. لن يعود طعم الطفولة أبداً. لا شيء في الحياة سيكون ألذ من ذلك.

- إنها مختلفة، قلت حزينةً بعض الشيء وأنا أشيح بنظري.

كما كان متوقعاً، توجهنا في الساعة العاشرة نحو قاعة اجتماعاتٍ أقيمت في مستودع دروع وأسلحة قديم. تم تعليق شاشة حديثة بين بذلتَي دروع لامعتين، إحداهما تلوح بسيف والأخرى بهراوةٍ مرصعةٍ بالمسامير. وكان جهازٌ لعرض الصور معلقاً بجانب جهاز تعذيب صدئ ومعقدٍ تحته لافتة كُتب عليها «ساحقة رؤوس - القرن الحادي عشر».

- ما رأيك؟ هل هي ترمز إلى عالم الأعمال أو أن كريس يحاول أن يرسل لنا رسالة؟ همس لي رضا وأنا أحدق في الآلة، متسائلةً كيف تعمل.

- إنها فكرةٌ رائعةٌ حقاً، هذا النزل البيئي من العصور الوسطى الذي ينظم ندوات الشركات، قال كريس بإعجاب.

وإذا كان المحيط غير نمطي، فكانت المعدات مألوفة، إذ كان في وسط الطاولة إبريق قهوة وقنينات ماء وأكوابٌ بلاستيكيةٌ، وكان أمام كل كرسي دفتر ملاحظات وقلم رصاص، كما كان هناك لوح ورقي في زاوية القاعة. كان كل شيء مدروساً.

قضى كريس الدقائق الخمس التالية في محاولة عرض عرضه التقديمي من حاسوبه.

- اجلسوا، قال بنبرة رسمية مع أننا كنا قد جلسنا منذ خمس دقائق. لقد جمعتكم اليوم ليتسنى لنا مناقشة مستقبل إيفردريم. أولاً، يسعدني ويشرفني أن أعلن لكم رسمياً أن التطبيق أصبح جاهزاً: فمن الآن فصاعداً، يمكن لمّ شمل الجوارب اليتيمة! سيوفِّر العالم ملايين اليوروهات من هدر الأنسجة بفضلنا!

صفق الجميع لهذا الخبر السار.

- واعتباراً من يوم الاثنين، سيكون متاحاً للتنزيل. ويتعين علينا الآن أن نعطي كل ما لدينا لتسويقه. فهذا الأسبوع، ستكون هناك أوراش عملٍ في الصباح لتحديد خطة تسويقٍ، وأنشطة بناء الفريق في فترة ما بعد الظهر.

- متى ستكون لدينا شبكة واي فاي؟ سألت فيكتوار.

- نفس السؤال، أضاف رضا.

- لقد بدأتُ أفكر في إعلان، قاطع كريس، وأريد منكم أن تُبدوا رأيكم فيه. فأدعوكم أن تغمضوا أعينكم وسنحاول معاً أن نضع أنفسنا مكان جوربٍ يتيمٍ.

ألقيت نظرة على الآخرين لمعرفة ما إذا كانوا يعتزمون حقاً وضع أنفسهم مكان جوربٍ. بدا رضا وفيكتوار غير مباليين؛ أما جيرمي، فكان شابكاً ذراعيه على صدره، والغريب أنه بدا حزيناً بعض الشيء.

- أغمضوا أعينكم. أصرّ كريس، وتخيلوا الآن ظهور جوربين على الشاشة، ثم يبدأ تعليق صوتي: طوال حياتكما، منذ ولادتكما في سلسلة إنتاجٍ حتى اليوم، كنتما اثنين. أنت وتوأم روحك.

- جوربك الشقيق، صححت فيكتوار، مستعدة دائماً للمساعدة.

- نعم! جيدٌ جدّاً! «جوربك الشقيق»، أُحِب هذه الفكرة، صاح كريس وهو يكتب «جوربك الشقيق» بحروفٍ كبيرةٍ على اللوح الورقي. أواصل. إذاً، عشتَ كل حياتك إلى جانب أخيك الجورب، وخضتما معاً تجارب الغسالات، ومجففات الملابس، ومنافسة الشباشب غير المشروعة، تمضية فصول الصيف في الخزائن. . .

- الأحذية الرياضية النتنة؟ اقترح رضا.

- لِمَ لا. . . (كتب كريس «أحذية رياضية نتنة» على اللوح الورقي). كنتما تشبهان أحدكما الآخر، أو على نحوٍ أكثر دقةٍ، كنتما متكاملَين تماماً، ابتعدتما أحدكما عن الآخر أحياناً بطبيعة الحال في دورات الغسالات، وتخاصمتما أحياناً أخرى، ومررتما بفترات انفصال. . . إلا أن هذا لم يدُم أبداً، فتصالحتما دائماً، لأنه ليس للجورب سوى أخ جورب واحد، وبفضل أخيك الجورب، لم تذق طعم الوحدة أبداً.

فتحت عينَي. لماذا يداي متجمدتان؟ لماذا يرتجف ظهري؟ لاحظت أنه لم يعد أحد يضحك. كان الجميع مركزين وأعينهم مغلقة. حتى جيرمي.

- وذات صباحٍ، دون سابق إنذارٍ، واصل كريس بلطف، تستيقظ وقد اختفى جوربك الشقيق. لم تتلقَّ أي تحذيرٍ، لم تستعدّ لهذه اللحظة ولم تودعه، لأن أحداً لم يخبرك أن هذه كانت المرة الأخيرة التي تراه فيها، وقد تكونان قد افترقتما غاضبَين، وقلت في نفسك بحماقةٍ، «سأعتذر له غداً».

- هل ما زال يتحدث عن الجوارب؟ سألني رضا بصوت منخفضٍ. أعتقد أنه انحرف عن الموضوع قليلاً. . .

أشرت له أنني لا أعرف. شعرت بضيق في حلقي. طوقت يدي معصمي، قابضةً على سوار القصدير على بشرتي الباردة.

ضرب كريس بقبضته على الطاولة ورفع صوته:

- لم يخبرك أحد أنه يمكن للجوارب الشقيقة أن تنفصل! أو كنت تعتقد، بسذاجةٍ، أن هذا النوع من القصص يحدث فقط للجوارب الأخرى. وبين عشيةٍ وضحاها، تصبح يتيماً. لا تعود تصلح لشيءٍ أو لأحد، فيتم التخلي عنك في قاع مجففة الملابس، وحدك.

عمّ الصمت في القاعة، وفتح الجميع أعينهم وحدقوا في كريس، في حالة صدمةٍ.

- ماذا ستفعلون إذاً؟ سأل كريس الذي استرجع فجأةً ابتسامته المتحمسة. ستحمّلون تطبيق إيفردريم، وفي حال لم تعثروا على أخيكم الجورب، ستعثرون على جورب مكمّل، ربما يكون أقل تكاملاً من أخيك الجورب الحقيقي، الفريد من نوعه، ولكنه جوربٌ يجنّبك على الأقل رمي جوربك اليتيم ويخولك بالتالي، على نطاقك الخاص، محاربة الهدر الهائل الذي تمثّله الجوارب اليتيمة، وهنا يظهر شعارنا مع رسالتنا: «إيفردريم تجمع الجوارب اليتيمة!».

انتظر تعليقاتنا، واقفاً أمام اللوح الورقي والقلم في يده. حدقنا بعضنا في بعض، صامتين.

- إذاً؟ ما رأيكم؟

- لن أعلّق، فالتسويق ليس من تخصصي، اكتفى جيرمي بالقول.

- أهو تصوُّر فحسب؟ سأل رضا. أنا لم أتمكن من الانغماس في حياة الجورب، ولم أفهم شيئاً في الحقيقة.

كتب كريس «تصوُّر؟» على اللوح الورقي.

- بصراحة، قالت فيكتوار، رغم أنها دائماً ما تكون صريحة، اعتقدتُ في البداية أنك تحت تأثير مادة ما، ولكن حتى لو كان هذا سخيفاً نوعاً ما، إلا أن هناك جانباً... لطيفاً.

- أليس؟

اتجهت كل الأنظار عليّ. أمسكت يدي المرتجفة بالسلسلة على معصمي. حدقت في كريس وفي ابتسامته الودودة، وشعرت بثقلٍ يسقط على صدري ويسحقه.

- يجب أن أخرج.

تكلمتُ بصوت منخفضٍ جداً لدرجة أنني لم أكن متأكدة من أنهم سمعوني. وقفت وخرجت مسرعةً.

يوميات أليس

مكتبة
t.me/soramnqraa

لندن، 26 مارس 2012

بروس،

آسفة، لقد مرت فترة منذ ابتعدت عنك. لقد ابتعدت عن الجميع في الحقيقة، فحتى عندما تتصل بي أمي أو سكارليت، فأنا لا أجيب، بل أكتفي بإرسال رسالة نصية مفادها أن ليس لدي الوقت. لا يمكن أن تتخيّل كم أنا متعبة. في المساء، أذهب إلى الفراش وأنام مثل الموتى. لكن لم أستطع النوم هذه الليلة، فأنا بحاجة إلى أن أكتب إليك.

نحن نوشك على نهاية عملية التلقيح الاصطناعي. سأخبرك بإيجاز عن الأسبوعين الماضيين اللذين شعرت بهما وكأنهما خمسة قرون ونصف.

سأوفِّر عليك التفاصيل: الحقن المتكررة تحت السرة لكي ينتقل مصنع الخلية البيضية الخاص بي إلى وضعية الإنتاج الزائد. أنا لم أعد أتحمل دولوريس، إنه ليس خطأها، لكن في كل مرة أراها، أشعر بالقلق. لدي كدمات أسفل بطني، وبقع أرجوانية كما لو كنت قد تعرضت للضرب لمعاقبة رحمي لعدم قدرته على العمل وحده.

لقد انتفخت مثل البالون، واختفى كاحلاي، واضطررت إلى إزالة كل خواتمي جراء تورم أصابعي. «الهرمونات»، رددت دولوريس. لقد قمت باختبارات الدم وبعدد مخيف من فحوصات الموجات فوق الصوتية، أي الروتين المألوف، بحيث أضحت أعضائي التناسلية مزدحمة أكثر من طريق سريع في ساعة الذروة، وأصبح مفصل مرفقي يشبه مفصل مدمنة هيروين في نهاية حياتها. وقد اعتدت على المباعدة بين فخذَي لدرجة أنني خلعت سروالي الداخلي لفحص الدم يوم الاثنين. «ردة فعل تلقائية»، قلت للممرضة وأنا مشوشة الذهن.

- حاولي ألا تفعلي ذلك في مترو الأنفاق، قالت دولوريس بنبرة مدرسة الدين.

كان من المفترض أن أضحك، إلا أنني انفجرت باكية. ففي الوقت الحالي، وبصراحة، يمكن لأي شيء أن يبكيني.

- «الهرمونات»، رددت دولوريس.

تم وضعي هذا الصباح تحت التخدير الموضعي لأخذ بويضاتي. «مثلما نقطف التفاح الناضج»، قالت دولوريس، إلا أننا لا نقطف التفاح عن طريق إدخال إبرة طولها كيلومتر في المهبل. لاحِظ يا بروس، أنني لا أتجاوب على نحوٍ جيد مؤخراً مع روح الدعابة لدى دولوريس. الهرمونات على الأرجح. لكن هناك وقت للتحدث، ووقت للمباعدة بين فخذيك والانتظار. لقد مرت ستة أشهر منذ وطئت قدماي صالون تجميل، وأنا مندهشة من أن دولوريس لم تخبر نكتة غبية في هذا الموضوع.

قاموا يوم الثلاثاء بتجميد حيوانات أوليفر المنوية (ستلاحظ، يا بروس، أن العملية أبسط قليلاً بالنسبة إليه مقارنةً بي). كانت دولوريس قد أمرتنا بعدم الجماع خلال الأيام الأربعة التي سبقت

العملية، وكان هذا أمراً مرحباً به، فنظراً لحالتي، كانت رغبتي في إقامة علاقة حميمية توازي رغبتي في غرز منظار في عيني.

كان ذلك بالأمس، ومنذ ذلك الحين، اتصلت بي دولوريس ثلاث مرات. بالأمس عند الساعة 10 : 4 عصراً، لتخبرني أن لدي ثمانية أجنةٍ قابلةٍ للحياة، ثم هذا الصباح عند الساعة 00 : 9 لتخبرني أننا انتقلنا إلى خمسة أجنة، وعند الساعة 00 : 8 مساءً لتخبرني أن ثلاثة فقط قد نجوا.

- ثلاثة أجنة، هذا ليس بكثيرٍ، أضافت مع خيبة أمل.

اعتذرت عن رداءتي في إنتاج الأجنة، وأغلقت الخط وبكيت ما يكفي لملء صهريجٍ كامل.

ولكن هناك عنصر مهم يجب أن أذكره هنا، لأتذكره في الأوقات الصعبة: لقد كان أوليفر مثالياً طوال الوقت. أمسك بيدي في صمتٍ، وحملني بين ذراعيه حوالي ألف وثلاثمائة مرة خلال الثماني وأربعين ساعة الماضية، ولم يحاول أبداً إلقاء نظرةٍ ولو خاطفة بين فخذَي، فظل واقفاً عند رأسي طوال الوقت، كما لو كان كل هذا طبيعياً تماماً. وقال لي ثمانية آلاف وخمسمائة مرة أنه يحبني وخزّن المناديل في جميع جيوبه لدرء دموعي. وابتسم لنكاتي غير اللائقة، ولم يبتسم أبداً لنكات دولوريس. وعندما عدنا من المستشفى، أخرج زجاجة شمبانيا من الثلاجة وقدم لي كأساً مع سيجارة مارلبورو لايت وولاعة.

- بعد يومين، لن يُسمَح لك بذلك، قال بثقة.

شربت رشفةً واحدة ودخنت نفخةً واحدة. كنت خائفةً جدّاً من إفساد كل شيء. أمضينا المساء متعانقَين على الأريكة، ومغرمَين كما في اليوم الأول.

سألت جهان ديغلمون دو مونتالمبرغ الملقّب بالفارس الشجاع (الذي يُدعى في الحقيقة توماس كما كشفت لي زوجته غونييفر التي تدعى في الحقيقة جاكلين) عما إذا كان البحر بعيداً. أشار إلى طريق، إذا سلكته في الغابة لمسافة كيلومترَين، سيوصلني إلى هناك. كانت السماء ملبدةً بالغيوم، لكن لم يخطر ببالي إحضار مظلة، ومشيت إلى البحر. بالنظر إلى الوراء، كنت سأجده حتى من دون أي إرشادات، من رائحة الملح وغناء طيور النورس الذي تحمله الرياح ولحن الأمواج الذي يتردد صداه إلى قلب الشجيرات.

في نهاية الطريق، شعرت وكأنني خرجت من نفقٍ. امتد المحيط الأطلسي أمامي، مضطرباً بتياراتٍ عميقةٍ، كما لو كان يخبئ تحت موجاته الداكنة حيواناً غاضباً منتفضاً. شعرت بنفس الصدمة التي شعرت بها في الحافلة الصغيرة، لكن بشدةٍ أكبر.

أخرجت تلقائياً هاتفي من جيبي للتحقق من الوقت. لقد فوّتُّ حصة العصف الذهني، فينبغي بي أن أعود لتناول وجبة الغداء على الأقل. لم يستجب الجهاز. لقد نفدت البطارية. لم تكن لديّ ساعة، فلم أعد أعرف كم الساعة. وعلى نحوٍ غريب، أُزيل وزن ضخم عن صدري واندفع الهواء إلى رئتَي فجأة. تنفست، كما لو

أنها المرة الأولى منذ زمن طويل. فككتُ تسريحة ذيل الحصان وتركت الرياح المفعمة باليود تشابك شعري. تقدمت في حفيف العشب الطويل الذي يرقص على الجرف. لم يكن هناك شاطئ، بل مجرد صخور حادة وسوداء مثل الفحم غطاها البحر بكفنٍ من الرغوة قبل أن ينسحب بجلالة الأقوياء البطيئة. وكما لو كنت منومةً مغناطيسياً، ثبتُّ قدمَي في التيارات الجامحة التي حولت الماء من زرقاء إلى بيضاء بين الصخور المبللة.

ثم جلست أمام المحيط، مثلما فعلت عندما كنت صغيرةً، دون حتى أن أشعر بخدوش العشب الجاف على كاحلَي، ولأول مرة، تركت الذكريات تتدفق، وتندفع نحو الشق الذي فتحه كريس بذاك الخطاب الذي كان له صدى فيّ كما لو أنه حقيقتي. كما لو أنه كان عني، عن قصتي الخاصة وليس إعلاناً غبياً لتطبيقٍ سخيفٍ. مهما قاومت، ومهما كنت قوية، فيعود الواقع باستمرار، ويستنزفني يوماً بعد يوم، نوبة بعد نوبة، كما تستنزف الأمواجُ الصخورَ الصلبة تحت دوامات الرغوة. ولديّ شعور بأنه يوماً ما، قريباً، لن يتبقى مني، مِمَّا أنا حقاً، أي شيء.

أنا أحب البحر فوق كل شيء، فالبحر مثل الحياة، لا يهتم بالعوالق، ولا الطحالب، ولا الحصى، ولا بملايين الحيوانات التي يستنزفها ويقذفها حسب مجرى التيار في عشوائية موجاته. إنه يغمرها ويهزها وينقلها، ويطعمها يوماً ويغرقها في اليوم التالي. البحر لا يهتم، إنه يعطي ويستعيد، يضرب على نحوٍ عشوائيٍّ، بلامبالاةٍ فائقةٍ، فهدفه أكبر من أن يهتم بالقواقع المكسورة التي تكسو مقبرة مياهه العميقة.

لم أعد أعرف كم الساعة، وقد نمتُ من دون حبوب منومة،

وفوتُّ اجتماعاً، والغريب في الأمر أنه لم تلوح نوبة قلق في الأفق، ولا حتى عصبيّة طفيفة، في الوقت الحالي على الأقل. لم يكن هناك سوى البحر على مد النظر ورائحة الحرية التي حملها النسيم المالح. الشساعة الزرقاء لإمكانياتي. ولأول مرة منذ سنوات، أشعرت بأني أكاد أكون بخير.

يجب أن أعود. ألقيت نظرة أخيرة على المحيط، وربطت شعري وأغلقت سترتي وأنا أرتجف. شققت طريقي إلى بلوديريك، مصابةً بدوارٍ لا يمكن تفسيره.

يوميات أليس

لندن، 28 مارس 2012

لقد اتصلت بي سكارليت عدة مراتٍ خلال الأسبوعين الماضيين. كان يجب أن أعيد الاتصال بها، لكنني كنت منشغلة بقصص بويضاتي وأجنّتي لدرجة أنه لم تكن لديّ رغبة في التحدث مع أحد سوى أوليفر.

مرة أخيرة، قمت بالمباعدة بين فخذَي.

ومرة أخيرة، سمحت أن يدخلوا فيّ قسطرة.

حتى أنها لم تؤلمني.

لقد سحبوا القسطرة وتركوا طفلي دافئاً في بطني.

لقد نُسِيَ كل شيء. لم يعد شيء يهم.

أنا حامل، يا بروس.

لم يسألني أحد أي سؤال، ولا حتى فيكتوار. عند وصولي، كانت وجبة الغداء قد قُدِّمت بالفعل. بقيت أكثر من ساعتين على الشاطئ. أكثر من ساعتين، دون أن أعي الوقت المنقضي، الوقت الضائع.

- دجاجاً مشوياً أم سمك القاروس؟ سألني توماس الملقّب بجهان. أوصي بالقاروس، إنه طازجٌ ومطبوخٌ في قشرة الملح، إنه لذيذٌ حقاً.

حدقت في أطباق زملائي، لقد اختاروا السمك جميعاً.

- دجاجاً، من فضلك.

ابتعد واستُأنِفت المحادثات، كما لو كان من الطبيعي جداً أن أهرب في منتصف اجتماع وأن أعود بعد ثلاث ساعات، بشعر أشعث كما لو كنت قد وضعت إصبعي في مقبس كهربائي. كبحت رغبة في أخذهم كلهم بين ذراعَي وضمّهم إلى صدري. شعرت بنفسي محمومة، شعرت برغبة مرتبِكة في أن أتحرر من قالبي، وأن أركض، وأنطلق، وأنسى أسلاكي الشائكة، وأتغير، وأقوم بشيء غير عادي، ولكن ماذا؟

كتحلية، حصلنا على حلوى كوين أمان[1] محلية الصنع. تركتها تذوب على لساني وأنا أفكر دون أدنى شعور بالذنب أن أنجيلا كانت لتقتلني لو عرفت كل ما أكلته منذ استقررت في فرنسا.

- غير معقول، هناك زبدة في هذا الشيء أكثر من الزبدة نفسها، لاحظ رضا وهو يعيد ملء صحنه.

نهضت والتفت إلى زملائي.

- أيرغب أحدكم في القهوة؟ سأحضر لنفسي فنجاناً.

- نعم، أنا، رد رضا وكريس وفيكتوار بصوتٍ واحد.

- سأساعدك، اقترح جيرمي الذي لم يتفوه بكلمة منذ عدت من الشاطئ.

توجهنا إلى الطاولة الخشبية حيث يمكن الحصول على القهوة والشاي.

- هل أنت بخير يا أليس؟ سأل جيرمي.

لأول مرة، شعرت بأنه ليس سؤالاً بلاغياً، وأنه يمكنني الإجابة بـ «لا»، بل إنه يتوقع مني حتى الإجابة بـ «لا»، وهذا ما جعله يطرح عليّ السؤال في المقام الأول. حدق بي، بنظرة صافية بقدر ما هي حادة، وشعرت وكأنه اخترق روحي.

- أنا بخير، قلت، خطاب كريس. . . أزعجني.

وضع بصمتٍ على البوفيه خمسة أكواب من الورق المقوى وأمسك بإبريق القهوة، بينما جمعت السكر وملاعق البلاستيك في فنجان صغير.

---

(1) Kouign-amann هي كعكة من منطقة برطانية الفرنسية، وهي من أكثر المعجنات دسامة في أوروبا - المترجمة.

- لعلمكِ، كريس...

توقف عن الكلام ليصب القهوة في الأكواب، كما لو أنه تردد، فشعرت بالفضول.

- ما له كريس؟

- لقد فَقَدَ كريس صديقته في سن العشرين. في حادث سكوتر... وخطابه عن الانفصال، وقصصه عن الجوارب اليتيمة، كل هذا كان هذياناً بينه وبينها. أعلم أن الأمر قد يبدو سخيفاً، لكن هذه الشركة هي طريقته في... إصلاح نفسه.

- حسناً... ولماذا تخبرني بذلك؟

أنهى ملء الكوب الأخير ورفع رأسه نحوي.

- نظراً لشدة رد فعلك، أردتك أن تفهمي لماذا تكلم على هذا النحو.

شدة رد فعلي. تبادلنا نظرة طويلة بما يكفي ليظهر على وجهه تعبير يشبه الريبة.

- إذا كنتِ بحاجةٍ إلى أن تتحدثي إلى أحد...، استأنف قائلاً.

- أنا أفهم على نحوٍ أفضل الآنَ، شكراً لك، لكنني بخير.

شعرت للحظة وجيزة بأنه تردد في إضافة شيءٍ ما، ثم أمسك بالصينية التي صف عليها الأكواب.

- جيرمي؟ ناديت دون تفكيرٍ.

توقف واستدار، متفاجئاً. ثبّتُّ نظري في نظره.

- ألا يزال عرضك في حفل الديوالي قائماً؟

- عرضي؟

ربما شرب في ذلك الحفل أكثر حتى مما ظننت، إذ بدا واضحاً أنه لم يفهم ما كنت أشير إليه. شعرت بالغباوة فجأة، ففقدت شجاعتي وقلت بجبن وأكياس السكر في يدي:

- لا، لا شيء، انسَ الأمر.

يوميات أليس

لندن، 31 مارس 2012

لقد مضت ثلاثة أيام وأنا أعيش معك.

لم أعُد أجرؤ على السعال، ولا حتى الذهاب إلى دورة المياه، خشية أن تسقط في المرحاض. أَنظر إلى سروالي الداخلي بالمجهر كلما خلعته، وأعيش في رعب من رؤية أثر دم عليه. أشرب كميات هائلة من عصير الأناناس، إذ سمعت أنه يساعد في تعشيش الجنين، وأقوم بفحوصات الدم كل يوم لمجرد التأكد من أنك بخير. في المختبر، يعتقدون أنني مجنونةٌ.

لقد كررت لي دولوريس الواقعية أن معدل نجاح الإخصاب الأنبوبي هو خمسة وعشرون في المائة. لكن لا تقلقي، أضافت، لقد بقي جنينان آخران قابلان للحياة تم تجميدهما في النيتروجين السائل بحرارة مائة وست وتسعين درجة تحت الصفر. أوصاني أوليفر ألا أضطرب، وأن أعيش حياتي كما في السابق.

كما في السابق.

هم لا يفهمون.

أنت هنا الآن، فلن يكون أي شيء كما كان في السابق أبداً.

لقد تغير العالم كله. حجمك أقل من ملليمتر واحد، ومع ذلك أضع يدي على بطني وأحس بوجودك القوي والمضيء، لدرجة أنني أشعر وكأنني ابتلعت الشمس.

لقد أعطيتك لقباً سرياً أهمس به بانتظام عندما لا يكون أوليفر في الجوار. إنه أمر بيني وبينك فقط، لن يعلم به أحدٌ. أصبحت أنام عشر ساعات في الليلة، وآكل أكلاً صحيّاً، وأبتسم للجميع، حتى أنني أرسلت الزهور لدولوريس، وآخذك إلى غرين بارك لتستنشق هواءً نقياً، وأُسمِعك أغاني بيونسيه، وأطلب منك أن تكون قوياً وأن تنمو وتتشبث بداخلي. لقد اشتريت زوجاً صغيراً من الجوارب الأحد الماضي في سوق كامدن تاون، إذ من المفترض أن تولد في ديسمبر، وقد تشعر بالبرد، من يدري؟

تَمَثَّل نشاط بناء الفريق في فترة ما بعد الظهيرة بحصة تسلق أشجار أدارها جهان ديغلمون دو مونتالمبرغ الملقّب بالفارس الشجاع. وقد قضت فيكتوار وقتها رافعة هاتفها نحو السماء، مثل نسخة رقمية من تمثال الحرية، محاولةً التقاط الشبكة دون جدوى، وركزتْ على سعيها وراء الإنترنت لدرجة أنها نسيت أن تربط حلقات حبل الأمان بحزامها، فصرخ جهان، الذي لم يكن بالشجاعة التي أوحى بها لقبه، حين أوشكت على إلقاء نفسها في الفراغ، واستطاع كريس، لحسن الحظ وبردِّ فعلٍ سريع، أن يوقفها. أما رضا الذي كان يخاف المرتفعات، فصرخ من أعلى الحبل الناقل أنه لن ينطلق بحجة أنه يعاني من عسر القراءة، وهدّد أن يشكو الإدارة لمحكمة العمل بتهمة محاولة القتل، بينما اصطدم رأس كريس بغصن شجرة منذ المرحلة الأولى فانتهى به الأمر مع نتوء بارز على جبهته. أما جيرمي، فاختفى بحجة وضع لمسة أخيرة على التطبيق كي يكون جاهزاً يوم الاثنين.

عدنا أدراجنا مُنهكين والألم ينخر في عضلاتنا، ويغطينا الوحل، بينما سرد جهان تاريخ الغابة الذي بدا وكأنه يعرف شخصيّاً كل شجرة فيها. كان متحمساً لدرجة أنه جعلنا نلتف لمسافة

كيلومترين لرؤية شجرة زان يفترض بها، مثل بلوط بلوديريك، أن تكون قد عرفت الملك آرثر. توقف تحتها وبدأ يلخص لنا جميع الأساطير المحلية، فانفجرت فيكتوار قائلة:

- وبمَ يهمنا كل هذا! إنها مجرد شجرةٍ، إنها لا تتحرك. لا يهم!

حدق بها جهان بذهول.

- لماذا نهتم؟ تلعثم غاضباً. فلتعلمي يا آنسة، أن النباتات كانت موجودة قبل الإنسان بزمن طويل، وإذا أولينا لها القليل من الاهتمام، فإنها ستبقى موجودة لزمن طويل! هل تعلمين أن ثمانين في المائة من أدويتنا تأتي من النباتات؟ أن الأشجار هي أفضل مواردنا لمكافحة الاحتباس الحراري؟ فعلى عكسنا، يمكن للأشجار أن تكون خالدةً، وأن تكون قادرةً على وقف نموها في الشتاء لإعادة تنشيط جيناتها فلا تصاب بالشيخوخة؟ اعلمي أن شجرة البهشية في تسمانيا تبلغ من العمر 43000 عام وقد شهدت على رجل النياندرتال! هذا ما علينا الاهتمام به! وشبكة الواي فاي لن تعلّمك كل هذا بطبيعة الحال!

- من الناحية العملية، بلى، غمغمت فيكتوار، لكني أعترف أنها معلومات أكثر أهمية مما اعتقدت.

اقتربتْ من شجرة الزان مقطبة حاجبيها وفحصت جذعها بريبة، بينما واصل جهان الغاضب طريقه إلى بلوديريك مهرولاً.

نظراً لأن الجولة في غابة بلوديريك أخّرتنا عن جدولنا الزمني، تقلص وقت الاستراحة بين نشاط بناء الفريق والعشاء إلى سبع عشرة دقيقة فقط، فأخذت حماماً سريعاً قبل أن ألتحق بقاعة الحراس.

كانت جميع الطاولات ممتلئة، كما ضخّمت القبةُ الحجرية

ضجيجَ المحادثات. بدت المجموعات الأخرى في ندوة عمل مثلنا، ما دلّ على أن مفهوم النزل البيئي للعصور الوسطى لجهان وغونفيير لم يكن سخيفاً إلى هذا الحد. كانت النار مشتعلة في المدفأة الحجرية العالية وكانت طاولتنا لا تزال فارغة. كان الصحن اليومي هو الراكليت[1]، وهو طبق لم أذقه من قبل. كانت هناك أطباق من الجبن واللحوم الباردة موزعة على الطاولة، وكانت آلة التسخين موضوعة وسط الأطباق وزجاجات النبيذ.

لعبت بمقلاتي الصغيرة ونظري شارد في ألسنة اللهب التي تراقصت في المدفأة، إلى أن وصل زملائي.

امتلأت الكؤوس، وحتى رضا سمح لنفسه بالقليل من النبيذ.

- لن تشربي ولو قليلاً منه يا أليس؟ سأل كريس.

هززت رأسي مبتسمةً وسكبت في صحني شريحة أخرى من اللحم.

- لم أكن أعلم أن الراكليت كانت موجودة في العصور الوسطى، همس رضا في أذن فيكتوار.

- بل إنه أمر معروفٌ، إنه اختصاص بريتوني، أجابت وهي تنفجر ضاحكة.

- هذه أول مرة آكلها، قلت.

- أنت تتكلمين الفرنسية جيداً لدرجة أنني أنسى أحياناً أنك أمريكية. هل أعجبتك؟

---

(1) Raclette هي أكلة سويسرية مشهورة وهي عبارة عن جبنة مذوّبة تؤكل مع الخبز المحمص أو الدجاج أو البطاطا أو شرائح البصل أو اللحم... - المترجمة.

أومأت برأسي بفم ممتلئ. وبينما كان الجبن يذوب في المقالي، راحت فرقة تروبادور[1] تقدم عرضاً، إذ عزفت غونييفر على العود مرتديةً زيّاً فرنسياً قديماً، ورافقها جهان على الدف، وتجول راوٍ بين الطاولات وحكى أسطورة مارلين وغابة بروسيلياند بينما رشق بهلوان ذو مهارات مشكوك فيها واحدةً من بين كل ثلاث كرات في الصحون المجاورة. كانت هناك الكثير من الضوضاء في القاعة فلم أتمكن من متابعة المحادثة الجارية بين جيرمي وكريس قبالتي، وكان الجو حارّاً فخلعت كنزتي. أصغيت إلى رضا وفيكتوار.

- أعتقد أنني سأقوم بوشم ذراعي، قال الأول.

- آه حقاً؟ ماذا سيكون الوشم؟

- طائر القطرس، لديّ رسم رائع لمؤلف كتب هزلية أعشقه، لكنني أخشى أن أندم. ألم تندمي على وشومك؟

نظرت فيكتوار إلى معصمَيها المغطيين برموزٍ غير مفهومةٍ.

- لا أدري، لا أظن ذلك.

استدار رضا نحوي:

- ما رأيك يا أليس؟

- لا أدري. . . قلت، غير متوقعة سؤاله. يمكنك إزالته بالليزر في أسوأ الأحوال، فإذا لم تكن هناك ألوان، تكون النتيجة جيدة.

- أعتقد أن فكرة طائر القطرس رائعة حقاً، قالت فيكتوار، أنا متأكدةٌ من أنها ستليق بك.

احمرّ رضا خجلاً من الإطراء وملأ مقلاته بالجبن من جديد.

---

(1) Troubadours هم شعراء وموسيقيون من القرون الوسطى - المترجمة.

مر التروبادور بين الطاولات وهم يعزفون وصفق لهم الجميع. حاولوا جرنا إلى رقصة فراندول التقليدية التي تُشبك فيها الأيادي.

- آه لا! مستحيل، صرخت فيكتوار وهي تدفع يد المنشد ذي الأنف الأرجواني.

تركت نفسي أنساق إلى الرقصة، يدٌ بيدِ رضا والأخرى بيد جيرمي، ودرنا في القاعة بينما صفق لنا كل مَن ظلوا جالسين (باستثناء فيكتوار التي كانت مشغولة على الأرجح في البحث عن شبكة)، كما غنى البعض بصوتٍ واحد أغنية لم أكن أعرفها. وعندما عدنا إلى مقاعدنا بعد بضع دقائق، أمسك جيرمي بيدي للحظة وزرع عينيه الزرقاوين في عينَي.

- ردّاً على سؤالك السابق، حول عرضك، أنا في الخيمة رقم 9، متى تريدين...

جعلت أنفاسه الدافئة بالقرب من أذني بشرتي تقشعر. شعرت بالدوار قليلاً، كما لو كنت ثملةً. ابتسمت نصف ابتسامةٍ.

- تصحيح، هو عرضك أنت في الأساس...

ابتسم.

- كما تريدين...

يوميات أليس

لندن، 4 مايو 2012

لقد أمضيتُ خمسة أسابيع برفقتك.

نمت فيها ثلاث عشرة ساعة في الليلة.

اليوم، سمعت نبض قلبك، يا شمسي. ولا أذكر، في كل حياتي، سماع صوتٍ أجمل من هذا. نبضٌ بالكاد يُسمَع، سريع ومنتظم، خفقانٌ هش كقلب العصفور. كدت أسحق يد والدك في يدي، بقدر ما أمسكت بها بقوةٍ.

هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها أوليفر يبكي من شدة التأثر.

سمعت القطرات تتساقط على القماش فوق رأسي. كان صوت الموسيقى لا يزال يتردد على مسامعي من بعيد، مكتوماً بسكون الغابة. لم يكن لديّ أي علم عن الوقت، لكن حسب تخميني، كنت قد غادرت الحفلة منذ أكثر من ساعة. كان بإمكاني إعادة شحن هاتفي في القلعة، لكني لم أرغب في ذلك. كان عدم إدراكي لمرور الوقت يمنحني شعوراً هشّاً بالحرية.

لم أكن أعلم ماذا أفعل. فمن الناحية النظرية، كان الأمر بسيطاً. كان من المفترض أن ألحق بجيرمي في خيمته، بما أن هذا ما كنت أرغب فيه حقاً. أما من الناحية العملية، فكان الأمر أكثر تعقيداً، وخطيراً جداً على وجه الخصوص. إلا أن الخطر أثارني، وجذبني بشكلٍ لا يقاوم مثل منارة في الليل. لقد انطويت على نفسي لفترةٍ طويلةٍ جداً، ولأول مرةٍ منذ زمن طويل، رغبت في أن أشعر بنفسي حية.

نهضت وارتديت سترتي الصوفية السوداء، ثم خرجت من الخيمة. تركت نفسي أنزلق على طول السلم، ممسكةً بمصباحي اليدوي بين أسناني، وتوجهت نحو الخيمة رقم 9. كانت ليلةً ظلماء، تلألأت فيها القطرات القليلة المتبقية من أمطار الظهيرة على

أوراق الشجر. وصلت إلى باب الخيمة. كان الضوء مشتعلاً بالداخل ومن خلال القماش الشفاف، رأيت جيرمي مستلقياً على سريره ينقر على جهازه الآيباد. انتابني شعور مزعج بأنني أتجسس عليه، فتنحنحت معلنة حضوري.

- جيرمي؟

نهض على الفور وتوجه نحو الباب وفتحه مُصدراً صوت حفيف سحَّاب. ظللنا واقفَين وجهاً لوجه بضع ثوانٍ، مترددَين.

- ادخلي.

انحنيت لعبور الفتحة ثم أغلقتها ورائي. عمّ الصمت مجدداً. قررت أن أكون مباشرة وصريحة:

- سيكون من الجيد أن تتولى زمام الأمور، لأنني لم أعد معتادةً على هذا...

ابتسم ابتسامةً صريحةً، خالية من أي سخرية.

- كنت عرضت عليك كأساً، لكني فهمت من جهة أنك لا تشربين، ومن جهة أخرى، ليس لدي ما نشربه...

مرر يده في شعره البني.

- يمكننا تشغيل الموسيقى إذا أردت، فقد اخترقت شبكة واي فاي القلعة المجاورة.

- لا، كل شيء إلا الموسيقى...

لم يجب، وعبرت المسافة التي فصلت بيننا. أمسكت يده ورفعت وجهي نحوه، بحيث أصبح فمي قريباً من فمه لدرجة أنني شعرت بنَفَسه على شفتَي. أبرزت لحيته الخفيفة خط فكه الحاد فأدركت بذهول أنني لم أنجذب لرجل إلى هذا الحد منذ زمن طويل.

- إذا فعلنا ذلك، همستُ، فسيكون ذلك من دون أي التزام، فأنا لا أريد أن ندخل في علاقة، أو نبني حياةً عائليةً، فأنا لا أحبذ هذه الأمور.

- هذا يناسبني، أجاب ببساطةٍ.

فأغمضت عينَي وألصقتُ شفتَي بشفتَيه. وضع يديه على وركَي، فشعرت بحرارتهما حتى من خلال ملابسي. قبّلني بلطف أولاً، ثم بشدة أكثر، وأمسك بيدي وجرّني نحو السرير.

- تعالي.

فلحقت به.

رفع رأسه نحوي وتأملني. أعطت الرغبة لعينيه لوناً داكناً كلون المحيط قبل العاصفة. سقطت على السرير، وانحنى فوقي، فانقبض قفصي الصدري فجأة ولم أعد قادرة على التنفس. لا بد أنه شعر بجسدي يتشنج، لأنه ابتعد فجأةً.

- أأنتِ بخير؟

كان صوته أجش.

- أنا... أنا آسفةٌ... أنا بحاجة إلى بعض الهواء.

دفعته وهرعت إلى باب الخيمة وفتحت السحَّاب ثم خرجت إلى المنصة الخشبية. **تنفّسي**. شعرت بالدموع تنهمر على خدَّي. لن أحظى أبداً بحياةٍ طبيعيةٍ. **تنفّسي**. كان قلبي ينبض بسرعةٍ مخيفةٍ، وجعلني ثقل البطانية الذي وُضعت على كتفَي أُدرك أنني أشعر بالبرد. أغلق جيرمي أطراف اللحاف حولي برفق شديد دون أن يلمسني.

- نحن لسنا ملزمَين بفعل أي شيء... ستكون الأمور على ما يرام.

كان صوته عميقاً ومهدئاً. أومأت برأسي، لكنني كنت أبكي، وكررت بصوت مذعورٍ، مثل أسطوانة مشروخةٍ:

- أنا آسفةٌ، أنا آسفةٌ...

- لا ينبغي لك أن تعتذري، فلا مشكلة على الإطلاق.

تردد، ثم سحبني نحوه بلطف وأحاطني بذراعيه، فاندفع الهواء إلى صدري بعنف السيول المحطمة للسدود. تنفستُ من جديد. وبقيت هناك، تحت البطانية التي لامست الأرض، أجهش بالبكاء على كتفه. داعب شعري، وكرر في أذني أن «ستكون الأمور على ما يرام». كذبةٌ من النوع الذي يُستخدم لتبديد حزن الأطفال.

لكن على الرغم من كل شيء، شعرت بالعقد التي تضغط عضلات ظهري تنفكّ الواحدة تلو الأخرى وأصبح تنفّسي أكثر انتظاماً. تفاجأت بالشعور بهذا القدر من الراحة بين ذراعيه، فهو يبدو فاقداً للعاطفة أحياناً. وبعد دقائق طويلة، تحدث جيرمي من جديد:

- ستصابين بنزلة برد، فإما أن تدخلي أو سأصطحبك إلى خيمتك.

لم تكن لديّ أي رغبة في أن أجد نفسي وحدي في خيمتي بعد هذا الموقف السخيف.

- يمكننا الدخول.

- استلقي تحت اللحاف. سوف تموتين من البرد، قال وهو يغلق باب القماش.

انزلقت تحت اللحاف ورفعته إلى ذقني. اصطكت أسناني بالقشعريرة. جلس على السرير وحدق بي، دون أن يُظهر وجهُه أي

تعابير. تساءلت فيما كان يفكر. أنني مجنونةٌ على الأرجح، ولا يعرف كيف يتخلص مني.

- هل ترغبين في التحدث؟

- عن ماذا؟

- لا أعلم... لقد فقدت شخصاً ما، أليس كذلك؟

فاجأتني صراحته. لم أكن أرغب في التحدث إليه. ربما لأمكنني ذلك في ظروف أخرى، لأنه لم يبدُ متحايلاً، بل بالعكس، بدا صادقاً، وهي صفة نادرةٌ بما يكفي لتكون ثمينةً. لكن لا يمكنني ذلك. لأنه إذا علم ما فعلته، فلن يشعر بتعاطفٍ تجاهي، ولن يبدي أي اهتمام بعد ذلك، ولا أعرف السبب، لكنني لم أكن أرغب في تخييب ظنه.

قلت بصوتٍ أكثر حدةً مما تمنيت:

- لا، أصاب بنوبات هلعٍ أحياناً، هذا كل شيء. آسفة لأنني أفسدت أمسيتك.

أومأ برأسه.

- أنت لم تفسدي أي شيءٍ. هل تريدين مشاهدة فيلمٍ؟

بقيت صامتة للحظة. لم أكن أتوقع أنه سيقترح عليّ أمسيةً سينمائيةً، إلا أن الطريقة الهادئة التي اقترح بها ذلك كانت مطمئنة على نحوٍ غريبٍ.

- لا يوجد تلفاز...

- على جهاز الآيباد الخاص بي.

ترددت لثانية قبل أن أجيب:

- حسب الفيلم، ماذا لديك؟

أخذ اللوحة الرقمية من السرير وتصفح أفلامه. بدا متحكماً

بنفسه تماماً من جديدٍ، واستعاد تنفسُه إيقاعَه الطبيعي. سحبت ركبتَي إلى صدري. تفحصته بتمعن، إلا أنني لم أستطع تخمين ما دار في ذهنه. لم يتحدث كثيراً، لكنني شعرت بالأمان في حضوره، ولم أستطع تفسير ذلك.

- إذاً، الأفلام المحملة مسبقاً: **مرثيّةُ حُلم**، و**ذا ماتريكس**، و**الحاسة السادسة**، و**ملكة الثلج**[1].

رفعت حاجبي.

- **ملكة الثلج**؟

- هناك آباء لا يخرجون أبداً من دون لعبة محشوة أو لهاية، لكن فيما يخص زوي، فهي تشعر أحياناً برغبة ملحة في مشاهدة عشر دقائق من **ملكة الثلج**.

- لا داعي لاتهام ابنتك، فأنا لا أحكم عليك؛ لديك كل الحق في أن تكون من محبي **ملكة الثلج**، قلت بنبرة ساخرة.

ارتسمت على شفتيه نصف ابتسامة.

- إذا رغبتِ في فيلم آخر، فيمكننا تنزيل ما تريدين.

- لا تنزيلات غير قانونيةٍ، علينا أن ندفع مالاً مقابل الإبداع وإلا قريباً لن تكون هناك أفلامٌ ولا كتبٌ ولا موسيقى لقرصنتها...

- حسناً، أيتها القاضية المقنعة، ماذا أشغل؟

- **ملكة الثلج**، فالاقتراحات الأخرى إما حزينة أو مخيفة.

- حقّاً؟

- حقّاً.

---

(1) **ملكة الثلج** هو فيلم رسوم متحركة من إنتاج استوديوهات والت ديزني، صدر عام 2023 - المترجمة.

مرّ في نظرته ذاك الوميض الموحي بالتسلية الذي بدأت أتعرف عليه. نقر على الآيباد ومرّره لي، ثم استلقى فوق اللحاف. ترك مسافة عشرة سنتيمترات بيننا طمأنتني، فارتخت رقبتي وتركت رأسي يغرق في الوسادة.

- أعجبني الفيلم، قلت بعد نصف ساعةٍ، على الأقل هن أذكى من **بياض الثلج** و**سندريلا** البلهاوين.

- نعم، أعتقد أن هذا ما تحبه الفتيات الصغيرات، أو زوي على الأقل.

لا أدري ما إذا كان الحنان الذي نطق به اسم ابنته هو الذي أثر بي، لكنني عبرت العشرة سنتيمترات التي فصلت بيننا ووضعت رأسي على كتفه. ودون أن يتفوه بكلمة، مرر ذراعه خلف رقبتي وسحب البطانية فوقي، فانتهى بي الأمر في أن أغط في النوم وأنا أشم في رقبته رائحة صابون مرسيليا وخشب الأرز.

استيقظت وأنا لا أزال ملفوفةً باللحاف بالكامل. كان الآيباد منطفئاً وموضوعاً على المنضدة وجيرمي نائماً بجواري، يدير ظهره لي، ولا يزال مرتدياً ملابسه. تأملت فوق رأسي قطرات الندى الواضحة على سطح الخيمة وحفيف أوراق البلوط. الليلة الثانية من دون أرقٍ أو حبوبٍ منومةٍ. شعرت براحةٍ غريبةٍ. كان نَفَس جيرمي هادئاً ومنتظماً. بسطت اللحاف ومددته بالتساوي على كلينا. ترددت. أخذت نَفَساً عميقاً، ثم اقتربت منه برفق. لم يتحرك.

- إذا كنت تحاولين الاعتذار عن سرقة لحافي طوال الليل، فلن ينجح ذلك، تمتم وهو نصف نائمٍ.

لم أجب، فاستدار نحوي وأضاءت عينيه شرارةٌ من الرغبة، لكنه لم يتحرك بل حدق بي فحسب، ووجهه على بعد بضعة

سنتيمترات من وجهي، فلاحظت لأول مرة أن بؤبؤَي عينيه محاطان بقليل من الرمادي الفاتح الذي ينصهر في اللون الأزرق البلوري الذي يذكرني ببحيرةٍ جبليةٍ في فصل الصيف. جعلني هذا الاكتشاف الصغير أبتسم، كما لو كان قد أسرَّ لي للتو أمراً حميمياً للغاية، سرّاً يعرفه هو وحده. لم يلمسني، لكنه لم يُشح بنظره عني، وربما راقب ظهور أول علامة توتر. أصغيت إلى غناء الطيور، وخشخشة الغابة، وإلى تنفس جيرمي المتسارع.

- لدينا كل الوقت في العالم، فنحن لسنا ملزمين بفعل أي شيء، قال بلطف.

لم أجب. أغمضت عينَي وقبّلته. أَسكتُّ المنبه الموجود في زاويةٍ من رأسي، ذلك المنبه الذي أومض على نحوٍ أسرع وأسرع في وضعية «الخطر»، وأمرني بإعادة وضع أسلاكي الشائكة. «مرة واحدة فقط»، قلت في نفسي. أريد أن أكون فتاةً عاديةً، لا قصص لها، مرة واحدة فقط. فتاة لا يحدث لها شيء أبداً وستكون أكثر ذكرياتها جنوناً لهذا العام هي هذه اللحظة بالذات. قبّلني بدوره وسحبني نحوه، ليس بحماسة الليلة الماضية، بل بحذر، كما لو كنت هشةً، كما لو كان يمسك بين يديه بدمية من الخزف. اجتاحتني الحرارة. في الخارج، بدأ المطر يهطل وملأت طقطقة القطرات الخيمة، وفي رأسي، تلاشى صوت المنبه حتى صمت تماماً.

يوميات أليس

لندن، 5 مايو 2012

شعرتُ بتشنجاتٍ هذه الليلة، أيقظتني من شدة ألمها. وكانت هناك نقطتان بنيتان في سروالي الداخلي هذا الصباح، إحداهما أصغر من الأخرى. قلت في نفسي إن أكبرها كانت على شكل تركيا.

بكيت على طول الطريق المؤدي إلى المستشفى. طلب مني أوليفر أن أهدأ، وذكّرني أن دولوريس كانت قد حذرتنا من احتمال حدوث نزيف، وأنه قد يكون أمراً بسيطاً.

تعيّن عليها أن تكرر له ثلاث مرات أن قلبك الصغير لم يعد ينبض. أما أنا، فلم أقل شيئاً. كنت أعلم ذلك في أعماقي.

سمعت نبضات قلبك لأول مرة بالأمس، وأعلم الآن أنها كانت طريقتك الخاصة لتوديعي. لقد رحلتَ في صمت تام. لن يعرفك أحد سواي، يا شمسي الصغيرة. أنا أكره هذا الجسد الذي لم يستطع القيام بما توجب عليه للحفاظ عليك.

سأل أوليفر، جوزي العملي، متى يمكننا المحاولة من جديد.

أما أنا، فظللت صامتةً. لم أجد كلاماً يمكن أن يعبّر عن الحزن الذي شعرت به. رغم أنني حاولتُ جاهدة.

كرروا لي مراتٍ لا تحصى أن واحدة من كل أربع حالات حملٍ لا تصل إلى النهاية المرجوة. والآن أتساءل عما إذا كانت واحدةٌ من كل أربع نساء تشعر بما شعرت به: أن جزءاً من قلبي، ذلك الذي نقشتُ فيه اسمَك الذي لن يعرفه أحدٌ أبداً، متجمدٌ برحيلك، وهذا اليقين الثابت أنه من الآن فصاعداً، سيصير جزءٌ صغيرٌ مني، المحروم من شمسه، بارداً إلى الأبد.

فتحتُ عينَي. كان اليومُ اليومَ الأخير، يوم المغادرة. لقد قضيت ليالي الندوة الثلاث مع جيرمي، وأدركت حجم خطئي نظراً إلى الندم الذي أسفرته نهاية هذه الندوة العبثية. كانت ليلة واحدة لتكفي، ولكن سواءٌ كان ذلك بسبب إندورفين الجنس أو مجرد وجود جيرمي، لقد نمت مثل طفل رضيع في كل مرة غفوت فيها وأنا بين ذراعيه. عدت فجأة إلى الواقع. ما حدث في الندوة يجب أن يبقى في الندوة. هديةٌ تذكاريةٌ لطيفةٌ تُخزَّن بين ألبوم صور العطل وبرج إيفل بلاستيكي.

نهضت وارتديت ملابسي بتكتم، محاولةً عدم إيقاظه، ثم اتجهت على رؤوس أصابعي نحو البابِ للخروج.

- هل أنت متأكدة من أنك لا تريديننا أن نتحدث بالأمر قبل أن تهربي مثل اللصوص؟

باغتني كلامه. كان جيرمي متكئاً على كوعه، يراقب محاولتي في الهروب بوجه لا يُفسَّر. لم يكن لديّ من خيار سوى التوقف، فحدقنا أحدنا بالآخر في صمتٍ. بدت عيناه الزرقاوان المستقصيتان وكأنهما تقرآن ما يدور في ذهني.

- أنتِ مَن تقررين. ماذا تريديننا أن نفعل؟

أخذت نَفَساً عميقاً. تمنيت لو كان الأمر ببساطة هذا السؤال، لكن لسوء الحظ، لم يكن كذلك.

- كان ذلك رائعاً... بدأت.

(من حسن الحظ أننا كنا في خيمة، وإلا كنت ضربت رأسي بالحائط لقولي شيئاً بهذه الغباوة).

- لكن؟

- لكني لا أريد أن أدخل في علاقةٍ.

- كما ترين. إذا شعرت بالملل ذات مساءٍ، لديك رقمي...

شعرت بوخزٍ في قلبي، لأنني سمعت تحت نبرته اللامبالية شيئاً يشبه خيبة أمل.

- أو ربما...

رفع حاجبه باهتمام بينما فكرت في شيء قد يبدو كحلّ وسط.

- أنت تتناوب على حضانة زوي من أسبوع إلى آخر، أليس كذلك؟

- لا أرى أي صلة هنا، لكن نعم، هذا صحيحٌ.

- يمكننا أن نلتقي كل أسبوعين عندما لا تكون زوي، يوم الخميس.

- كل خميس خلال الأسابيع الفردية، حقاً؟ كرر ضاحكاً.

- إذا كنت تفضل يوماً آخر، فهذا ممكن أيضاً، بشرط أن نلتزم به وألا نخالف القواعد.

بدا الأمر في ذهني منطقياً وسليماً، لكن بصوت عالٍ، افتقر إلى العفوية. أضفت:

- وشيءٌ آخر: يمكننا التوقف متى شئنا. بمجرد رسالة نصية: «فلنتوقف». لا داعي للتبرير.

لم يُجب على الفور. فتح فمه وكأنه أراد قول شيء ما، ثم غيّر رأيه. استلقى على السرير، واضعاً يديه خلف رأسه.

- فليكن. الخميس، كل أسبوعين، إذاً.

- نعم، في الأسابيع الفردية.

ابتسم، لكنها ابتسامة لم تصل إلى عينيه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

2019

فصل الربيع

«في بعض الأيام أشعر بتعب شديد، فأفكر في الاستسلام،
يكون الصباح فيها كئيباً جدّاً، فلا أستطيع حتى الاستيقاظ،
ثم أسمع شيئاً، صوت لحنٍ ما،
يقولون هي ليست موسيقى،
بل مجرد ريحٍ يهب عبر شجرةٍ،
لكنهم مخطئون، يمكنني سماعها
وهي تعزف من أجلي فقط».

سكارليت س. ر. والفينيق الأزرق، **لا تتخلى عني.**

من: إريكا سبنسر

إلى: آليس سميث

في: 2 مارس 2019

الموضوع:

مرحباً يا آليس،

لقد أجريت بعض الأبحاث، وأنا أعلم الآن أنك تعملين في باريس، في شركة ناشئة تدعى إيفردريم.

اتصلي بي، فلصبري حدود وقد وصلتِ إليها.

إريكا سبنسر

يوميات أليس

لندن، 8 مايو 2012

عزيزي بروس،

لقد خرجتُ للتو من فترةٍ مظلمةٍ، لكن أعتقد أنني أحسن حالاً الآن. قالت دولوريس إنني في حالة حداد.

تتصل بي أمي ثلاث مراتٍ في اليوم، فقد منعها عارض صحي من زيارتي، لكن سكارليت وصلت أمس.

لقد اتفقتْ مع أوليفر على مفاجأتي. لا أدري مَن خطط لهذه المبادرة، لكن ستوافقني الرأي بأنني محظوظة لوجودهما في حياتي. لقد أودعتْ قطها، ديفيد بوي، عند صديقتها (لقد انفصلت عن أليخاندرو)، واستقلت أول طائرة. وسمعتُ أنها رفضت بشكلٍ قاطعٍ أن يدفع أوليفر ثمن تذكرتها.

فتحتُ باب الشقة وكانت هناك، بحذائها الكونفيرس الأصفر الفلوري وسروالها الجينز الممزق. فتحتْ ذراعيها وألقيت بنفسي بينهما. لا أدري مَن منا أجهشت بالبكاء أولاً.

أعدّتْ لي الشاي بينما كنت أبكي على الأريكة، ومدّت لي المناديل الورقية وهي تكرر أنها آسفة وأن هذا ليس عدلاً. حضنتني

وهدأتني، ولم تلجأ إلى حجج عقلانية في محاولتها ترميم قلبي، فهي لم تحدثني عن المرأة التي تجهض من بين كل أربع نساء، ولا عن معدل نجاح الإخصاب الأنبوبي، ولا عن عدد أسابيع الحمل الذي يحق لنا فيها أن نحزن كون الطفل موجوداً «حقاً». حتى أنها لم تقل لي إن هذا لم يكن خطئي، لأنها تعلم أن سيعني هذا الافتراض أن لدي سبباً للشعور بالذنب. مكتبة سُر مَن قرأ

داعبتْ شعري وهي تدندن لي أغنية، أغنية كتبتها لي خصيصاً وهي على متن الطائرة المتجهة إلى لندن، أغنية مليئة بالحب والعذوبة، تبدأ ببطء، وتصبح أكثر حدةً وإيقاعاً لتنتهي على شكل ألعاب نارية. اعتقدت في البداية أن هذه الأغنية لا تشبهها، لكنها عزفتها لي عدة مرات على غيتارتها فينكس، وحسنتها تدريجياً، فتذكرت ما قالته لي على شاطئ ناراغانسيت عندما كنا طفلتين: أنها تريد كتابة أغانٍ تبدأ ببطء ثم تتسارع بعد ذلك. هذه الأغنية، يا بروس، هي كذلك بالضبط. إنها رائعةٌ. لا تتصور كم أنا فخورة بأختي الصغيرة.

انتظرتْ هذا الصباح لتحدثني عن الجنينين المتبقيين وتسألني بحذر عما إذا كنت أرغب حقاً في عدم متابعة الإخصاب الأنبوبي. قد يكون أوليفر أخبرها عن رفضي إجراء هذه المحادثة، أو ربما كانت قلقةً عليّ فحسب. كنا نسير في غرين بارك، ولم يكن هناك الكثير من الناس، رجلٌ عجوزٌ على مقعد يقرأ جريدة ذا صن وسناجب ترحب ببداية الربيع.

- أنا أخشى أن أفشل من جديد، فأنا متعبةٌ جداً... لم يتبق سوى جنينين، وقالت دولوريس إنه من الأفضل أن نضع كليهما في آنٍ واحد، وإذا لم ينجح الأمر، فلا أعتقد أن لديّ ما يكفي من القوة

لخوض كل هذا من جديد، الآمال وخيبة الأمل والإحباط والإرهاق. . .

- قد ترزقين بتوأمين إذاً، قالت بلطفٍ. ماذا ستسميهما؟

هززت رأسي.

- لا أريد أن أتعلق بهما، أن أختار لهما أسماء، أن أعلم أنهما موجودان، فهذا يجعل الأمر صعباً جداً.

- أوه، حسناً.

بدت حزينةً بعض الشيء وتساءلتُ من هي الأم التي ترفض التفكير في أسماء طفليها المستقبليين.

- ما رأيك بفريد وجورج، قلت على نحوٍ عشوائي.

- فريد وجورج؟

- نعم، التوأمان في هاري بوتر.

- أنا لم أقرأ هاري بوتر. . . سيكونان صبيَّين إذاً؟

- لا أعرف السبب، لكنني متأكدةٌ من ذلك.

تماماً كما كنت متأكدةً من أن شمسي الراحلة كانت فتاة صغيرة وأن عينيها كانتا ستكونان زرقاوين مثل عينَي والدها، لكني لم أكن قادرة على البوح عن ذلك. ولا حتى لسكارليت.

رفعتُ نظري عن لوحة المفاتيح، حيث كنت أحلل بذعر أرقام تحميل تطبيق إيفردريم. تسعة وثلاثون تحميلاً في أربعة أسابيع. فكرة مشاركة كريس هذا الرقم أحبطتني مسبقاً.

مرت أربعة أسابيع منذ عودتنا، رأيت فيها جيرمي مرتين، يوم الخميس، تماماً كما اتفقنا. عادةً ما يطمئنني هذا النوع من القواعد، لكن لأكون صادقةً مع نفسي، أنا أنتظر هذا الخميس كل أسبوعين طوال الوقت الذي لا أقضيه معه. أردت أن أكتب له ثلاثة ملايين مرة لأعرض عليه مساءً آخر، إلا أنني منعت نفسي من فعل ذلك. حاولت إعادة ضبط الأسلاك الشائكة حول قلبي، والتي ارتخت قليلاً من كثرة تنقلها. وعندما تكون الرغبة شديدة، أتناول حبة منومٍ وأخلد إلى الفراش. هذا يمنعني من التفكير.

عندما نلتقي في الممرات، يحييني وكأن شيئاً لم يكن، ويتحدث مع فيكتوار أمام آلة القهوة، ويتشاجر مع كريس في مكتبه... لا جديد تحت الشمس. ففي المكتب، دائماً ما يكون وجهه لا يُفسَّر. هو يتصرف كما لو لم يحدث شيء بيننا، ما عدا يوم الخميس في الأسابيع الفردية. لقد ذهبنا مرةً إلى السينما ومرةً إلى المطعم. وفي

صباح اليوم التالي، غادرت شقته عند الفجر بحجة أنني مضطرة للاهتمام بديفيد. لم يطرح عليّ الأسئلة.

يوم الثلاثاء، تناولت الغداء مع فيكتوار ورضا. قالت فيكتوار إن جيرمي كان في حالة مزاجية سيئة لأن زوي كانت في إجازة مع والدتها فشعرتُ بخيبة أمل شديدة لأنه لم يخبرني: كان من الممكن أن نلتقي يومَي خميس على التوالي، لكنه لم يكتب لي أو يكلمني طوال الأسبوع. تحققت من هاتفي كل عشر ثوانٍ، وارتجفت من الأمل كل مرة تلقيت فيها رسالة نصية، متفاجئة من سلوكي الطفولي، لكن عند اقتراب يوم الجمعة، تقبّلت الأمر، إذ اكتفى جيرمي باتباع القواعد التي وضعتها له، ولا يمكنني لومه على ذلك.

وبينما كنت أستعد لحزم أغراضي واستقبال عطلة نهاية الأسبوع، اهتز هاتفي. أمسكته تلقائيّاً وشعرت بوخزة صغيرة في قلبي عند قراءة اسم المرسَل.

جيرمي ميلر

مرحباً. ماذا ستفعلين مساء السبت؟

حدقت في الشاشة بريبة، ورغم أن رسالة جيرمي كانت واضحة تماماً ومباشرة ومقتضبة، أعدت قراءتها ثلاث مرات، وتساءلت عما إذا كانت صادقةً أم باردةً، مدروسةً أم عفويةً. استغرق هذا التفكير العميق ربع ساعة، أدركت بعدها أنه يتعين عليّ الإجابة. وبما أن عقلي يعمل عكسياً عندما يتعلق الأمر بجيرمي، اتخذت القرار الخاطئ مرة أخرى.

أليس سميث

لا شـيء. ماذا عنك؟

جيرمي ميلر

أفكر في مشاهدة الأسد الملك
(مستأجر قانونيّاً من خلال خدمة الفيديو حسب الطلب)
أنا بحاجة إلى حليفة تساعدني
على تخطي وفاة موفاسا
وزوي مع والدتها في نهاية هذا الأسبوع...

لم أجب على الفور. لقد انتظرت هذه الرسالة طوال الأسبوع، لكنني شعرت بالخوف. ليس هذا ما كان متوقعاً. يمكن لهذا أن يفسد كل شيء. كنت أخشى أن أتعلق، وأن أبدأ شيئاً لا يمكنني إنهاؤه، وأن أجعله يعتقد أن هناك مستقبلاً معي. ثم تذكرت هذه العبارة التي لطالما رددتها أنجيلا على مسامعي: **الحياة عبارة عن أحداثٍ غير متوقعةٍ**. فأخذت نَفَساً عميقاً وقررت، على نحوٍ استثنائي، قبول ما هو غير متوقعٍ.

أليس سميث

حسناً.

يوميات أليس

لندن، 10 مايو 2012

مرحباً يا بروس، آسفة، لقد ابتعدت عنك قليلاً، لكن سكارليت تغادر غداً، ونعم، لا تؤاخذني إذا فضلت قضاء وقتي مع أختي الصغيرة بدلاً منك، حتى ولو كنت بروس ويليس.

لقد سددت سكارليت كل الأموال التي كانت تدين بها لنا منذ سنوات. ولأكون صادقةً، لم أوثِّق أبداً ما أقرضتها من مال، لكنها فعلت من جهتها. لقد أخرجت جدول إكسيل، دوّنت فيه كل قرضٍ، مع التاريخ والمبلغ. كاد أوليفر لا يصدق. مَن كان يظن أن سكارليت قادرة على إنشاء جدول إكسيل؟! لم أكن لأتفاجأ أكثر لو اكتشفت فجأة أن أوليفر كان خبيراً في الخط الصيني على الخزف. حاولتُ أن أرفض، لكنها أصرت.

- لقد قطعتُ وعداً، ويمكنني الآن أن أسدد ديوني بفضل المال الذي حصلت عليه كدفعة مسبقة على ألبومي المستقبلي.

ظللت عاجزةً عن الكلام لبضع ثوانٍ.

- هل أعطوك الكثير من المال؟

- نعم، أكثر من اللازم حتى.

أدركت فجأة أن سكارليت، خلال الأيام الثلاثة التي قضتها معي، لم تتحدث عن نفسها قط. وكنت مركزةً على حزني وقصتي لدرجة أنني لم أسألها عن حالها وعن حياتها.

- ما الجديد إذاً؟ لم تخبريني بشيءٍ!

- مبدئياً، لقد انتهى الألبوم، لكنني قررت إضافة هذه الأغنية التي كتبتها على متن الطائرة، فقد أخبرت أوريجين ريكوردز أننا سنسجلها عند عودتي. أود أن تكون أغنية منفردة.

- الأغنية التي كتبتِها من أجلي؟

شعرتُ بإطراء شديد. وكأنك أهديتني فيلماً، يا بروس، الشيء الذي لن يحدث أبداً على الأرجح، لكن يحق لنا أن نحلم.

- إلا إذا أزعجك ذلك بطبيعة الحال، فقد كتبتها حقاً من أجلك و...

- لا، بالتأكيد لا، بل بالعكس، هذا يعني لي الكثير. ما عنوانها؟

- سيسترز، أجابت.

مرّت بضعة أسابيع. ها أنا أقرع إنترفون جيرمي، مدركةً أنني أخرق القواعد أكثر فأكثر، بزلاتٍ صغيرةٍ غير متحكمٍ فيها. شعرت وكأنني ألتمس طريقي في الظلام وسط بحيرةٍ متجمدةٍ. أعلم أن الجليد رقيق ولن يتحملني، لكنني أمضي قُدماً وأقول مع كل خطوةٍ: «حتى الآن، كل شيء على ما يرام». ثم أخطو خطوةً أخرى، على الرغم من الصوت الصغير الذي يصرخ بداخلي: **كل خطوة، كل فعل له عواقب، كيف يمكنك أن تكوني غبيةً لدرجة أنك نسيت ذلك، بعد كل ما حدث؟**

أرسلتُ رسالةً نصيةً إلى جيرمي في نهاية فترة ما بعد الظهيرة، إذ عرفت من فيكتوار أن زوي لن تنام في منزله الليلة. لم يكن هذا الاستثناء الأول لقاعدة الخميس كل أسبوعين، فمنذ مساء ذلك السبت الذي استمر حتى ظهر يوم الأحد، ازدادت الاستثناءات في الأسابيع الأخيرة ومن بينها عطلة نهاية أسبوع مشمسة قضيناها معاً في برنامجٍ كان سيفتن الطفلة التي كنتها والتي حلمت برؤية باريس: رحلة بالدراجة على ضفاف نهر السين، ونزهة في حديقة لوكسمبورغ، وعشاء رومانسي في الحي اللاتيني مع إطلالة على البانثيون، بينما سخر جيرمي بلطف من المتعة التي سببتها لي هذه

الصور السياحية المبتذلة، وهو يسحبني من يدي في مرتفعات مونمارتر، حتى أنه أهداني برج إيفل صغيراً من البلاستيك معلقاً في سلسلة مفاتيح بوقارٍ كما لو أنه قدّم لي خاتم خطوبة، إلاَّ أن عينيه الضاحكتين خانتا جدية تعابير وجهه، وهو جاثٍ على ركبة واحدة على الرصيف. ضحكت ضحكة مجلجلة من القلب لدرجة أن المارة توقفوا مبتسمين لينظروا إلينا في الشارع المؤدي إلى الساكري كور.

كانت هذه أمتع عطلة نهاية أسبوع لي منذ وقت طويل.

أي بالنسبة إليّ، كارثة.

فللحظة، عندما أوصلني إلى منزلي ليلة الأحد، كدت أخبره عن كل شيء. لكن في نهاية المطاف، فضلت ألا أراه لمدة عشرة أيام، من شدة رعبي من التقارب الذي كان قادراً على توليده بيننا، لأستسلم له مجدداً مع عودة القلق والأرق النابعين من الوحدة.

قصة المرة الواحدة في الأسبوع هذه، في الأسابيع التي لم تكن فيها زوي موجودةً، شكلت حاجزاً هشاً أمام ما أصبح يمثله بالنسبة إليّ. فمنذ بدأت أواعده، استغنيت عن الحبوب المنومة. وعندما أجد صعوبةً في النوم، فإن إعادة قراءة رسائله النصية تهدئني. لا أعرف كيف يفعل ذلك، فهو لا يتكلم كثيراً، ومع ذلك ينزع أسلاكي الشائكة. كل مرة. فأخنق الصوت الصغير بداخلي الذي يهمس لي أن لا شيء أسوأ من الاستسلام لهذه الراحة الخطيرة والإدمانية التي تمثلها الحميمية المشتركة، وأتقدم على الجليد.

كان باب الشقة مفتوحاً. دفعته. كانت الأضواء مضاءةً، والمدخل فارغاً. سمعت أصواتاً وأنا أسير في الرواق الذي تفوح منه رائحة الجبن المشوي. عند دخولي المطبخ، رأيت زوي جالسة أمام غراتان من المعكرونة الساخن، وأذن دميةٍ على شكل حمار في

فمها. تراجعت خطوة إلى الوراء. كانت الطاولة معدّة لثلاثة أشخاصٍ. لم أتوقع ذلك.

- تبّاً يا أليس، قالت زوي عندما رأتني.

- مرحباً يا زوي.

اقترب جيرمي وأراد أن يقبّلني على شفتَي، إلا أنني أدرت رأسي وقبّلته على خده. كنت منقسمة بين الشعور بأنني وقعت في فخ والشعور بالارتياح الذي ولّدته هذه الوجبة العائلية البسيطة في داخلي. أطفأت المذياع على نحوٍ آليٍّ.

- أليس، أردت أن أسألك، بادرت زوي، إذا كنت أمريكيةً، فلماذا تتحدثين بالفرنسية؟

- لأنني نصف أمريكيةٍ ونصف فرنسيةٍ.

كان صوتي كالهمسة، جلست على حافة المقعد بحذر.

- مثلك مثل ملكة الثلج إذاً، فهي أمريكيةٌ أيضاً.

- لقد سبق وشرحت لك، قال جيرمي وهو يأخذ طبقها ليملأه، أن ملكة الثلج ليست أمريكية، فالقصة الأصلية هي من الدنمارك.

- لا أعرف. أفضّل أن تكون أمريكيةً، قالت زوي.

ابتسم جيرمي وسكب لها ملعقةً كبيرةً من الغراتان. جعلت خيوط الجبن ورائحة البشاميل اللذيذة لعابي يسيل رغم عدم ارتياحي المتزايد، إلا أنني كنت سعيدةً في قرارة نفسي بهذه الأجواء البسيطة من المعكرونة بالجبن وطفلة بلباس النوم. واصلت الفتاة الصغيرة، التي لم تبدُ منزعجةً من وجودي على الإطلاق، استجوابها.

- أنت تحبين البرغر إذاً؟

- نعم.

- ماذا عن الكولا؟

- نعم.

- وماذا عن دونالد ترامب؟

- لا.

نفخت على ملعقتها الممتلئة على نحوٍ خطير، قبل أن تدفعها في فمها، فالتصق بعض الجبن بأنفها خلال المناورة.

- ودونالد دك! صرخت فجأة بفم ممتلئ، نحن نحب دونالد دك لأنه لطيف، ليس مثل دونالد ترامب، فهو بط شرير.

أمسكتُ بصحن الغراتان الذي مدّه لي جيرمي، ولم أستطع منع نفسي من الضحك.

- أنتِ على حق، أنا أيضاً أحب دونالد دك.

لاحظتُ نظرة جيرمي وهو يتأملني.

- لماذا تنظر إليّ هكذا؟

- ما من سبب، قال بلطفٍ، ينبغي لك أن تضحكي أكثر، فهذا يناسبك جداً.

تسببت ملاحظته في وخز بقلبي وجعلت ابتسامتي تختفي. شعرت بالحرج. احتكرت زوي المحادثة طوال العشاء، مشركة فيها دميتها المحشوة، ولاحظت من وقت لآخر نظرة جيرمي المرحة من فوق غراتان المعكرونة. نظف الطاولة بعد ذلك واستعد لوضعها في الفراش.

ذهبت للجلوس على الأريكة في غرفة المعيشة، حيث سمعته يقرأ لها قصةً، فتطرح عليه الأسئلة وهو يجيب. كان شخصاً مختلفاً برفقة ابنته، يبتسم أكثر، ويضحك من قلبه أحياناً. وضعتُ رأسي بين يدَي. هذه الراحة التي أشعر بها، هذا الارتياح عندما أكون قريبةً منه، هو خطأ رهيب. يجب أن أضع حدّاً لذلك.

عاد حاملاً عبوة كوكا كولا زيرو وعبوة من عصير الليمون الأخضر، ثم جلس بجواري. لقد تكبَّد عناء شراء هذا العصير المتوفر في القليل من المتاجر لأنه يعلم أنني أحبه، وهذا الاهتمام لدى جيرمي، الذي لم يكن شخصاً يُظهر مشاعره، أثّر فيّ بقدر ما أخافني.

- كان ينبغي أن تخبرني أن زوي هنا.

- إنه أسبوعها، وأنت مَن سألتني إذا كان يمكنكِ المجيء.

- أخبرتني فيكتوار أنها مع والدتها.

قطب حاجبيه ورفع العبوة إلى شفتيه وارتشف منها رشفةً. امتد صمت ثقيل، ثقيل جداً.

- ماذا تريدين حقاً؟ سأل بهدوء.

- أريد أن نحترم القواعد التي وضعناها.

- القواعد التي وضعتِها، صحح.

- كنتَ موافقاً: لا علاقة جادة، لا حياة زوجية، لا شجارات، ولا اعترافات بالحب تحت المطر.

هز كتفَيه وبدا التوتر على فكه تحت ظل لحيته البنية التي غطت خدَّيه، ثم نهض وتوجه إلى الخزانة بجوار مشغل الأسطوانات التي تحتوي على الكحوليات القوية، وأخرج منها زجاجة ويسكي وسكب لنفسه كأساً. لم يشرب جيرمي الكحول أمامي أبداً، وهي لفتةٌ أخرى من تلك اللتفاتات الصغيرة، مثل شراء مربى التوت أو إيقاف الموسيقى قبل وصولي، والتي جعلتني أشعر بأمان كبير في وجوده. احتسى رشفةً وحدق في السائل الذهبي وضحك ضحكةً خفيفةً، خاليةً من البهجة.

- أتعلمين، في البداية، ربما ناسبتني خطتك: لا التزام، ولا

ارتباط، ولا تأثير على حياتي أو حياة ابنتي. . . لكن لم يعد الأمر كذلك. فهذه المرة، سأعبّر عما أريده أنا: أريد أكثر من ذلك. أريدك في حياتي اليومية، حقاً، أريد أن أستيقظ وأن أخلد إلى النوم بجانبك، أريد أن تعرفك زوي وأن نذهب معاً في عطل نهاية الأسبوع، أن نتجادل لأنني لم أخرج القمامة أو لأنني نسيت أن أشتري نصف ما طلبته مني، وأن نقضي أيام الأحد على الأريكة في مشاهدة مسلسلات غبية. . . هذا ما أريده.

كان غاضباً؛ ذكرتني عيناه، الزقاوان والباردتان مثل الأنهار الجليدية في القطب الجنوبي، بأول لقاءٍ لنا. لم أستطع أن أنظر فيهما. حدقت برأسٍ منحنٍ في السوار على معصمي وأصابعي المتوترة تجر الحلي.

- أنت لا تعرفني، أنت لا تعرف شيئاً عني.

هز كتفيه من جديد.

- أعلم أنك لا تحبين الأفلام المستقلة، والمأكولات البحرية، والتحدث عن طفولتك، وأنك تشعرين بالبرد في حرارة تقل عن عشرين درجة، وأنك تغنين أثناء الاستحمام، وأنك تنامين على بطنك وتشخرين عندما تكونين متعبةً، وأنك خلف المسافة التي تضعينها بينك وبين الآخرين، حساسةٌ وكريمةٌ على نحوٍ لا يصدق، وأنك قادرة على قضاء ساعات طويلة في تعليم رضا اللغة الإنجليزية رغم أنه أسوأ طالبٍ في العالم، وأنك تتقبلين فيكتوار كما هي، دون أن تتذمري من صراحتها، وأنك تدعمين كريس في هذيانه لإرضائه فحسب، وأنك تتعلقين بالآخرين بسرعة ولو رغماً عنك. ومهما حاولتِ إخفاء ذلك، فأنا أعلم أنك صادقةٌ ومخلصةٌ في سلوكك، حتى وإن لم تكوني كذلك في كلامك، وأود منك فقط أن تضعي

حذرك جانباً، وأن تثقي بي، لأنني أعلم أنك ترغبين في ذلك في أعماقك.

صدمتني إحدى النقاط في قائمته فراحت أناملي ترتعش.

- ألا يكفي ذلك؟ سأل أمام صمتي. هل أتابع؟ أعلم أنك تتناولين المسكنات أو الأدوية أحياناً، وأنك تعانين من نوبات هلعٍ والشيء الوحيد الذي يهدئك هو لمس السوار على معصمك، وأنه تنتابك أحياناً كوابيس مروعة فتبكين أثناء نومك، أعلم أن لديك بعض الهواجس الغريبة عندما تكونين عصبيةً، فينبغي أن يكون كل شيء مرتباً ومصطفّاً ومثالياً، لكنني لاحظت مؤخراً أنك تحسنت، أعلم أنك لا تشربين الكحول، ربما لأنك أفرطت في الشرب في الماضي، أعلم أن العائلة موضوع حساسٌ بالنسة إليك، بل محذورٌ، سواء لأنك تبكين أمام **ملكة الثلج** أو لأنك تغيرين أي محادثة ذات صلة بالموضوع من قريبٍ أو بعيدٍ، وأعلم أن الموسيقى، موسيقى الروك على وجه الخصوص، محفزٌ لك وأن بعض الأغاني تجعلك مريضةً، وبما أنني لست غبياً تماماً، فأنا أعلم أنك فقدت شخصاً ما.

- صدقني، أنت لا تريد أن تكون معي، يا جيرمي.

رغم صوتي المرتجف، تكلمت ببعض الثقة. ابتلع ما تبقى من كأسه في جرعة واحدة ووضعه على المنضدة بحركةٍ حادةٍ.

- قولي إن علاقتنا لا تسير على ما يرام، أو إنك تحبين شخصاً آخر، أو إنني أزعجك فحسب، يمكنني سماع ذلك، لكن توقفي عن افتراض ما أريده وما لا أريده! الشيء الوحيد الذي أريده هو أنت. أعلم أن لديك أموراً من ماضيك ينبغي لك معالجتها، لكن إذا أردت أن تتحسني، يمكنني مساعدتك، فمعاً سيكون الأمر أكثر . . .

قاطعته بجفاء:

- «إذا أردتُ أن أتحسن»؟ ما الذي تلمح إليه؟ أنني لا أفضّل أن يكون كل شيء بسيطاً؟ ليست لديك أدنى فكرة عن «الأمور التي ينبغي لي معالجتها» كما تقول، ما يجب أن أتحمّله وما سيتعين عليّ تحمّله طوال حياتي!

- ليست لديّ أدنى فكرة لأنك لا تتحدثين إليّ! قال بغضب. والأمر ازداد سخفاً لأنني فهمت منذ زمن طويل ما تحاولين جاهدة إخفاءه!

ردّدت مثل رجلٍ آلي وأنا أضغط على حلي سواري بشدة لدرجة أنني شعرت بالمعدن ينغرز في راحة يدي:

- لا، هذا ليس صحيحاً...

- أتذكرين يوم مقابلتك في إيفردريم؟

كان قد استعاد هدوءه، واستخدم تلك النبرة الرزينة التي لا تكشف شيئاً عن مشاعره. هززت رأسي تلقائياً، لكني علمت في أعماقي أن الأوان قد فات بالفعل. تصدع الجليد تحت قدمَي ولا يمكنني العودة. كان عليّ أن أحتاط، وفي اللحظة التي شعرت فيها بأنه يمكنه فهمي، كان عليّ أن أبعده عن طريقي بدلاً من أن أتعلق به.

- توقف... رجاءً...

- سألتك إذا كان اسمك، «سميث-ريفيير»، له علاقة بسكارليت سميث-ريفيير. (ترك مجالاً للصمت). فأجبت أنه من الناحية الإحصائية، هناك الكثير من السميث-ريفيير في الولايات المتحدة، وأن هذا السؤال يُطرَح عليك منذ روضة الأطفال، وهو أمر غريب حقاً، إذ لم يكن أحد يعرف من هي سكارليت سميث-

ريفيير عندما كنت في روضة الأطفال، لأنكما، وفقاً لصفحتها على ويكيبيديا، ولدتما في نفس العام.

- كان ذلك أسلوباً مجازياً.

كان صوتي خافتاً ومرتجفاً ومثيراً للشفقة. استمر بهدوء، دون أن يشيح بنظره عني:

- فلنفترض. هل تعلمين ماذا يقال أيضاً على صفحة سكارليت سميث-ريفيير على ويكيبيديا؟ أنها وُلدت في رود آيلاند، مثلك، في بلدة ساحليةٍ نائية، مثلك. وكانت لها أخت مقربةٌ جداً، والأغنية التي شهرتها، **سيسترز**، كانت مهداةً لها... لست بحاجة لأن أقول لك إن اسم هذه الأخت هو أليس، أليس كذلك؟ فأنا أحترم أنك لا تريدين التحدث عن ماضيك، ولكن، لأكون صادقاً، ما يصعب عليّ تقبّله هو أنك لم تفكري للحظة أن تثقي بي.

هززت رأسي، وجدت صعوبة في التنفس. لقد تركته يفهم كل هذا، لقد فضحت نفسي ألف مرة، خطوةً خطوة، بلا هوادةٍ. شعرت بالألم. ألم أنني سأضطر إلى تركه، وألم ما رفعه إلى السطح.

أخذت نَفَساً عميقاً. لم يعد لديّ ما أخسره، فلعبت بطاقتي الأخيرة ورشقته بنبرة جليدية:

- أعفني من جلسة الطبيب النفسي، حسناً؟ ماذا تريد؟ تصفيقات لعملك كشيرلوك هولمز(1)؟ يمكن لأي كان أن يتصفح ويكيبيديا ويقول إن أختي كانت مشهورة، وإنني فقدتها في ظروفٍ مأساويةٍ... لكن لأكون صادقةً، لا أرى صلة ذلك مع ما يحدث

(1) Sherlock Holmes هو شخصية خيالية لمحقق ابتكرها الكاتب والطبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل - المترجمة.

بيننا وحقيقة أنه من الواضح أننا لم نعد نريد الشيء نفسه!

ملأ كأسه من جديد وارتشف رشفةً دون أن يشيح بعينيه الصافيتين عني، ففهمت أنني خسرت. كان عليّ أن أعرف منذ البداية أنه فهم، أنه رأى في داخلي أكثر بكثير من الآخرين. كان عليّ أن أعرف ذلك، ولأكون صادقةً مع نفسي، كان هذا بالضبط سبب تعلقي به.

- هذا ليس على الإطلاق ما استنتجته، قال بهدوء.

نهض وتوجه نحو صندوق الأسطوانات الموضوع على الأرض وبدأ يبحث فيه. تجمد دمي في عروقي. وضع الأسطوانة على طاولة القهوة أمامي وانقبضت رئتاي فجأة.

- في المرة الأولى التي أتيت فيها إلى هنا، نظرت إلى هذه الأسطوانة وقلت لك إنني معجب كبير.

من غلاف الأسطوانة، حدقت فيّ بوقاحة العينان المثقلتان بالمكياج.

لا أعرفها، لم أعد أعرفها.

تنفّسي.

لم أجب. لم أكن قادرة على ذلك جسدياً، شعرت بعقدة في المريء، وبتراب يملأ حلقي كما لو كنت أغرق في رمال متحركة. عبر بصيصٌ من القلق عينَي جيرمي وأمسك بي فيما كنت أترنح. كنت أرتجف من رأسي إلى قدمَي. تشنجت يداي على ذراعيه ولم أعد أعرف ما إذا كنت أرغب في التمسك بهما أو دفعهما بعيداً. تلعثمت:

- أنت مخطئ تماماً...

قاطعني بلطفٍ بذلك الصوت الأجش الذي يطمئنني عادةً لكنه

قضى عليّ تماماً هذه المرة.

- في حفل الديوالي. . . كل ذلك السواد حول عينيك وشعرك المنسدل، كان الشبه واضحاً

فكرة أنني قد لا أراه مجدداً بعد هذه الليلة عصرت قلبي. تسمّرت في مكاني. كان عليّ أن أركض ما دام ذلك ممكناً، لكن لم تعد أطرافي تطيعني، بل حتى أني لم أتمكن من الرد.

- . . . ثم كل هذه التفاصيل الصغيرة. . . حقيقة أنك لا ترغبين أبداً في الاستماع إلى الموسيقى، والمحادثة الغريبة التي أجريتها مع رضا في الندوة حول فعالية الليزر في إزالة الوشوم، وعدم فهمك درجات سلسيوس، وهو أمر غير منطقي بالنسبة إلى فتاة ذكية مثلك من المفترض أنها عاشت في لندن. . .

وأخيراً، ردد تلك الجملة البسيطة، التي بدت عابرة والتي جمدتني قبل قليل وفجرت كل الحواجز التي بنيتها بعناية على مدى السنوات الخمس الأخيرة، وكل طبقات الأكاذيب المكدسة بدقةٍ. وبينما كنت أتساءل أين ومتى حدثت رفرفة جناح الفراشة التي تسببت للتو في انهيارِ عالمي، انكسر الجليد تحت قدمَي وسقطت في هاوية الواقع التي لا نهاية لها.

- وحتى من دون كل هذا، كنت سأعرف مَن أنت في أول ليلةٍ قضيتِها هنا: لقد سبق وقلت لك يا سكارليت، أنت تغنين أثناء الاستحمام.

يوميات أليس

لندن، 15 مايو 2012

حسناً، يا بروس. لقد غادرت سكارليت. أنا حزينة ومكتئبة للغاية بطبيعة الحال. لقد اصطحبتها إلى مطار هيثرو منذ قليل، وقبل أن نفترق، أعطيتها علبةً على عجل.

- لدي هدية لك.

فتحتْها ووجدت سواراً تدلت منه ثلاث قطع حلي صغيرة، واحدة على شكل سمكة، والثانية على شكل قارب، والثالثة على شكل منارة صغيرة. كان مبتذلاً تماماً، لن أخفي عنك ذلك، فقد اقتينته من سوق كامدن تاون أول أمس، إلا أنه ذكرني بكوينزتاون.

- أردت أن أشتري لك شيئاً يذكرك بطفولتنا وبرود آيلاند عندما تصبحين نجمةً.

- إنه لطيف جداً، قالت كاذبة.

انفجرتُ من الضحك.

- أيتها المسكينة، أنا أعرفك جيداً، هل تعتقدين أنني لا أعرف عندما تكذبين؟

ضحكتْ وربطته بمعصمها بين أساورها العديدة التي غطت جلدها الموشوم.

- إذا شعرتِ بالحزن أو الوحدة، فبفضله سأكون بجانبك دائماً.

حضنتني سكارليت بشدة.

- شكراً لك يا أليس، همستْ، إنها هدية جميلة.

ولكي أخفي عينَيّ المبتلّتين، دفنتُ وجهي في شعرها الوردي والبلاتيني. كانت رائحتها تشبه رائحة البابونج، وهي الرائحة نفسها منذ طفولتنا، فقلت في نفسي: عندما ستصبح سكارليت مشهورة، سأكون الشخص الوحيد في العالم الذي يعرف هذا التفصيل.

- أعلم أنه قبيح، واصلتُ ضاحكة، لذلك سأسمح لك بأن تلبسيه فقط عندما تفتقدينني.

- سألبسه طوال الوقت إذاً، لأنني أفتقدك طوال الوقت، أجابت.

منحتني إحدى ابتساماتها الدافئة، النادرة والمشرقة كشعاع شمس في شهر ديسمبر. تلك الابتسامة التي ورثتها من والدنا والتي لم تسامحها عليها أمي أبداً، ابتسامة أنارت قاعة المغادرة لفترة وجيزة. ثم اختفت عند أعلى السلالم المتحركة لتطير نحو الجهة الأخرى من المحيط الأطلسي وتسجل أغنية عني. لن أراها مجدداً حتى عيد الميلاد، بعد أكثر من ستة أشهر. . . فكانت تنوي زيارتنا في لندن مع أمي. ومن يدري، يا بروس، ربما في المرة القادمة التي سأرى فيها أختي الصغيرة، ستكون نجمة موسيقى الروك. سيكون هذا طريفاً، أليس كذلك؟

توقفتُ عن البكاء، وتوقفت عن الارتجاف. فتحتُ الذراعين اللتين أبقاهما جيرمي ملتفّتين حولي بإحكام وتراجعت خطوةً إلى الوراء. تحدث إليّ، لكنني لم أسمعه. حدقنا أحدنا بالآخر لبضع ثوانٍ بدت لي أبدية. كان يمكنني أن أنكر. أن أتظاهر بعدم الفهم. لكن الأوان كان قد فات. توجهت نحو الباب دون أن أنبس بكلمة وارتديت معطفي.

- إلى أين أنت ذاهبة؟

أغلقت سحّاب معطفي. ارتعشت أصابعي على نحوٍ غير ملحوظ. كنت لا أزال في حالة صدمةٍ. كانت نوبة الهلع ستستغرق بضع دقائق لتنتابني على ما أظن، ريثما أدركت تماماً ما كان يحدث. أو قد لا تنتابني. قد تكون الحقيقة أقل رعباً من الكذب المستمر. شعرت بصفاء في الذهن أكثر من أي وقت مضى.

- سأغادر، قلت ببساطةٍ.

- ألا تعتقدين أنه يمكننا أن نتحدث؟

- لا.

- اسمعي، أنا...

- اتفقنا على أنه يمكننا أن نوقف كل شيءٍ متى أردنا، من دون تفسير ولا تبرير، لذا إليك هذا: لا أريد رؤيتك بعد الآن.

قاطعته ببرودةٍ، بنبرةٍ خالية من التعبير، ولأؤكد قراري، نظرت في عينَيه مباشرةَ وأضفت:

- إطلاقاً.

رأيت أنني جرحته. في ظروف أخرى، كان سيؤلمني ذلك، لكن الغريب أنني لم أشعر بشيءٍ. شعرت ببردٍ شديدٍ فحسب. رغبت في البقاء لكني فتحت الباب. كان بإمكاني ربما مشاركة سرّي مع شخص مثل جيرمي، شخص مخلص، شخص قوي. ثم لَفَظَ من جديد الاسم الذي لم أرغب في سماعه أبداً، اسمي، اسمي الحقيقي، فسحقتْ قلبي لكمةٌ جليديةٌ، كما لو أن أليس ماتت مرة ثانية. بسببي. لم أستدر. كنت أعلم أنه لن يلحق بي. لا يمكنه ترك زوي وحدها في الشقة. لم أضطر إلى الركض على الدرج، اكتفيت بتجاهل صوته الذي تردد صداه من فوق الدرابزين. لا مطاردة، لا مصالحة تحت المطر. صفحةٌ تطوى. مجدداً.

عندما فتحت باب البناية لأخرج، كانت السماء تمطر بغزارةٍ، بحيث حجبت طقطقة القطرات على الأسفلت ضوضاء المدينة. الآن، قلت في نفسي، ستنتابني النوبة الآن. سأكون وحدي في الشارع. لا بأس. في أسوأ الأحوال، سيأخذني أحدهم إلى الطوارئ. أو سأتوقف عن التنفس. لن تكون هذه أسوأ النهايات.

لكن لم أتعرض لأي نوبةٍ. بقيت مسمرة تحت المطر، أنتظر أن يسحقني الهلع. لا شيء. فعدت إلى المنزل سيراً على الأقدام، دون أن أبالي بالمياه التي تتقاطر على رقبتي. شعرت بهاتفي يهتز عدة

مرات في حقيبتي. جيرمي على الأرجح. جيرمي الذي لن أراه بعد الآن. تشكلت كتلة من الألم في صدري جراء هذه الفكرة.

ثم، في مكان ما بين ضفاف قناة سان مارتان ومترو بون-نوفيل، توقفت. كان هناك رجل يعزف على الغيتارة. كانت هذه سخريةً مطلقةً من الكون الذي يستهزئ بي لأنني لم أتمكن أبداً من الالتزام بقواعده. ارتفع تحت الرواق المقنطر، مثل أغنيةٍ دينيةٍ تحت قبو كاتدرائيةٍ، لحنٌ رقيقٌ وحزينٌ أعرف كل نغمة منه عن ظهر قلب. **أويسس، وندروول**. توقفت. وعلى نحوٍ آليٍّ، وبصوت منخفض، شكلت شفتاي الكلمات المألوفة جداً لدرجة أنّ نطقَها كان طبيعياً مثل التنفس:

كان عليك الآن بطريقةٍ ما
أن تدرك ما يجب عليك فعله
لا أصدق أن أي أحدٍ
قد يشعر تجاهك بما أشعر به أنا

كان عازف الغيتارة في الخمسينات من عمره، رفع رأسه نحوي وابتسم لي من تحت لحيته الرمادية، دون أن يتوقف عن العزف.

فحدث شيء ما. شيء لم يحدث منذ سنواتٍ. سمعت. بقبقة القطرات الإيقاعية في البرك، طنين السيارات والنوتة الحادة لأحد الأبواق، إيقاع خطى المارة على الرصيف المبلل. صوت أوركسترا حية من حولي. الموسيقى التي غلفتني، تلك التي كنت أسمعها سابقاً، تلك التي طارت بعيداً يوم 22 ديسمبر 2012، عندما تركتني أختي الكبرى، توأم روحي أليس، وحدي في هذا العالم بالأسود والأبيض.

بقيت هناك حتى نهاية الأغنية. عند انتهائه من العزف، وضع الرجل الغيتارة في حقيبتها وفتشت أنا في حقيبتي. لم يكن لديّ سوى ورقة خمسين يورو في محفظتي. أعطيته إياها. حدق فيّ، غير قادر على شكري من شدة اندهاشه.

- شكراً لك، قلت.

ثم، لاشعوريّاً، رفعت يدي نحو معصمي، فانزلقت أصابعي تحت معطفي بحثاً عن حلي السوار. لا شيء. رفعت كُمي ونظرت في كُم سترتي أيضاً. خلعت معطفي تحت المطر كالمجنونة، ثم سترتي، وأمسكت معصمي عشرين مرة، وقلبت أكمام ملابسي بيدَيَ المرتعشتين، دون أن أبالي بالماء الذي اخترق قماش بلوزتي القطنية الرقيقة، ونظرت من حولي مثل مدمنة تبحث عن حقنتها. لا شيء. لقد سقط السوار. متى؟ لا أعرف. لم أخلعه منذ اليوم الذي أهدتني إياه أليس في المطار كتذكار لزيارتي في لندن. حدقت في معصمي العاري وأنا مذهولة ومبتلة حتى النخاع، تحت الضوء المرتعش لمصباح الشارع، لوقت لا أستطيع تحديده. هل كانت هذه علامة؟ علامة على أنها تركتني نهائياً، أنني خنتها إلى حد لا تستطيع فيه أن تسامحني؟ علامة على أنني كنت وحدي الآن؟ ثم صعقتني الحقيقة. وميزة أنّ أمري قد اكتُشِف تمثّلت في أنني لم أعد مضطرةً للاختباء. لا قواعد لاتباعها ولا داعي لأن أكون شخصاً آخر بعد الآن. كان بإمكاني أخيراً أن أعُود نفسي من جديد.

التقطت سترتي ومعطفي من الأرض ببطءٍ، وأعدت ارتداءهما دون أن أبالي بالماء والطين اللذين لطخاهما وواصلت طريقي.

توقفت عند متجر فرانبري في أسفل منزلي، وتوجهت مباشرةً إلى الصندوق.

- أبسولوت، قلت لأمين الصندوق، مشيرة إلى الخزانة الزجاجية خلفه.

نظر إلى ملابسي المبللة بطرف عينيه، ولا بد أنني بدوت مجنونةً، لكنه استدار وفتح القفل واللوح الزجاجي وسحب زجاجة فودكا وضعها على الحزام الناقل. ثم باشر في إغلاق الخزانة من جديد.

- أرغب في شرائها كلها.

توقف بغتةً وحدق بي. بدا في العشرينات من عمره، وكان وجهه ذو الخدين الممتلئين مرصعاً بندبات حب الشباب.

- ماذا تعني بكلها؟

- كل زجاجات فودكا أبسولوت.

حدق بي من جديد، مذهولاً، واحمرّ وجهه فجأة، دون أن يجيب. تنهدت.

- هل هذا سوبر ماركت أم متحفٌ؟

- سوبر. . . سوبر ماركت، تلعثم.

- لذا أرغب في شراء زجاجات فودكا أبسولوت الموجودة خلفك، من فضلك. هناك ثماني زجاجات.

لطالما كنت جيدةً في الرياضيات. هذا هو الإطراء الوحيد الذي وجّهه لي والدي على الإطلاق.

أخرجت بطاقتي الائتمانية من محفظتي ووضعتها على الحزام الناقل. بعد لحظة من الصمت، أدار لي ظهره وأمسك بالزجاجات. وضعها في كيسين بلاستيكيين كبيرين، وقال إن الواحد منهما يكلف ثلاثين سنتاً. دفعت وخرجت. لم يرد على «إلى اللقاء» التي ودعته بها.

أشعلت كل الأضواء عند وصولي المنزل. وضعت زجاجةً على طاولة القهوة في غرفة المعيشة، ثم أفرغت محتويات المجمد وألقيت بالأطعمة في الحوض، وصففت الزجاجات السبع المتبقية مكان الخضار المجمدة.

راقبني ديفيد بوي من إحدى زوايا المطبخ، وعيناه الضيقتان مليئتان بالريبة. قبّلت رأسه، فصدر منه مواء وكأنه يسائلني.

- شرحُ الأمر لك سيتطلب مني وقتاً طويلاً، يا قطي الصغير.

ابتلعت حبتين لكسوميل في الحمام مع كوب كبير من الماء، ثم عدت إلى غرفة المعيشة، وجثوت على ركبتَي وراء الأريكة وأعدت توصيل نظام الموسيقى الذي لم تأت الوكالة لاسترجاعه، ثم مزقت القماش ذا الزخارف الإفريقية الذي غطى الصناديق التي شحنتها من الولايات المتحدة والتي لم أفتحها أبداً، وعاينتها إلى أن وجدت الصندوق الذي كنت أبحث عنه. كان عالياً ومغلقاً بعنايةٍ، وكُتِب على جانبه، بالإضافة إلى شريط «هش» الأحمر، حرف واحد بالقلم الأسود العريض: «ف». مزقت الشريط وانحنيت على الصندوق. انتابتني القشعريرةٍ وكأنني أصبت بالحمى. انتظرت بضع ثوانٍ في صمتٍ، لا أجرؤ على لمسه. ثم أخرجت الغيتارة من الصندوق ببطءٍ، وفتحت الحقيبة المغطاة بالملصقات وأنا جالسة على الأريكة. داعبتْ يدي البريق الرديء بلطف، ثم لمست أصابعي الحروف الخمسة المنقوشة على الظهر بالقلم المصحح، التي محتها السنين جزئياً، إلا أنها كانت لا تزال مقروءة.

فينكس

لم أخشَ سيل المشاعر. لم أخشَ نوبات الهلع. لم أكن أختنق. بل العكس، لم أتنفس بهذه الحرية منذ زمن طويل. أخذت

زجاجة الفودكا عن الطاولة وألقيت السدادة على الأرض وابتلعت ثلاث رشفات طويلة من عنقها قبل أن أضعها على الطاولة من جديد. كان الكحول دافئاً فتجهّمت، لكن غمرتني حرارته. مضت سنواتٌ منذ آخر مرة شربت فيها، منذ آخر مرة شعرت بعذوبة السم الخائنة هذه تنتشر في عروقي. إنه أكثر سبل الفرار جبناً، كنت أعي ذلك تماماً. ثم عزفت نوتةً على الآلة الموسيقية غير المتناغمة. الوتر الأول، الأكثر حدةً. تردد صداها، الشاذ تماماً، في غرفة المعيشة البيضاء، فإذا بي أبتسم رغم دموعي وأهمس:

- مرحباً بكِ مجدداً، يا صغيرتي.

مقتطف من مقابلة مع سكارليت سميث-ريفيير، مجموعات الروك، سبتمبر 2012

- ما مصدر إلهامك؟

سكارليت س. ر.: (تضحك) إذا أجبتك بصراحة، فسيقولون مجدداً إنني مجنونة...

- حاولي، لن أصدر الأحكام...

سكارليت س. ر.: حسناً... هناك مكان أذهب إليه أحياناً، ما بعد آخر العالم. هو عبارةٌ عن شاطئٍ، ولكن كل شيء فيه أسود: الرمل، السماء، المحيط... لا أعود أعرف أين تتوقف الأرض وأين تبدأ السماء. أكون فيه وحدي وأشعر بالبرد. (صمت). لا أفكر في شيء ولا في أحدٍ... ثم أسمع هديراً مدويّاً يجعل السماء ترتجف... موجة سوداء ضخمة. لا أراها، لكني أشعر بها وبنَفَسِها الجليدي يخترق روحي. عنفٌ لا مثيل له، يمثّل كل غضبي، كل الأشياء التي لطالما أزعجتني، كل الإذلالات التي تفرضها عليك الحياة... (صمت). ليس فقط معاناتي بل معاناة الآخرين أيضاً... لأكون صادقةً، لم أفهم أبداً كيف يمكن لكل هذا الغضب والظلام أن يولِّد فناً، لكني أعلم أن الجمال يأتي من هناك. وأنه يجب عليّ أن أقاتل. إذا لم أكن خائفةً، إذا لم أكذب، فقد أتمكن من ترويض الموجة السوداء وجعلها شيئاً جيداً: موسيقى أو شِعر. لكن إذا تركتها تغمرني يوماً دون أن أفعل شيئاً...

- ماذا إذاً؟

سكارليت س. ر.: (تضحك) سيبتلعني الظلام... ولن يكون هناك سوى الصمت، أخيراً.

من: سرانيا غودواني

إلى: آليس سميث

في: 03 أبريل 2019

الموضوع: الركض

مرحباً

لقد انتظرتك عند بوابة التويلري هذا الصباح. اتصلت بك أربع مراتٍ لكن ردّ عليّ مجيبك الآلي.

أعيدي الاتصال بي.

قبلاتي

من: أنجيلا سرينيفاسان

إلى: آليس سميث

في: 04 أبريل 2019

الموضوع: أخبار

أهلاً يا بلاد العجائب، إنها الأرض...

هل تلقيتِ رسالتي الإلكترونية الأخيرة؟ أنت لم تردي عليها :-(

وافيني بأخبارك، أنت حتى لست متصلةً على الواتس آب...

آمل أن يكون كل شيء على ما يرام.

مع حبي،

أنجيلا

من: جين ثومسون
إلى: أليس سميث
في: 06 أبريل 2019
الموضوع: الإيجار

مرحباً سيدة سميث،
أنا لم أستلم حوالة الإيجار لشهر أبريل. وبما أنك تدفعين دائماً أول كل شهر، وددت فقط تذكيرك بالأمر.
مودتي،
جين ثومسون

2019

فصل الصيف

«آمنة وسعيدة هي الحالة الوحيدة التي يمكنني أن أكون فيها،
لا يمكنني أن أخسر، لا يمكنني أن أفشل، لا يمكنني أن أتوه
أو أن أشعر بالوحدة،
ليس هناك من شيء أخشاه، وأنتِ بجانبي،
لأنني أعلم أنكِ ستنقذينني عندما أسقط، في كل مرة».

سكارليت س. ر. والفينيق الأزرق، سيسترز

فتحتُ عينَي ورأيت السماء. لا زاوية مدفأة، ولا قطعة من سقف أردوازي باريسي، ولا بقعة إسمنت، ولا حافة حوض نبات الجيرانيوم. مجرد مربعٍ من سماء صيفية، زرقاء تماماً. صافيةٌ مثل سماء ناراغانسيت في شهر أغسطس.

هل أنا ميتةٌ؟ شعرت بصداعٍ نصفي فظيع وكأن دماغي ذاب في جمجمتي وبغثيان رهيب. هذا ما قد يكونه الجحيم. أسوأ صداع كحول وإلى الأبد.

فردت ذراعَي وشعرت بسماكة لحافي تحت راحتَي. أنا في سريري. بدا الجو جميلاً. كانت هذه المعلومات الوحيدة التي لديّ عن العالم الخارجي. لم أعرف أي يوم كنا، ولم أعرف ما إذا كانت الشمس فوق رأسي هي شمس الصباح أو شمس آخر الظهيرة، أو ما إذا تم الإعلان عن حربٍ منذ أغلقتُ الباب على نفسي وعلى زجاجات الفودكا الثماني، لكن أن أسأل نفسي هذه الأسئلة كان دليلاً على درجةٍ عالية من صفاء الذهن. كان ديفيد يقفز على السرير ويئن، فمررت يدي على فروه.

- مرحباً يا صغيري.

كان صوتي أجش. مددت يدي نحو منضدة السرير والتقطت

علبة أدوية على نحوٍ عشوائي. كانت الزجاجة الأولى فارغة. تلمّست المنضدة من جديد وأسقطت القوارير البلاستيكية التي تدحرجت على الأرض، فخرجتُ من تحت اللحاف منزعجةً واستعدت جميع الزجاجات المقلوبة على المنضدة أو على السجادة، تفحصتها وأدركت بفزع أنها كلها فارغةٌ. نهضت من السرير، وتحسست السجادة وأنا جاسية على ركبتَي، باحثةً عن حبة، حبة واحدة قد تكون تدحرجت على الأرض. لا شيء. أمسكت زجاجة فودكا، فارغة هي الأخرى. جلست على السرير ببطء، وقمت بصف القوارير البلاستيكية بعناية على منضدة السرير. ألقيت نظرة من حولي لأول مرة. كانت الزجاجات المفتوحة مبعثرة هنا وهناك، وكانت علبة رافيولي نصف مأكولة قد تدحرجت حتى الخزانة، تاركة وراءها على السجادة أثراً دموياً من صلصة الطماطم، وكان أحد مصباحَي جانب السرير مرمياً على الأرض وغطاؤه ممزقاً. فوضى. ومع ذلك، لم يؤثر فيّ هذا المشهد. **لقد مررت بهذا من قبل. عدت خمس سنوات إلى الوراء. كنت قد أقسمت لنفسي أن هذا لن يتكرر أبداً. كنت قد قطعت وعداً لأليس بأنني سأتوقف عن الشرب.** نهضت. كان صندوق الصيدلية في الحمام منقلباً في حوض الاستحمام، لم يتبق فيه شيء سوى علبة دوليبران. وبجهدٍ خارقٍ، توجهت إلى المطبخ وفتحت الثلاجة. فارغٌ أيضاً. حدقت في قاع الدرج بذهول.

أرجعني مواءٌ إلى الواقع. كان ديفيد يقضم طعام القطط المتساقط من عبوة مفتوحة تناثر محتواها على البلاط. لحسن الحظ، لم أنسَ في هذياني إطعام الكائن الحي الوحيد الذي يمكنني الاعتماد عليه.

خرخر، لكنه سمح لي أن أضمّه إلى صدري. ملأت وعاءً

بالحليب وآخر بالماء ووضعتهما على البلاط، فهرب من بين ذراعَي ليروي عطشه.

كم من الوقت قد مضى؟ رفعت يدي إلى جبهتي، كانت تقطر عرقاً لكني شعرت بالبرد مع ذلك. ارتجفت يداي. من فوق منضدة المطبخ، لمحت فينكس، مهجورة على الأريكة. كانت هناك زجاجتان فارغتان على طاولة القهوة. فركت عينَي، شعرت وكأن خلاياي العصبية مرت في الغسالة. كان رأسي يؤلمني لدرجة أنني لم أستطع التفكير. كيف أنني لم أُصب بنوبة هلعٍ؟ ولم أتعرض حتى لبداية اضطراب تنفسي؟

ثم سمعت طرقاً على باب المدخل، وصدى محادثة عند الردهة. تذكرت فجأة أجراساً أخرى قُرِعَت، وأصواتاً نادتني مراراً وتكراراً، وضربات على الباب. قد يكون ذلك بالأمس أو قبل أسبوعين. لم تكن لديّ أي فكرة. لم أفتح الباب. كانوا يعبثون بالقفل. تنهدت. سيدخلون. ثم خطرت لي فكرة سخيفة. مثل وميض عابر من شأنه أن يضيء غرفةً مظلمةً.

قد تكون أليس.

كان من الواضح أنني كنت لا أزال تحت تأثير الكحول. توجهت مترنحة نحو باب المدخل. رأيت انعكاسي في المرآة فصدمني مظهري. تذكرت أنني كنت قد وضعت المكياج وكان السواد يحيط عينَي، كما في الماضي، الكثير من السواد... أملت رأسي، وتفاجأت أنني لم أشعر بالاشمئزاز ولا الغضب، بل على العكس من ذلك، شعرت بالارتياح الذي نشعر به عندما نرى صديقة قديمة لم نسمع عنها منذ زمن طويل. سمعت أصواتاً جديدة خلف الباب. فتحته بغتةً. كاد صانع الأقفال الجاثي على ركبتيه خلف

الباب يسقط عند قدمَي. لا بد أنني ميتة لأرى ملائكة عند بابي. ثم أدركت أنه من جهةٍ، إذا كنت ميتةً، فسأكون في الجحيم ولن يكون هناك ملائكة، ومن جهةٍ أخرى، من غير المرجح أن ألتقي بصانع أقفال هناك.

عمَّ الصمت. حدقتْ بي أنجيلا، التي بدت أنيقة على نحوٍ خاص في فستان أزرق يتناسب مع صندلها، بفم مفتوح وعلى وجهها مزيج من الارتياح والدهشة. ثم استعادت رباطة جأشها، وتخطت بخطوة حازمةٍ صانع الأقفال الذي كان لا يزال جاثياً على ركبتيه على الأرض، وضمّتني بين ذراعيها.

- لقد أخفتني كثيراً، يا أليس، همست لي.

لم أتفاعل على الفور مع عناقها، لكن في اللحظة التي تركت فيها رأسي يحط على كتفها وأغمضت عينَي، هدأتني رائحتها المألوفة المكونة من الحمضيات والفانيليا. بدا أن مزيج الزاناكس[1] والفودكا بجرعات قوية يفقدك تماماً الشعور بمرور بالوقت، لأنني لم أعرف كم من الوقت بقينا متعانقتين في الردهة. أعادتنا نحنحة صانع الأقفال إلى الواقع.

- معذرةً، سوف أسدد لك أتعابك، قالت له أنجيلا بالإنجليزية بصوتها الدافئ والموثوق.

دخلت الشقة وجرّت بإحدى يديها حقيبتها ذات العجلات وهي تدفعني في الردهة باليد الأخرى. أخرجت محفظتها ودفعت للرجل الذي شكرها ثم أغلقت الباب.

---

(1) Xanax هو عقار يستخدم لعلاج اضطرابات القلق ونوبات الهلع - المترجمة.

وضعت يدها الباردة على جبهتي، وقطبت حاجبيها الكثين وامتلأت عيناها البنيتان الكبيرتان بالقلق.

- لديك حمى.

عبرت الغرفة الرئيسية وتبعتها، خائفة أن تبتعد من جديد. توقفتْ للحظة عند عتبة غرفتي وشعرتُ بالخجل من زجاجات الفودكا الملقاة على الأرض، ومن الفوضى والقذارة اللتين سادتا في المكان.

- أرى أن الأمور تسير على نحوٍ أفضل من حيت التنظيم والهوس، لاحظت مستهزئةً.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ثم تنهدت تنهيدة خفيفة.

- حسناً، لنعالج شيئاً تلو الآخر.

توجهتْ إلى الحمام، وسمعتُ الخزائن تُفتح وتُغلق والماء يتدفق في حوض الاستحمام. وبعد بضع دقائق، عادت وناولتني كوباً من الماء وحبة دوليبران. وعندما تناولت الحبة، أخذتني إلى الحمام.

- لقد أعددت لك حماماً. لا تشكريني، فأنا لم أقم بذلك من أجلك، بل من أجلي، إذ تفوح منك رائحة شخص لم يستحم منذ اختراع مياه الأنابيب.

تركتني وحدي ونزعتُ قميصي التحتي. كان مغطى بالعرق. تركتُ سروالي الجينز يسقط على الأرض. شعرتُ بالقشعريرة. انزلقت في الماء الساخن الذي من الواضح أن أنجيلا سكبت فيه أنبوب الرغوة بأكمله، وأغمضت عينَي فأرخت الحرارة قليلاً عضلاتي المتشنجة. سمعت أنجيلا تتحدث على الهاتف وهي تتحرك في الغرفة المجاورة.

طرقَت الباب مرتين.

- هل يمكنني الدخول؟

وضعتْ على الحوض منشفة نظيفة وجدتْها في خزانة غرفة نومي. كانت سماعتاها موصولتين بأذنيها، وواصلت التحدث على الهاتف.

- آبي يقبّلك، قالت قبل أن تغلق الباب، وكأن هذا الوضع برمّته كان طبيعياً تماماً.

ظللت في حمامي حتى صار الماء دافئاً، ثم لففت نفسي برداء الحمام قبل أن أعود إلى الغرفة، حيث كانت الزجاجات الفارغة وعلب الأدوية والمعلبات المفتوحة قد اختفت. كانت أنجيلا قد غيّرت الملاءات وأخرجت لي بيجاما، وكانت الآن جاثية على الأرض، مرتديةً فستانها الأنيق وقفازاتي المطاطية الوردية، تفرك بقوة بقعة صلصة الطماطم على السجادة. كان ديفيد يراقبها باهتمام، فهو لطالما أحب أنجيلا. لكن من لا يحب أنجيلا؟

- هل أنت جائعة؟ سألتني. منذ متى لم تأكلي؟

هززت رأسي.

- لا أعلم، بصراحةٍ.

- حسناً، اذهبي إلى الفراش، سأحضر لك شيئاً لتأكليه.

ارتديت بيجامتي وانزلقت بين الملاءات التي فاحت منها رائحة الغسيل. تموضعتُ في السرير لأتمكن من رؤية مربع السماء الزرقاء الصافية من جديد. لاحظت أن لونها أصبح داكناً، فلا بد أن المساء قد حل. بعد ربع ساعة، عادت أنجيلا ووضعت أمامي كيساً ورقياً نظرتُ إليه بذهول.

- أنت، أحضرت لي وجبة ماكدونالدز؟

- لم أعتقد أن الحساء النباتي من المطعم أسفل البناية سيكون كافياً لعلاج صداع الكحول الذي تعانين منه حالياً. لكن إذا أخبرت آبي أنني وضعت قدمَي في مطعم ماكدونالدز، فسأقتلك.

ولأول مرة منذ ما بدا لي دهراً، وجدت القوة لأبتسم. أخرجت البيغ ماك من الكيس، فأدركت أنني أتضور جوعاً، وابتلعت الوجبة حتى آخر حبة بطاطس مقلية. ثم جمعت أنجيلا العبوات ورمتها في سلة القمامة بعد أن فتحت المنور فوق رأسي لإزالة رائحة القلي.

عند عودتها، جلست على السرير بجانبي وداعبت شعري.

- حاولي أن تنامي، همست في أذني، وسنذهب غداً لزيارة الطبيب.

- هل يمكنك البقاء معي؟

- نعم، لن أذهب إلى أي مكان.

- كيف عرفت بأمري؟

- اتصل صديقك جيرمي بسرانيا، التي اتصلت بي بدورها، وبما أنني لم أسمع عنك منذ أسبوعين، انتابني الفزع واستقللت أول طائرة.

انقطاع تام لمدة أسبوعين.. كان هذا سلوك روك أند رول.

- أريد فينكس.

- من؟

- غيتارتي.

ودون أن تنبس بكلمة، نهضت لإحضار الغيتارة من غرفة المعيشة ووضعتها بجواري. وضعت يدي على المقبض، فهزت أنجيلا رأسها، في حيرة من أمرها.

- لم أطرح عليك الأسئلة أبداً، يا عزيزتي، لكن في مرحلة ما، سيتعيّن علينا أن نتحدث.

كنت لا أزال مشوّشة الذهن ولم تكن لديّ القوة حتى لأومئ برأسي.

- غداً... وأيضاً... جيرمي لم يعد صديقي، تمتمتُ قبل أن أغرق في نوم عميق.

- سعيدةٌ برؤيتك مجدداً، يا أليس.

- شكراً لك.

- لا أفترض أنك أتيت من أجل وصفة طبية هذه المرة؟

- لا.

- حسناً، أخبريني، ما الذي تريدين التحدث عنه؟

- عن... عن أختي...

- كلي آذان مصغية.

- لا أعرف من أين أبدأ.

- من البداية، مثل كل القصص. ما اسم أختك؟

- أليس.

ضيّقت الطبيبة النفسية عينيها وألقت نظرة على مذكرتها لتتأكد من أنها لم تخطئ في حفظ اسمي.

- كانت أختي الكبرى تدعى أليس، شرحت ببطء، أما أنا، فاسمي سكارليت.

وأثارت هذه الجملة الصغيرة البسيطة التي أثقلت قلبي بكل شعور بالذنب في العالم ارتياحاً كبيراً أدركت أنني كنت أنتظره منذ سنوات.

- سكارليت، حسناً... لكن... قالت مستوضحة.

- كان ذلك في 22 ديسمبر 2012، أنا... أليس...

أجهشتُ بالبكاء، غير قادرةٍ على المواصلة. مدّت لي علبة مناديل، وبالرغم أنها حاولت أن تحافظ على تعابير محايدة، كان بإمكاني أن أرى أنها لم تفهم شيئاً.

- ماذا حدث في 22 ديسمبر 2012، يا سكارليت؟

- ماتت أختي، قلت والدموع تنهمر على خدَّي، بسببي.

- كيف... لماذا؟

مخطتُ بصوت عالٍ، وانتابني فجأة تعب هائل. فأنا التي تساءلت، في آخر مرة أتيت فيها إلى هنا، كيف يمكن للمرء أن يبكي عند الطبيب النفسي، عرفت الآن الجواب على هذا السؤال. رغبت في أن أختفي تحت لحاف لبقية حياتي، لكن كان عليّ المضي قُدماً. إذا لم تظهر الحقيقة، فسوف تخنقني من الداخل. كان صوتي كالهمسة، بالكاد يُسمَع حين أجبتها:

- لأنني تأخرت.

يوميات أليس

كوينزتاون، 12 ديسمبر 2012

أنا في المنزل يا بروس!

كان من المفترض أن تأتي أمي وسكارليت إلى لندن في عيد الميلاد، لكننا اضطررنا أن نعود إلى الولايات المتحدة لدفن ريتشارد، والد أوليفر. لقد أصيب بنوبةٍ قلبيةٍ صاعقةٍ. أوليفر المسكين تعيس للغاية، لكنه شعر بالمواساة بعض الشيء عندما التقى مع أخواته.

لقد بقي في كاليفورنيا مع آشلي وكيلي لمتابعة الأمور المتعلقة بتركة والدهم، وأصر على أن أغتنم هذه الفرصة لزيارة كوينزتاون. كانت سكارليت قد عادت إلى المنزل قبل بضعة أيام وكان يعلم أنني قلقة بشأنها. كنت قد أخبرته أنني حزينة لعدم قدرتي على الاحتفال بعيد ميلاد أختي السابع والعشرين في مقهى بيتش كافيه، أمام كوب الشوكولاتة الساخنة المعتاد الذي يُقدمه لنا جيمي.

كان بإمكاننا قضاء أعياد نهاية السنة في كوينزتاون، لكن أمي، التي حضّرت نفسها لهذه الرحلة منذ شهور، أرادت بشدة رؤية لندن في عيد الميلاد.

لقد تكفلنا بالأمر في آخر لحظة ولن تصدق كم تعذبنا للعثور على تذاكر الطائرة، فمع اقتراب العطل، ارتفعت الأسعار بشكلٍ جنونيٍّ. أنا التي قمت بتدبير كل شيء بطبيعة الحال، فيما تسكعت سكارليت في بيجامتها أمام التلفاز طوال اليوم وأطفأت راديو المطبخ كلما بُثَّت إحدى أغانيها، أي حوالي مرة كل ساعة، ما أغضب أمي، التي تحب إبقاءه مشغلاً طوال الوقت. شيء لا يُصدَّق حقاً: ألبومها حقق نجاحاً باهراً، لقد نالت كل ما كانت تحلم به لكنها... تبدو مستاءة رغم ذلك! أنا لن أفهم الفنانين أبداً، يا بروس...

بالنظر إلى سعر الرحلات من بوسطن، سنغادر من نيويورك. ورغم ذلك، لم أتمكن من حجز تذاكر لنا جميعاً على متن نفس الطائرة. لقد وجدت بأعجوبة تذكرة لسكارليت على متن رحلة أوليفر القادمة من لوس أنجلوس والتي تهبط في نيويورك يوم 22 ديسمبر. أما أنا، فسأغادر في اليوم التالي مع أمي، التي رفضت السفر من دوني، ما تسبب بشجار آخر مع سكارليت، كما يمكنك أن تتصور. لا بأس في ذلك، سأقضي اليوم في نيويورك مع داكوتا. من المضحك تخيل سكارليت وأوليفر جنباً إلى جنبٍ لمدة الساعات السبع التي ستستغرقها الرحلة. أتمنى أن يغتنما الفرصة لإجراء مناقشةٍ صادقةٍ ولو لمرة...

على أية حال، هذه تفاصيل لوجستية لا أهمية لها، وهي ليست ما جعلني أعود إلى هذه اليوميات.

لم أكتب منذ عدة أشهر، وأتمنى ألا تكون غاضباً مني يا بروس، رغم أني بصراحة، كونك ممثلاً في هوليود ومليونيراً ناجحاً في كل شيء بما في ذلك صلعك، أعتقد أنه سيكون من السخف أن تغضب مني من أجل أمر سخيف كهذا. لقد أحضرتك معي في

حقيبتي، لأنني أريد أن أعاود الكتابة. أنا أفضل حالاً الآن، وقد كسبت سكارليت رهانها، فرغم أنها لم تحقق سمعة ليام غلاغير بعد، إلا أنها في طريقها لتصبح نجمة موسيقى الروك التي لطالما حلمت بها. وأعرف أن القصة التي سأخبرك بها الآن ستكون سعيدة: لقد قررنا أنا وأوليفر استخدام الجنينين المتبقيين للقيام بمحاولة تلقيح اصطناعي أخرى بعد عيد الميلاد.

أنا متأكدةٌ من أن الأمر سينجح هذه المرة، لسبب بسيط ألا وهو أنني حتى على بعد آلاف الأميال، أشعر بوجودهما وإصرارهما على العيش. إنها قناعة لا يمكنني تفسيرها، والغريب أن أوليفر العقلاني جداً، يشاطرني الشعور نفسه.

منذ اخترتُ لهما اسماً في تلك النزهة مع سكارليت في لندن، أصبح فريد وجورج جزءاً من حياتنا. لقد فهمت أخيراً أن كل هذا المسار، كل لحظات الإحباط واليأس هذه، لم تكن سوى الطريق الذي سيقودنا إلى طفلينا. فكما يقول الاقتباس من بول إيلوار على غلاف هذا الدفتر، «لا وجود للصدف، لا وجود إلا للمواعيد». وطوال هذا الوقت، كان لدي موعد مع فريد وجورج، لكنني لم أكن أعلم ذلك. طفلاي الصغيران. معنى حياتي. أنا ووالدكما نتطلع للقائكما.

كانت أنجيلا جالسة على الأريكة، ظهرها بعيدٌ عن المسند ومستقيمٌ لدرجة أنه بدا متشنجاً، ويداها تطوِّقان كوب شاي ساخن.

- إذاً، أنت سكارليت سميث-ريفيير، كررت للمرة الثالثة.

أومأتُ برأسي. جلستْ بعيداً عني قدر الإمكان وبدتْ عليها الريبة، كما لو أنها لم تعد تعرفني على الإطلاق، كما لو أن كل هذه السنوات من الكذب جعلتني غريبةً تماماً. أدركت أنني جرحتها. لقد خنت أعز صديقاتي، الشخص الوحيد في العالم الذي لطالما دعمني منذ تركتني أليس. أخذت نَفَساً عميقاً. كان بإمكانها أن تنهض وتغادر بعد اكتشافها التمثيلية التي تعرضتْ لها، أن تغلق الباب وأن تقطع صلتها بي نهائياً، إلا أنها بقيت رغم ذلك، أعدَّت الشاي وجلست على الأريكة. قد تكون هناك فرصة لاستدراك الأمر.

- سكارليت سميث-ريفيير التي غنت سيسترز؟ تلك التي ماتت بطريقة مأساوية وهي في طريقها لأن تصبح أسطورة موسيقى الروك وحصلت على عشر جوائز غرامي بعد وفاتها؟

- أربعة، ليس عشرة.

- أوه، حسناً.

حدقت بي، وبدت مذهولة بعض الشيء. فتحت فمها كما لو

أرادت أن تقول شيئاً، ثم أغلقته وتأملت كوبها مقطبة حاجبيها، راجية على الأرجح أن تعثر على أجوبة لآلاف الأسئلة التي تصادمت في رأسها.

كل ما كانت تعرفه أنجيلا هو أنني فقدت أختي، إذ كنت قد اعترفت لها بهذه الحقيقة الجزئية من قبل، وطلبت منها ألا تتطرق للموضوع بعد ذلك أبداً. لكن عندما رأيت ذلك المزيج من عدم الفهم والحزن في عينيها السوداوين، أدركت أنه كان ينبغي لي أن أثق بها منذ البداية.

- لكن... ماذا عن أليس إذاً؟ سألتْ بعد لحظة صمت، هل هذا اسم مستعار، أم أن لك أختاً حقاً؟

سمعت صوت الجرس الحاد معلناً نهاية الاستراحة في فناء المبنى، تلاه صخب وبضع صرخات أخيرة للأطفال، ثم عم الصمت من جديد. تذكرت أليس، بتسريحة ذيل الحصان التي تتنطط يميناً ويساراً وهي تركض على الشاطئ.

- نعم، كانت لي أختٌ اسمها أليس وقد ماتت بالفعل.

ارتجف صوتي قليلاً، وحل فجأة حنان دافئ محل الحيرة على وجه أنجيلا. ودون أن تنبس بكلمةٍ، وضعت فنجانها على طاولة القهوة، وقطعت المسافة الفاصلة بيننا وأمسكت بيدَي بين يديها.

- حسناً... احكي لي، تنهدت وقد استعادت عطفها المعتاد.

أومأت برأسي، واحتسيت رشفةً لأستعيد رباطة جأشي، ثم ركزت نظري على أيدينا المتشابكة، وأخبرتها أخيراً بحقيقة ما حدث في شهر ديسمبر ذاك الذي فقدت فيه أليس، أعز شخص عندي في العالم.

كان ألبومي الأول قد صدر في نهاية يونيو، وكان هاري، مدير

أعمالي الجديد الذي عيّنته شركة أوريجين ريكوردز، متحمساً جداً. كانت أغنية **سيسترز**، التي روّج لها أكثر الإعلاميين شهرةً في ذلك الوقت، تذاع باستمرار على الراديو. وفي غضون أسابيع قليلة، كان الجميع يدندن **سيسترز** أثناء الاستحمام، بينما أرسلوني في جولة عبر الولايات المتحدة. لا تزال تلك الفترة، إلى يومنا هذا، ضبابيةً في ذهني بعض الشيء. ولتحمُّل كل هذا، شربت كثيراً، كثيراً جداً. لكنني أقنعت نفسي بأنني بخير، وهو ما رددته لأليس أثناء مكالماتنا الهاتفية. كانت جميع قاعات الحفلات ممتلئةً، ومع ذلك كان يتملّكني شعور رهيب بالوحدة.

غيّر حدثٌ صغيرٌ، بدا عابراً، مسار كل شيء. كنت قد عدت إلى نيويورك منهكةً بعد جولة دامت أسابيع. ظل هاري يكرر على مسامعي أنني قدمت أغنية حققت نجاحاً كبيراً، وأنني كنت بالتالي «على بعد رفرفة جناحَي فراشة» من أن أصبح أسطورةً أو أختفي بين عشيةٍ وضحاها. كل ما تطلّبه الأمر هو قصةٌ، إشاعة صغيرة، تفصيلٌ تنتهزه الصحافة لأصل إلى قمة النجومية فجأةً أو أُنسى تماماً.

ورغم أنني عدت إلى منزلي، ظللت أشرب كثيراً. لم يكن الأمر بهذا السوء إذ كنت أشرب فقط عندما أخرج، هذا ما قلته لأختي على سكايب، لكني لم أقل لها إنني كنت أخرج كل ليلة. كان الكحول يمنعني من التفكير ويساعدني على النوم، فلطالما عانيت من الأرق، على عكس أليس.

ومنذ انتقلتُ إلى هذه الشقة في غرينتش فيليج التي استأجرتُها بفضل الدفعة المسبقة على ألبومي، كنت أذهب كل صباح حوالي الثانية عشرة والنصف لشراء بيغل وقهوة بالحليب من مقهى في زاوية الشارع ذكرني بمقهى بيتش كافيه في ناراغانسيت. لم أفوت هذه

العادة أبداً، فلطالمت كرهت القواعد والقيود والالتزامات، لكنني أحببت الجانب المُطَمْئن للعادات، شرط أن أضع هذه العادات بنفسي. كنت أتناول وجبة الإفطار هذه وأنا أمشي لمدة نصف ساعةٍ في واشنطن سكوير بارك، وكانت هذه نزهتي اليومية الوحيدة، إذ كنت أمضي بقية نهاري مستلقية على سريري غير المرتب ألعب الغيتارة من دون حماس، أفكر في السؤال الوحيد الذي شغل بالي منذ فترة: **ماذا سأفعل الآن؟**

وذات يومٍ، في طريقي من المقهى إلى المنتزه، عند زاوية الشارع الرابع وشارع ميرسر، ومع أني كنت أرتدي سروال جينز قديماً وحذاء كونفيرس لا يلفتان النظر على الإطلاق، ولم أكن على خشبة مسرح أو أخرج من حفلةٍ موسيقيةٍ، تعرّف عليّ أحدٌ ما في الشارع. كانت نيويورك مشمسةً على نحو غريب بالنسبة إلى أواخر الخريف وكنت أقضم البيغل بحماس عندما سمعت صوتاً غير مألوفٍ يناديي باسمي. أذكر ابتسامة الإعجاب لتلك الفتاة المراهقة. كانت تضع حلقةً في أنفها وترتدي قميص جينز تحت سترةٍ مفتوحةٍ. لقد حدثتني عن فينكس. كيف أمكن لها أن تعلم بشأن فينكس خاصتي بحق الجحيم؟ أضحى طعم البيغل في فمي مثل الرماد. ثم أخرجت هاتفها والتقطت لي صورة. حتى دون أن تسألني. وكأنني لم أكن شخصاً، بل نصباً تذكاريّاً لعيناً أو طبقاً لذيذاً لتنشره على إنستغرام. شعرت كما لو تمّت تعريتي بالكامل، هناك، في صباحٍ مشمس من شهر نوفمبر، وسط شارع ميرسر.

تكرر هذا المشهد أكثر فأكثر بعد ذلك. من بائع البيغل إلى أمين صندوق هول فودز، اكتشف الجميع مَن أنا. بدأت أنزعج من ذلك، كما لو أن قبضةً تشدّ على عنقي كلما حدق بي أحدٌ. استغرق الأمر

مني بعض الوقت لأضع كلمةً ملائمةً على الانزعاج الدائم الذي خالجني: كنت خائفةً. كان لدي هدفٌ كل هذه السنوات. غاية واحدة. لم أطرح على نفسي الأسئلة، بل عملت، عملت كما لم يعمل أحد من قبل. ضحيت بكل شيء، وأعطيت كل ما في جعبتي. فمنذ ذلك اليوم الذي سمعت فيه ليام غلاغير يغني **وندروول**، انصب كل كياني، وجسدي وروحي، نحو هذا الهدف الوحيد المتمثل في أن أصبح «نجمة موسيقى الروك»، كما قالت أليس، وهو تعبيرٌ لطالما بدا صبيانياً في فمي كما في فمها، إلا أنه لخّص الموقف على نحو جيد. ومنذ بضعة أشهر، كنت أمشي مثل سائر على حبل مشدود على هذه الحدود الرفيعة التي تفصل بين ما قبل وما بعد، بين سنوات المشقة والنجاح والشهرة. وحاولت، مثل شخص يغرق فيتشبث بطوق النجاة، ألا أترك التيار يجرفني، إذ لم تعد لديّ أدنى رغبة في الانتقال من الظلام إلى النور. كانت شركة أوريجين ريكوردز متحمسةً لذلك، وبدأ الناس يحتشدون من حولي بعيون متلهفةٍ، متملقين مثل سرب نحل اشتمّ رائحة قرص العسل. كان «ذلك» سيحدث. فلأكون صادقةً، لم أشك أبداً في موهبتي ولا في قدرتي على العمل بجد بما يكفي لأنجح، فلم يكن التواضع الزائف إحدى سماتي أبداً، فلطالما نظرت إليه على أنه شكل مخادعٌ من أشكال النفاق. لكن في قلب المعمعة، اكتشفت أمراً رهيباً لم أتوقعه من قبل: النجاح لم يكن يهمني، بل أسوأ من ذلك، لم أكن أرغب فيه أيضاً. كنت قد أخطأت الهدف: لم أعد أريد أن أصبح نجمة موسيقى الروك. أردت أن ألعب الموسيقى فحسب. وهذا الهدف، كنت أحققه كل يوم منذ سنوات. منذ بدأت أتعلم أسماء النوتات على لوحة مفاتيح من الورق المقوى، ومنذ أول تمارين في التنفس

علمتني إياها السيدة هاملتون لأُخرج صوتي. كانت حياتي كلها مجرد مدوناتٍ موسيقيةٍ ونوتاتٍ وألحانٍ، واختُزلت حياتي اليومية في الموسيقى. ففي الواقع، لم أكن أرغب في أي شيء آخر. لا سيما النجاح، ناهيك عن الشهرة. لم أعد أستطيع التفكير في أي شيءٍ. كنت محاطة بالكثير من الناس، وبالكثير من الأحداث، والكثير من الأضواء. **والآن؟** بدأت هاتان الكلمتان تدوران في رأسي، مرعبتين مثل سكين موضوع على رقبتي. مثل ظل عُقابين يتبعني أينما ذهبت. **والآن؟**

وقد أعطاني هاري، مدير أعمالي، الجواب الذكي الوحيد على هذا السؤال:

- الآن، ستكتبين ألبوماً ثانياً.

إضافة إلى عددٍ من النصائح حول ما كان ينبغي أن يحتويه هذا الألبوم الثاني ليكون «قابلاً للنجاح» ومتى يجب أن يصدر. فأدركت أني فقدتُ للتو، إضافة إلى إنسانيتي، حريتي في الإبداع، ما أرعبني تماماً. وعلى أية حال، هل سأتمكن من الكتابة بعد ذلك؟ ماذا لو لم يعد الناس يحبون موسيقاي؟ ماذا لو خيّبت ظنهم؟

لم يكن لديّ أي أجوبة. لقد فقدت الإلهام. وشلّني الخوف. أنا التي لطالما تصرفت بعفوية، واستيقظت في الصباح ووضعت كل طاقتي في الشيء الوحيد الذي يهمني حقاً، موسيقاي، لم أعد قادرةً على عزف أو غناء نوتة واحدة، ناهيك عن الكتابة. أرسلني هاري إلى طبيبٍ نفسيٍّ وصف لي مضادات الاكتئاب، فاستعاد العالَم بعض الألوان المملة والاصطناعية. شعرت ببعض التحسن. كتبت أغنيتين، وصفهما الجميع بأنهما فريدتان، ورائعتان، ومميزتان، وأنني عبقرية، وأنهم لم يروا مثل هذا الإبداع من قبل! شعرت

بسعادة غامرة لاستعادة موهبتي، فأرسلتهما إلى أليس. اتصلت بي بعد ساعة.

- ما هذا الهراء؟ قولي لي إنك لم تكتبي ذلك!

أغلقتُ الخط في وجهها، غاضبةً من كونها على حق. لقد كانتا تافهتين حقاً. فالآن بعد أن أصبحتُ آلةً لصنع الدولارات، لم يعد أحدٌ يقول لي الحقيقة. زاد ذلك من اكتئابي، فعدت إلى الطبيب النفسي وخدّرت أحاسيسي بمضادات الاكتئاب والحفلات الكحولية.

في شهر ديسمبر، كانت أغنية سيسترز لا تزال ضمن قائمة أكثر خمسين أغنية نجاحاً. اتصل بي هاري كل يوم، وأطلعني على أرقام لم أجرؤ حتى على سماعها، وأغلقت الخط وأنا أشعر وكأنني دُفنت حية تحت جبالٍ من الأوراق النقدية. عانيت من صعوبة في التنفس، وفي تلك الفترة، انتابتني أول نوبة هلعٍ.

كان عليَ أن أمسك بزمام الأمور من جديد، فقررت العودة إلى كوينزتاون، بعيداً عن تجاوزات مانهاتن وصخبها. رغبت في استعادة الشعور بالهدوء، وفي المشي على الشاطئ، وشرب الشوكولاتة الساخنة المغطاة بقطع المارشمالو الصغيرة على شرفة مقهى بيتش كافيه وأنا أشاهد طيور النورس. كنت مستعدة أن أنتظر عشر سنوات إذا لزم الأمر، لأستعيد الرغبة والإلهام، اللذين ستحملهما لي همهمة الرياح وموسيقى الأمواج على الإيقاع البطيء للعبّارات التي تقل السياح إلى بلوك آيلاند.

عند عودتي إلى مسقط رأسي، كنت قد أعدت صبغ شعري باللون البني، وهو لوني الطبيعي، وأزلت المكياج وسترة الجلد وجميع العلامات المميزة التي ارتديتها منذ المراهقة، فتوقف الغرباء عن الاقتراب مني والتحدث إليّ في الشارع. لكن في المقابل، ردّد

الأشخاص الذين كنت أعرفهم، بعد أن طلبوا توقيعي، ما سمعناه كثيراً ونحن صغيرتان والذي كنت قد أخفتيه بكميات هائلة من الجلد والكحل وظلال العيون الداكنة والوشوم: كم كنا أنا وأليس متشابهتين في مظهرنا.

ثم مات والد أوليفر، وفي طريق عودتها إلى لندن بعد حضور جنازته، جاءت أليس إلى كوينزتاون لتفاجئني أو، على الأرجح، لأنها كانت قلقةً بشأني. ففي بحر النجاح القاسي، حيث كان الجميع فجأة يحاولون الإمساك بي حتى لو عنى ذلك إغراقي، كانت أختي طوق نجاتي الوحيد. وكانت تعلم ذلك تماماً.

وخلال هذين الأسبوعين اللذين وهبهما اللّه لنا، عدنا إلى سن الثانية عشرة من جديد، فاحتفلنا بعيد ميلادي السابع والعشرين أمام كوب من الشوكولاتة الساخنة في مقهى بيتش كافيه، واقترنت هذه الفترة في ذاكرتي بأليس سعيدة ومرتاحة، بل رائقة المزاج، للمرة الأولى منذ سنوات. كانت هي وأوليفر قد قررا محاولة التلقيح الاصطناعي من جديد فور عودتهما إلى لندن في يناير. كان إجهاضها قد قرّب بينهما، إذ دعمها أوليفر كثيراً في تلك الفترة... فلأول مرة، سمعتها تتحدث عن الطفل كمشروعٍ مشتركٍ، بحيث لم يعد الفشل في الإنجاب فشلها الشخصي. لقد فهمتْ أنهما كانا معاً في هذه القصة.

كانت تتحدث عن جنينيها المجمدين طوال الوقت، واختارت لهما اسمين، فريد، و... لا أذكر الاسم الثاني، أو نعتتهما «بالتوأمين» كما لو كانا موجودين بالفعل، كما لو لم يكن هناك احتمال أن تفشل العملية مرة ثانية. كررت أنهما معنى حياتها، وسبب وجودها... أي إنها فعلت بالضبط ما لم يكن ينبغي لها

فعله، كي لا تنهار في حال الفشل، بحسب ما قرأته حول هذا الموضوع على المنتديات.

في 21 ديسمبر، دعيتُ لإجراء مقابلة مع مجلة **رولينغ ستون**. كان هاري متحمساً جداً، وأكد لي أن أغنيتي ستتقدم لتصبح ضمن المراكز العشرة الأول. اتصل بي عند الفجر، وهو ما عنى بالنسبة إليّ في تلك الفترة أيَّ وقت قبل الواحدة ظهراً. كنت أرتدي بيجامتي وأشرب لتراً من القهوة أمام مسلسل **ربات بيوت يائسات**، على أمل التخلص من الصداع المستمر الناتج من تعاطيّ الكحول في الأيام السابقة. كنت منهكةً. كنت قد فقدت الكثير من الوزن وأواجه صعوبة متزايدة في تحمّل ضغط هذه الحياة الجديدة. لكني وعدت هاري بأنني سأجري المقابلة.

استقللتُ القطار من كوينزتاون إلى نيويورك لإجراء المقابلة، في اليوم السابق لرحلتي إلى لندن. كانت أختي ستقابل صديقاتها في محطة بين، ولم ترغب أمي في رعاية ديفيد ولو لليلة واحدة، فاضطررت إلى الذهاب إلى شقتي لأودع قطي الصغير. كان لديّ متسع من الوقت، إذ كان الموعد في نهاية الظهيرة. لا أذكر التسلسل الدقيق للأحداث. احتسيت جعةً، وعزفت على الغيتارة، وحزمت أمتعتي من أجل رحلة اليوم التالي. . . لم أنظر إلى الوقت أبداً ووصلت أمام مقر المجلة في الشارع السادس متأخرةً بساعة ونصف. لا يمكنني أن أحصي المرات التي قلت فيها لنفسي إنه ينبغي لي أن أبذل المزيد من الجهد لأصل في الوقت المحدد، فقد يغيّر ذلك كل شيء.

كان هاري يستشيط غضباً. حاول الاتصال بي عشرت المرات، لكن بطاريتي كانت قد نفدت. كانت بطارية هاتفي دائماً فارغة في

ذلك الوقت، إذ كنت أردّد أن البراغماتية تقتل الإبداع. فهاري الذي لطالما تعامل معي باحترام وكمرشد متفهم، نعتني بالحمقاء غير المسؤولة. وماذا عن لون الشعر الجديد هذا؟! وهذه الملابس المتحفظة؟! إنها مجلة **رولينغ ستون**، وليست مجلة علم نفس لعينة! كان الشعر الوردي علامتي المميزة، وكان من الأفضل أن أذهب إلى مصفف الشعر في اليوم التالي!

قلت له أن يذهب إلى الجحيم وعدت إلى منزلي. كانت أليس في الشقة، متحمسة لفكرة أنها ستلتقي بداكوتا في اليوم التالي. كنت أشعر بالاستياء لأنني خيبتُ ظن هاري، لذا خامرني ارتياح سخيف عندما ظهر اسمه على شاشة هاتفي في المساء. كان قد تمكن بأعجوبة من تأجيل المقابلة إلى اليوم التالي على الساعة الخامسة مساءً. كان سيصطحبني من منزلي على الساعة الرابعة وكان من الأجدر بي أن أكون جاهزةً وأن أبدو مثل فنانة وليس مثل تلميذة مجتهدة في طريقها إلى درس دين، وشكراً!

إلا أنه لم يكن بإمكاني الذهاب إلى مقابلة **رولينغ ستون** في اليوم التالي عند الساعة الخامسة مساءً، لأن موعد رحلتي كان بعد ذلك مباشرة، وحتى مع إحساسي التقريبي بالوقت، علمت أنه كان لديّ احتمال من اثنين في تفويت الرحلة. قالت أليس إنه كان من المستحيل تغيير التذاكر وإنها لم تستطع الحجز لنا جميعاً على متن نفس الطائرة. فلم أردّ على اتصالات هاري، مع العلم أنه قد لا يغفر لي هذا الانشقاق الثاني.

خلدنا إلى النوم، وبما أن الليل يحمل في طياته النصائح مع الأسف، فإذا بي أستيقظ وقد خطرت لي أسوأ فكرة في حياتي.

يوميات أليس

كوينزتاون، 22 ديسمبر 2012

مرحباً يا بروس!

حسناً، في النهاية، ورغم نواياي الحسنة، ابتعدت عنك مجدداً. اليوم هو آخر يوم لي في نيويورك. صدّق أو لا تصدّق، لقد انقضّت عليّ سكارليت هذا الصباح، مرتديةً سروالاً داخلياً وقميص ميتاليكا[1]، بينما كنت أشرب قهوتي:

- أليس، لديّ خطة رائعة لعينة! صرخت، مستخدمة العبارة التي كانت ترددها عندما كانت في الثامنة والنصف من عمرها.

- أتوقع الأسوأ...

- استقلّي الطائرة بدلاً مني اليوم، وأنا سأسافر على متن رحلتك غداً.

ثم انفجرتُ ضاحكة واختنقت بقهوتي.

- لكن... أعلم أنك قليلاً ما تركبين الطائرة، لكن هناك

---

(1) Metallica هي فرقة هيفي ميتال أمريكية أسسها لارس ألريك وجيمس هيتفيلد عام 1981 في لوس أنجلوس - المترجمة.

العديد من المراقبات، ولا يمكنك تمرير تذكرتك إلى شخص آخر هكذا.

- لا، لا، اسمعي، من السخيف أن أكون أنا من يسافر مع أوليفر! سترتدين سترتي الجلدية، وتضعين كيلو من الكحل على عينيك، كما أن شعري بني على جواز سفري، فلا مشكلة... هذه المقابلة، إنها فرصة هائلة بالنسبة إليّ. وأنا سألعب غداً دور الفتاة الرزينة، وسوف أركب الطائرة مع أمي وسوف نجتمع جميعاً في لندن كما هو مقرر، للاحتفال بعيد الميلاد. من فضلك يا أليس، إذا فاتتني الرحلة، فسأقضي الأعياد وحدي...

لقد حمّستها الفكرة، فهي قاعدةٌ أخرى لتكسرها، وطريقة لضخ بعض الإثارة في الخمول الذي انتابها منذ حققت النجاحات. توسلتْ إليّ ولم تتركني أشرب قهوتي حتى نظرت إلى أعلى وتنهدت.

- حسناً، لكن بشرطٍ.

- ما هو؟

- أريدك أن تبتعدي عن الكحول والمهدئات وكل ذلك... أنا لا أحب هذا الوسط وأنا قلقة بشأنك.

- حسناً، أعدك بذلك.

أعطتني جواز سفرها وملابسها، وذهبنا لشراء بخاخ تلوين للشعر باللون الوردي الفاقع من متجر ملابس تنكرية في سوهو، وقضينا المساء نضحك ونصبغ خصلات شعرنا. هي، كي لا تبدو وكأنها تلميذة مجتهدة في مقابلتها مع رولينغ ستون، وأنا لأسافر بدلاً منها في المطار.

أعلم، يا بروس، أنك تعتقد أنها فكرة غبية، لكني كنت متحمسة لفركة مفاجأة أوليفر الذي كان سيكون سعيداً برفقتي على متن الطائرة بدلاً من سكارليت. وعلى أية حال، ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث؟

كان شاي أنجيلا قد برد على طاولة القهوة منذ وقت طويل. توقفتُ عن الكلام لألتقط أنفاسي، لا سيما وأنني كنت أعلم أن أصعب جزءٍ كان سيأتي بعد ذلك، وأنني سأضطر أن أتحدث عنه بصوتِ عالٍ لأول مرة. أخذت نَفَساً عميقاً ورحت أحكي نهاية قصتنا، آخر خط مستقيم من حياتنا معاً، أنا وأختي.

لدى عودتي إلى منزلي بعد المقابلة، كانت أليس قد غادرت. كانت قد تركت لي على السرير فستاناً أسودَ، وحذاءً عالياً، ومعطفها، وجواز سفرها الذي ألصقت عليه ورقةً لاصقةً ورديةً مع قلبٍ مرسومٍ بالقلم على عجلٍ، وما زلت آخذ الورقة معي أينما ذهبت، مرتبةً بعناية في محفظتي.

استحممت، وبينما كنت أحزم أمتعتي، وجدت عند سفح السرير دفتر ملاحظاتٍ سميكاً ذا غلاف فيروزي منقط بالأصفر، طُبع عليه اقتباس لبول إيلوار: «لا وجود للصدف، لا وجود إلا للمواعيد». فتحته ورأيت خط أليس الضيق والمنتظم على مدار الصفحات. كانت هذه يومياتها. وضعتها في حقيبتي دون أن أقرأها، لأرجعها إليها في اليوم التالي.

حوالي الساعة السابعة مساءً، تلقيت رسالةً نصيةً:

أليس سميث–ريفيير
يا إلهي، لقد نجح الأمر!
لقد ظنوا أنني أنت
ونُقلنا إلى درجة رجال الأعمال!!!

أجبتها بإبهامٍ مرفوعٍ إلى أعلى ووجهٍ مبتسمٍ.
أرسلت لي قلباً.
هو لا يزال أيضاً على هاتفي.

ذهبت إلى الفراش حوالي الساعة العاشرة مساءً، ما كان أمراً استثنائياً، وأذكر أنني استيقظت متعرقةً بعد فترة وجيزة، وكان قلبي ينبض بقوةٍ. نهضت مثل السائر أثناء النوم وابتلعت جرعة فودكا وحبة ليكسوميل، ثم هدأ قلبي وعدت إلى النوم.

تحطمت رحلة جون كنيدي–هيثرو في المحيط الأطلسي في تلك الليلة عند الساعة 11:56، وحتى يومنا هذا، لا يزال سبب الحادث مجهولاً. عزائي الوحيد هو معرفة أن أليس كانت مع أوليفر، حبيبها منذ المدرسة الثانوية، الرجل الوحيد الذي أحبته على الإطلاق على الرغم من تقلبات علاقتهما، وأنهما غادرا معاً، جنباً إلى جنبٍ. لم يتم العثور على أي شيءٍ. لقد نُشرت قائمة الركاب المفقودين في اليوم التالي في جميع الصحف، وظهر اسمي عليها بدلاً من اسم أختي.

وهكذا توفيتُ رسمياً في السابعة والعشرين من عمري، مثل جانيس جوبلين، وجيمي هندريكس، وجيم موريسون، وكورت كوبين. في المكان الخطأ في الوقت الخطأ. كان ذلك رفرفة جناحَي الفراشة الشهيرة التي تطلع إليها هاري. استولت الصحف على

القصة، فوفاة مأسوية كهذه في اللحظة التي كنت ألامس فيها حلمي كان لا بد لها أن تجعلني أسطورة. وهذا بالضبط ما حدث. ففي الأسبوع الذي توفيتُ فيه، أصبحت **سيسترز** الأغنيةَ رقم واحد من حيث المبيعات. ثم، في الأشهر التي تلت، فزتُ بأربع جوائز غرامي، وكسبت ملايين الدولارات وأصبحتُ أسطورة موسيقى الروك. كل هذا، بعد وفاتي.

من سخرية القدر[1]، كما قد تقول ألانيس موريسيت.

أصغت إليّ أنجيلا دون أن تقاطعني، مركزةً تماماً، ودون أن تترك يدَي المتشابكتين مع يدَيها. سكتُّ للحظة، فامتدت بيننا بضع ثوان مِن الصمت.

- أنا آسفةٌ جداً، قالت أخيراً.

ثم عانقتني، دون سابق إنذارٍ، فجلب دفء عناقها وعطرها الدموع إلى عيني. أدركت أن هذه هي المرة الأولى التي قدم لي فيها أحد تعازيه بوفاة أختي.

- لكن ألم تفكري يوماً... واصلت، في إخبار الشرطة؟

هززت كتفَي. حاولت أن أُشعِر أنجيلا بعبثية وضعي، إذ كان الحزن، مثل الطين اللزج، قد تسلل إلى كل زاوية من عقلي. كنت قد فقدت أكثر شخصٍ أحبه في هذا العالم. لم يكن شيء آخر يهم. ظللت متحصنةً في المنزل، في حالة ذهولٍ، لأيام طويلة، أتساءل عما فعلته، وأخرج فقط لشراء طعام ديفيد وحبوب الإفطار التي حشوت بها فمي من العبوة مباشرةً كي لا أموت من الجوع. كان

---

(1) **Ironic** هو عنوان أغنية شهيرة للمغنية الأميركية لانيس موريسيت - المترجمة

ذلك خطئي. أختي ماتت بسببي، وكان الباقي مجرد تفاصيل إداريةٍ. اسم خاطئ على قائمة ركاب. لا شيء مهماً. ولم أتذكر هذا التفصيل الطفيف إلا حين رأيت وجهي على الصفحة الأولى لمجلة المشاهير: العالم بأكمله ظنني ميتة.

- لكن... ماذا عن عائلتك؟

- ذهبت لزيارة أمي، كانت قد فقدت صوابها من شدة الحزن، قالت لي...

ابتلعتُ ريقي محاولة إزالة الغصة العالقة في حلقي التي هددت بالانفجار. لم تسافر أمي إلى لندن في اليوم الذي تلى الحادث بطبيعة الحال. كانت قد حاولت الاتصال بأليس لعدة أيام عندما ظهرتُ. كان شرحُ الحقيقة لها من أصعب الأمور التي كان عليّ القيام بها في حياتي. رؤية الراحة التي ارتسمت على وجهها لمعرفة أنني حية، ثم الرعب عندما أدركت ما عنى ذلك بالنسبة إلى أليس. فَهْمُ أنها كانت تفضّل أن أكون أنا من كانت على متن تلك الطائرة، بدلاً من ابنتها المفضلة.

تابعتُ بصوت متحسر:

- قالت إنه خطئي... إنني لم أجلب سوى المشاكل لهذه العائلة وإنها... لم تعد تريد سماع أي شيء عني بعد ذلك.

وإذا كانت قد تبقت لي قطعة قلبٍ بعد وفاة أختي، فسحقتها أمي في ذلك اليوم. امتلأت عينا أنجيلا المذعورتان بالدموع. تذكرتُ الطريقة التي اعتنت بها هي وآبي بطفليهما، الصبر الأبدي، العناق، الحنان، قصص ما قبل النوم. لن تستطيع أنجيلا فهم ما أدركته في وقت مبكر من حياتي: كنت لأمي تذكيراً دائماً بالرجل

الذي أحبته بشغفٍ والذي تخلى عنها تاركاً رسالة على طاولة المطبخ. شرحت لصديقاتها عبر الهاتف: «طفلان قريبان جداً في العمر، هذا يؤثر سلباً على علاقة الزوجين»... لا داعي لشهادة من هارفارد لفهم المعنى الضمني لذلك.

- وماذا عن الأشخاص الذين تعرفينهم، عائلة صهرك؟

هززت كتفَي.

- غيّرت سكني ورقمي وأغلقت حسابي على فيسبوك وقطعت علاقتي بالجميع. ظلت بعض صديقات أليس يرسلن رسالة إلكترونية كل عام بمناسبة عيد ميلادها. لم أرُدّ على أي منهن، فانتهى بهن الأمر بالاستسلام. أما عن عائلة أوليفر، فقد فقدوا الأب والابن في غضون أسابيع قليلةٍ، وقد يكون صمتُ أليس قد أراحهم، ووفّر عليهم حزناً إضافياً للتعامل معه. مع ذلك انتظرت أن يفهم أحد ما، أن يكشفني، أن يشي بي، لكن لم يحدث شيء. وبما أن جزءاً مني لم يرغب في الرجوع من الموت، لم أقل شيئاً وأصبحت أختي.

- وبعد ذلك؟

- اتصلت بلندن لإنهاء عقد إيجار شقة أليس وأوليفر. رسمياً، كنت قد فقدت زوجي بشكل مأساوي في حادث تحطم طائرة احتل عناوين الصحف، فوافق المالك على إرسال أغراض أختي الشخصية وطلبت منه أن يحتفظ بالباقي. وضعت فينكس في صندوق وأصبحت أكره الموسيقى. فلولا تلك المقابلة وأحلامي بالعظمة، لما ماتت أليس.

- واتجهتِ إلى مجال التمويل...، أكملت أنجيلا.

- نعم.. لمدة عامٍ وأنا محبوسةٌ في منزلي، كان هذا كل ما

فعلته. والغريب في الأمر أن هذا ما أنقذني: صرامة الأرقام، الصيغ الصحيحة والواضحة ذات النتائج المتوقَّعة. وعندما وجدت وظيفة في التمويل، التقيت بك ومنذ تلك اللحظة تمكنت من إعادة بناء حياة شبه طبيعية، مبنية على هذه الكذبة الرهيبة.

اضطرت أنجيلا إلى العودة إلى نيويورك. فبحسب معرفتي بأندرو، مديرها الذي طردني بين عشيةٍ وضحاها بسبب نوبة هلعٍ، كانت معجزةً حقاً أنه منحها إجازة لمدة أسبوعين. هي الآن تتصل بي كل ليلة وتجبرني على تشغيل الكاميرا لتتحقق من أنني أتناول الوجبات العضوية التي تطلبها لي من مطعم نباتي عثرت عليه في الدائرة الثامنة، فأقول في نفسي أحياناً إن أليس، هناك حيث توجد، أرسلت لي أنجيلا لتحل محلها. وأمرت أنجيلا سرانيا بزيارتي ثلاث إلى أربع مرات في الأسبوع، حتى أن هذه الأخيرة وصلت في الوقت المحدد مرتين على الأقل، وهي علامة مثيرة للقلق، تدل على اضطراب العالم. الجميع قلقون عليّ. أما أنا، فإني منقسمةٌ بين شعور بالذنب وارتياح شديد لفكرة أنني لم أعد مضطرة إلى الكذب. لقد أخبرت سرانيا بالحقيقة، واعتقدت أنها ستصاب بسكتة دماغية. كانت في حالة صدمةٍ، ولم تتكلم لمدة أربع دقائق على الأقل. ثم قامت بتحميل ألبومي على تطبيق سبوتيفاي وأكدت لي أنها تستمع إليه طوال الوقت منذ ذلك الحين.

كنت قد تغيّبت عن العمل لمدة ثلاثة أسابيع عندما دفعت الباب الزجاجي لذا سبايس من جديد. لكن من جهةٍ أخرى، كنت قد

ذهبت إلى الطبيب النفسي كل يومٍ. لقد وعدت أنجيلا أنني سأفعل. كانت لديّ أمور لتسويتها. كان فيكتوار ورضا قد وصلا إلى المكتب. استقبلاني بحرارة، ورغبا في معرفة ما حدث، وأكدا لي ألا أتردد في اللجوء إليهما في حال احتجت أي شيء.

- أنا بخير، إرهاق كبير، هذا كل شيء، قلت متأثرةً بلهفتهما.

مد لي رضا كيساً ورقيّاً. شكرته متفاجئةً وفتحته بعناية، لأجد فيه بيغل بالقرفة والزبيب.

- إنه مطبوخٌ في الماء، كما في نيويورك، أوضح، إنه أصلي. لقد ذهبت لشرائه في الفجر من مخبز في أواخر الدائرة الثامنة عشرة، من المفترض أنه يصنع ألذ بيغل في باريس!

- وأنا اشتريت لك جبناً كريمياً، أضافت فيكتوار.

ولتقرن الفعل بالقول، أخرجتْ من حقيبتها العسكرية علبة جبن كريمي وسكين زبدةٍ. ابتلعتُ كرة العاطفة التي خنقت حلقي وتمتمت شكري.

- سنذهب لإحضار القهوة ونعود، صرح رضا مدركاً كم يصعب عليّ احتواء مشاعري.

- لا، أجابت فيكتوار، من الواضح أنها ستجهش بالبكاء.

- تماماً، قال رضا وهو يرفع عينيه إلى أعلى.

تبعته فيكتوار وهي تتذمر من أنها لن تفهم أبداً أعراف هذا المجتمع العبثي، فاستخدمتُ إحدى المناشف الورقية المدسوسة في كيس البيغل لأمسح عينَي بتكتم.

كان البيغل حلواً وطرياً، وبنفس طعم القرفة والصداقة لبيغل مقهى بيتش كافيه بناراغانسيت. أو أن القهوة التي شربتُها مع رضا

وفيكتوار هي التي منحتني جرعة الحلاوة هذه. ربما يمكنني التوقف عن المقاومة الآن، تفكيك الأسلاك الشائكة التي تحيط بقلبي مرة واحدة وإلى الأبد، وتقبُّل حقيقة أنها تؤذيني أكثر مما تحميني.

وأنا ألقي بكوب البلاستيك في سلة القمامة، سألت بلامبالاة:

- جيرمي ليس هنا؟

لم تفلت مني اللكزة التي تلقاها رضا من فيكتوار، لكن لا بد أنه نبهها ألا تتطرق إلى الموضوع، لأنها تمكنت من التزام الصمت.

- لقد ذهب في عطلة نهاية أسبوع مطولة مع زوي، وسيعود بعد غدٍ.

رجعنا إلى مكاتبنا، وكما لو أن الأسابيع الثلاثة الأخيرة لم تحدث أبداً، غرقت من جديد في حسابات الشركة.

طرقتُ باب مكتب كريس بعد ذلك بقليل، فلاحظت عدم تجاوبه من خلال الزجاج الفاصل. بدت عيناه التائهتان خلف نظارته مركزتين على نقطة بعيدة في الأفق، ما بعد الأسطح الأردوازية التي دفأتها أشعة الشمس. ترددت، ثم دفعت باب مكتبه ببطء.

- كريس؟

التفت إليّ، ورغم سترته الكشمير الأنيقة وحذائه الرياضي ستان سميث الجديد، بدا كطفل ضائع. لم يكن قد حلق ذقنه منذ عدة أيام وكان شعر لحيته الأشعث يغطي وجنتيه الشاحبتين. شعرت بالتعاطف تجاهه، لكن كان لا بد أن أزف إليه الخبر، ليتسنى له القيام باللازم في أسرع وقت. أغلقت الباب خلفي وجلست قبالته.

- أليس، كيف حالك؟

- أفضل بكثيرٍ. أنا آسفة أنني اختفيت فجأة لمدة ثلاثة أسابيع، أنا. . .

- لا تقلقي، لقد أخبرتني صديقتك بأنك كنت مريضةً، قال بلطف لكن بذهن شاردٍ.

كان مكتبه في حالة فوضى، وكان فنجان فارغ من القهوة ملقى بجوار نحتٍ مصنوع من الخشب الاستوائي أخبرني ذات مرة أنه من غواتيمالا وأنه يجلب له الحظ. أحاطت أوراق لاصقة مخربش عليها بالقلم شاشته المطفأة كتويج من بتلات زهرة ذابلة. وفي كل هذه الفوضى، انجذبت عيناي إلى صورة مؤطرة لم أنتبه إليها من قبل تلاشت ألوانها قليلاً مع مرور السنين، لثلاثة مراهقين في التسعينيات. ورغم خدودهم الممتلئة الخالية من الشعر، تعرفت على كريس وجيرمي، وقد كانا في حوالي الخامسة عشرة من العمر. كان الشخص الثالث فتاةً يافعة ذات عينين خضراوين صافيتين وشعر أسود فاحم. كانت ذراعها ملتفّة حول رقبة جيرمي بطريقة ودية ورأسها متكئاً على كتف كريس، الذي ضمّها إلى صدره. لاحق كريس نظرتي.

- إنها ساندرا، كانت صديقة جيرمي المفضلة وأصبحت حبيبتي في المدرسة الثانوية. لقد توفيت في السابعة عشرة من عمرها في حادث دراجة نارية.

عجزت عن الكلام للحظة وشعرت بقلبي ينقبض. لم يذكر جيرمي أبداً أنه كان مقرباً من ساندرا، رغم أنه أخبرني عنها وعن علاقتها بكريس.

- كانت تجعلنا نرتدي جوارب يتيمة، أوضح كريس، لأن الأشخاص الذين يحبون بعضهم بعضاً يظلون أزواجاً، ولم ترغب في ترك أي أحد وحيداً، ولا حتى الجوارب. من أجلها رغبت في إنشاء إيفردريم.

عرفت الآن على الأقل لماذا استثمر جيرمي في إيفردريم، رغم

أنه لم يؤمن بالمشروع. لم يكن ذلك دعماً لكريس فحسب، بل إحياءً لذكرى صديقة الطفولة ذات العينين الخضراوين التي أرادت لَمَّ شمل الجوارب الشقيقة. أرجع كريس الصورة بعناية إلى جانب شاشته.

- جئت لتتحدثي معي عن الحسابات، على ما أظن؟

مددت له النتائج المالية للشهر السابق، والتي حرصت على طباعتها.

- أرسلت لك رسالة إلكترونية هذا الصباح و...

- لقد اطلعت عليها.

وأشار إلى ورقة فوق كومة من الكتب عن التنمية الذاتية. فلأول مرة، قرأ كريس إحدى رسائلي الإلكترونية، حتى أنه طبع الوثيقة المرفقة. نظر إلى الأسفل وأخذ نَفَساً عميقاً.

- أنا آسفة يا كريس، لكن نظراً لعدد التحميلات منذ إصدار التطبيق، يجب...

- سبعة وخمسون! قاطعني. سبعة وخمسون تحميلاً! أربعة منها من عناوين بريدية أنشأتها أمي لدعمي والباقي من أصدقاء أو زملاء عمل.

بدا مصدوماً فحاولت مواساته:

- عائلتك تدعمك على الأقل.

- كم تبقى لنا من الوقت؟

- مع الرواتب والإيجار وفواتير مزوّدي الخدمات الخارجيين التي يتعين علينا دفعها، يجب علينا أن نغلق في غضون عشرة أيام في أقصى حد. فبعد ذلك، لن تتمكن من دفع رواتب موظفي إيفردريم.

أغمض عينيه ووضع رأسه بين يديه، مفسداً أكثر قليلاً تسريحة شعره الأشعث الكثيف.

- عشرة أيام. . .، تنهّد.

شعرت بالأسى عليه وكبحت يدي التي أرادت لاشعوريّاً أن تمسك بذراعه لتهدئه.

- لا أعرف ماذا أقول لك، قد تكون السوق غير. . .

- ليس هناك من شيء لقوله. كانت فكرةً غبيةً على أية حال، لم يؤمن بها أحد. لا يهتم أحد بالجوارب اليتيمة. أتعلمين ما قاله لي أحد المصرفيين الذي طلبنا منه المال؟

- لا. . .

- أنه لم يكن لديه سوى جوارب سوداء متطابقة ولم يتكبد حتى عناء جمعها في أزواج، ما جنّبه مشكلة الجوارب اليتيمة. . . كان هذا ببساطة أتعس ما سمعته على الإطلاق! أنا فاشلٌ، هذا كل ما في الأمر، أنا لا أنجح في أي شيء أبداً.

داعبت تلقائيّاً جلد معصمي، حيث كان سواري المفقود، وأجبته بنعومة:

- لا، أنت فنانٌ، وكل الفنانين فاشلون حتى اليوم الذي ينجحون فيه. أتعلم، لطالما كررت وسائل الإعلام قصص الأشخاص الذين حققوا النجاحات بين ليلة وضحاها، فهذه هي الحكاية الخرافية للعصر الحديث: النجاح من باب الصدفة، من دون جدارة ولا عمل. هذا أسوأ أنواع الكذب. ففي كل المجالات، الأشخاص الذين ينجحون من المحاولة الأولى هم استثناء. ولهذا السبب نتحدث عنهم، لأن قصتهم أشبه بقصة خرافية.

تنهد تنهيدة محبَطة.

- لو تعلمين كم عدد الشركات التي أنشأتُها. . . لم يعد أحد يرغب في الاستثمار معي. أنا صورة للرداءة. أنا سخيفٌ.

- هل تعلم أنه في الولايات المتحدة، في وادي السيليكون، كلما زاد عدد المشاريع الفاشلة لرائد أعمالٍ ما، زادت فرصه في العثور على مستثمر؟

- هذا سخيف، تمتم.

- لا، بل إنه منطقي. إذ كلما زاد عدد المشاريع التي قمتَ بها، زادت الخبرة التي راكمتها، وأي شخص قرر أن يقوم بشيء ما في حياته، أن يخاطر وأن يتوغل في المجهول، يعرف جيداً أن النجاح، لا سيما النجاح السهل، لا يُعلِّم شيئاً، وأن الفشل بالمقابل هو أفضل المدارس. كما أن كل هذه الهزائم تكشف أشياء إيجابية كثيرة عن شخصيتك...

- نعم، أنني فاشلٌ.

لا أدري لماذا رؤيته وهو محبَط فطرت قلبي. كنت بحاجة أن أراه واقفاً على قدميه من جديد، أن يثبت لي أن ليس كل شيء محكوماً عليه بالفشل أو بحتمية القدر، وأن الأمور يمكن أن تنجح أحياناً. لذلك وقفت وأجبته بصوت أكثر حزماً:

- لا، هذا يثبت أنك لا تستسلم، وأنك شغوفٌ، ومثابرٌ، وأنك تعمل بجد، وأنك متحمسٌ، وقادرٌ على التعافي من انهيارك. عليك أن تستمر يا كريس، لقد خُلقت من أجل إنشاء الأشياء، والشركات... سينجح الأمر يوماً، صدقني، سوف...

- كل هذا كلام نظري، تفاهات تروج لها كتب التنمية الذاتية على الطريقة الأمريكية! أنا أقبل الرداءة، كل يوم، طوال الوقت! أنا فظيعٌ!

- لا. هذا ليس كلاماً نظرياً، إنه الواقع! الفاشل لم يكن أبداً شخصاً لا ينجح، بل شخصاً لا يحاول. الفاشلون هم أولئك الذين

يدّعون أنهم سينجزون شيئاً ولا يبادرون أبداً، أولئك الذين يتراجعون عند أول عقبة ويستسلمون، أولئك الذين يعتبرون ما لا يسير على ما يرام في حياتهم أمراً حتمياً، ويشتكون على الدوام دون القيام بأي شيء لتغيير واقعهم. هذه هي الرداءة! أما أنت يا كريس، فلديك الكثير من الصفات الحميدة، وقد يقال عنك الكثير، لكنك لست فاشلاً!

تحدثت بشدةٍ غير معتادة. لقد شددت على قبضتَي لدرجة أن أظافري انغرزت في راحتَي. حدق بي كريس بمزيج من الدهشة والفضول كما لو أنه اكتشف للتو جانباً مني لم يكن يعرفه على الإطلاق.

ثم أومأ برأسه وهمس بعد لحظة صمت، وكأنه يحدّث نفسه:

- قد يعني ذلك أنه لا يوجد ما يكفي من الشاعرية في العالَم لإنقاذ الجوارب اليتيمة... هل يمكنك إخبار الآخرين بأننا سنقوم بتقييمٍ لوضع الشركة في قاعة الاجتماعات يوم الأربعاء بعد أن يعود جيرميٍ؟ وإذا أمكن، لا تقولي لهم شيئاً، فأفضل أن أخبرهم بنهاية المغامرة بنفسي.

- حسناً، وإذا كان بإمكاني فعل أي شيء...

هز رأسه واستدار نحو النافذة من جديد، وبدا أكثر إحباطاً مما كان عليه عندما دخلت مكتبه. نهضت وغادرت الغرفة مطأطئة الرأس. وفي اللحظة التي أغلقت فيها الباب، أردف، وعيناه مثبتتان على الصورة أمام شاشته:

- شكراً لك يا أليس، شكراً على كل شيء.

حلَّ يوم الأربعاء بسرعة كبيرةٍ وببطء شديدٍ في آن واحد. انتظرت عودة جيرمي بمزيجٍ من القلق والشوق، وأرهقتني رقصة الباليه المتواصلة لتناقضاتي. شربت قهوتي الصباحية مع فيكتوار ورضا اللذين تشاجرا طوال الوقت وأجبراني أن أحكم مَن منهما على صواب ومَن على خطأ. لم أخبرهما أن كريس سيستدعينا بعد قليل لإعلان نهاية مغامرة إيفردريم. شعرت بالأسى عليهما، لكنني احترمت رغبته في مشاركتهما الخبر بنفسه. قمت بعملي وكأن شيئاً لم يكن، وكأن ذلك سيغير وضع الشركة.

عند عودتنا إلى أماكننا، خاطبني من بعيد صوت مبتهج:

- تبّاً، يا أليس!

قفزت مفزوعةً ووجدت نفسي وجهاً لوجه مع جيرمي وزوي التي حملت كتاباً كبيراً تحت ذراعها.

- مرحباً، غمغم جيرمي، وقد بدا واضحاً أنه محرَجٌ مثلي.

- مرحباً، قلت بصوت بالكاد مسموع.

لم يتوقف وظللت مسمرة في مكاني من دون حراك، متأثرة حتى أعماق روحي من مجرد مروره بجانبي.

- أليس، بدأت زوي في التحدث، أنا...

- دعي أليس وشأنها، قاطعها جيرمي، لديها عملٌ لتقوم به.

وسحبها من يدها.

أخذتُ نَفَساً عميقاً وتوجهت إلى مكتبه. كانت لديّ أشياء كثيرة لأخبره بها، بحيث لم أعلم بماذا أبدأ. بالاعتذار ربما.

- هل يمكنني التحدث إليك؟

أشار إلى المقعد أمامه، وبدا بحال جيدة. لا بد أن عطلة نهاية الأسبوع مع زوي كانت ممتعة، فقد بدت الطفلة مشرقة.

- لقد عادت أمي للعيش معنا في المنزل، يا أليس! صاحت وهي تقفز في أرجاء المكتب، هي لن تذهب إلى اليابان، لقد عادت معنا! لقد قضينا عطلة نهاية الأسبوع معاً، إنه أمر رائع!

بقيت عاجزةً عن الكلام للحظة، وبجهد هائلٍ، تمكنت من الابتسام.

- أنا سعيدةٌ من أجلك يا زوي، هذا خبر رائع حقاً.

أخرج جيرمي قطعة 1 يورو من جيبه وناولها للطفلة.

- زوي، اذهبي واشتري لنفسك عصير برتقالٍ وسلّمي على العم كريس.

- نعم، أعلم، لأنه حزين اليوم، كررت زوي وكأنها تلقي درساً حفظته جيداً، لكن لا يهم، لأنك عندما تكون حزيناً، تصبح غير حزينٍ بعد ذلك. مثلنا، كنّا حزانى من قبل والآن نحن سعداء، هذه هي الحياة!

- بالضبط، ختم جيرمي بلطفٍ.

لم أتفق تماماً مع هذا التحليل، لكنني التزمت الصمت. على أي حال، كان قلبي يؤلمني لدرجة جعلتني غير قادرة على الكلام. اختفت زوي، وكتابها لا يزال تحت ذراعها، وبقيت وحدي معه.

أدركت أن خلف الفاصل الزجاجي للمكتب، لم يكلف رضا وفيكتوار نفسيهما عناء التظاهر بأنهما مشغولان، ولم يفوتا شيئاً من محادثتنا. كان هذان الاثنان يقضيان وقتاً طويلاً في مراقبة حياة الفضاء المفتوح واستنتجا الكثير، لكن لم يسعني أن أغضب منهما.

- ظننت أنك لم ترغبي في رؤيتي من جديد، قال جيرمي.

شددت على كمي على نحوٍ آليٍّ، محرَجة. نظر إليَ بعينين خاليتين من أي تعبير، بلون بحيرة جبلية صافيةٍ، فلم أعد قادرة على قراءة أي شيءٍ في نظرته، وهي حقيقة فطرت قلبي. من قبل، كان يدعني أقرأ أعماق تفكيره في عينيه. تذكرت بوخزة في قلبي تلك الأسابيع القليلة التي لم تكن هناك من حاجة إلى الأدوية، والتي لمست فيها لأول مرة منذ وقت طويل شيئاً يشبه السعادة.

- لم أكن أعلم... ساندرا... أنكما كنتما صديقين... لقد أخبرني كريس.

خرجت الكلمات من تلقاء نفسها، لا علاقة لها بالمحادثة. لا أعرف السبب، لكني بعد أن عرفت بجرح جيرمي، شعرت برغبة في مواساته، في أن أوضح له أنني أفهمه، فكنت أعرف الألم الناتج من هذه الندبات التي تُغلق ظاهريّاً فقط، وأعرف هوة الظلام والوحدة التي تخفيها تحت وهم الشفاء.

- هناك أمور كثيرة لم نبح أحدنا للآخر بها على ما أظن، أجاب بعد برهةٍ.

سمعت الندم في صوته هذه المرة. أومأت برأسي. كانت لديّ مليارات الأشياء لأعترف له بها الآن، كان يمكنني التحدث لأشهر. تمنيت لو استجوبني وسألني عما حدث. تمنيت لو أضع رأسي على كتفه وأن يواسيني، كما فعل عدة مرات من قبل. لكنه لم يحرك

ساكناً. عبّر كل شيء فيه عن المسافة التي أراد أن يضعها بيننا: تشنُّج فكه، تعبير نظرته المحايد، وسترته التي لم يكلف نفسه عناء خلعها.

كان الأوان قد فات على أي حال. كنت قد دعوت سقف غرفتنا المائل في كوينزتاون بما يكفي ليعيد لنا والدي كي لا أخاطر بإطفاء الابتسامة الساطعة التي ولَّدتها عودة والدة زوي على شفتيها. حاولت أن أبتسم، لكني في الحقيقة رغبت في البكاء. وتساءلت عما إذا كانت أليس هي التي أرسلته لي أيضاً، بعينيه الزرقاوين مثل عينَي ليام غلاغير.

- أردت أن أعتذر.. لم أرغب أبداً في أن نصل إلى هنا. وكل الأوقات التي قضيناها معاً، هي تعني لي الكثير، لقد عنت لي الكثير حقّاً.

- حسناً.

وأعادني جوابه هذا إلى إحدى محادثاتنا الأولى، عندما اعتذرت عن مقابلتي وأجابني بـ «حسناً»، بالنبرة الباردة نفسها.

- «حسناً» بمعنى لا ضغائن بيننا؟

ابتسم، مع أن عينيه كانتا مليئتين بالحزن.

- «حسناً» بمعنى أنني لا أستاء من الناس الذين يعبّرون عن آرائهم حتى وإن كانوا مخطئين.

أومأت برأسي.

- شكراً لك، همستُ.

- وفيما يخص سرك، فهو آمنٌ معي.

أغلقت ورائي الباب بهدوء مع الشعور بأنني تركت قلبي خلف ذلك الفاصل الزجاجي. وأنا عائدة إلى مكتبي، التقيت بزوي حاملة علبة عصير برتقال على كتابها وكأنه صينية، تتقدم بحذر في الفضاء

المفتوح وتتحدث إلى نفسها، وتحدق بعينين محولتين في الغرة التي غطت أنفها.

- هل أنت بحاجة إلى المساعدة، يا زوي؟

- أوه لا، ولكن لديّ شيء لك!

بالكاد أمسكتُ بالعلبة التي كادت تسقط جراء الحركة المتحمسة للفتاة الصغيرة. فتحتْ كتابها وتوقف قلبي. كان بين صفحات الرواية، كفاصل كتاب، سواري ذو الحلي البحرية.

- لقد نسيتِه في منزلنا، فاحتفظت لك به، أوضحت لي وهي تسلمني إياه.

مجرد لمس المعدن بأصابعي أثار فيضاً من المشاعر. **بفضل هذا السوار، سأكون بجانبك دائماً.**

- شكراً يا زوي. أنا متعلقة به كثيراً.

فحصت السلسلة الذهبية الرفيعة. كان المشبك مكسوراً، لكن يمكن إصلاحه بسهولةٍ، فوضعته في محفظتي بعناية.

- انتظري، قلت للفتاة الصغيرة، سأصنع لك فاصل كتاب جديداً. أخذت ورقة ومقصّاً وقصصت فاصل كتاب، ووضعته بين صفحات كتابها فلفتت انتباهي جملة صغيرة. أو بالأحرى اسمان.

- هل أنت بخير، يا أليس؟ سألت زوي. تبدين شاحبةً للغاية. هل أثّر فيك **هاري بوتر**؟ هل فريد وجورج هما الشخصيتان المفضلتان لديك أيضاً؟

ما إن وصلتُ إلى المنزل، حتى هرعت إلى درج منضدة السرير، فتحته وأخرجت دفتر الملاحظات الذي كتبت فيه أليس يومياتها. أغاظني الاقتباس في الصفحة الأولى «**لا وجود للصدف، لا وجود إلا للمواعيد**»، وهو لبول إيلوار، شاعر فرنسي. لماذا اختارت أختي هذا الاقتباس؟ فهي لطالما قالت إن الصدف مجرد أحداثٍ ذات احتماليةٍ إحصائيةٍ ضعيفة. قلبت الصفحات باحثة عن الصفحة المرجوة، وأنا أداعب ديفيد الذي يقفز فوق ركبتَي، متأملة.

- هل تؤمن بالصدف؟

راح يموء ويتثاءب، مبدياً عدم اهتمامه. لم أقرأ يوميات أليس منذ عدة سنوات، رغم أنني غالباً ما أخرج الدفتر في المساء وأداعب الغلاف الذي بهتت ألوانه قليلاً. قلبت الصفحات، ووجدت الصفحة التي كنت أبحث عنها. فريد وجورج. كما في **هاري بوتر**. كانا الاسمين اللذين أطلقتهما أليس على جنينيها المجمدين المتبقيين، ذينك اللذين كانت متأكدة من أنها ستلتقي بهما يوماً «في الحياة الحقيقية». إلا أنها لم تتمكن من القيام بعملية الإخصاب الأنبوبي المقرر عند عودتها إلى لندن في يناير، لأنها لم تصل إلى لندن أبداً. تذكرتُ رسالة المستشفى التي وصلت بعد انتقالي إلى باريس بقليل.

السوار في **هاري بوتر**، هذا الاقتباس. . . يمكننا أن نختار أن نرى علامات، بينما لا يرى الآخرون سوى صدف. الحياة مدهشةٌ بما يكفي لتترك المجال للتأويل. لكن كانت هذه صدفاً كثيرة جداً وتشير كلها إلى نفس الاتجاه: فريد وجورج. فخطرت لي فكرة بطبيعة الحال. فكرةٌ خطيرةٌ وغير قانونيةٍ وسخيفةٌ تماماً. فكرة يمكن أن تجعل الكون غاضباً جداً مني لفترة طويلة جداً. فكرة حاولت أليس الهمس بها لي منذ فترة، على ما أعتقد: الشيء الوحيد الذي أرادته أختي، أمنيتها الوحيدة لها ولأوليفر كانت أن يرى فريد وجورج النور. وأخيراً، فهمتُ أنه قد تكون هناك وسيلة لتعويض وفاة أختي.

من: إريكا سبنسر

إلى: ألِيس سميث

في: 22 أبريل 2019

الموضوع:

ألِيس،

هذه الرسالة الإلكترونية هي فرصتك الأخيرة. فمن دون رد منك وحصولي على التحويل الذي طلبته، سأكشف للصحافة عن هويتك الحقيقية.

ونظراً لمُهل التحويل والتراخيص اللازمة من قِبل البنك الذي تتعاملين معه، سأمهلك ثلاثة أسابيع. ولا يوماً واحداً بعد ذلك.

اللبيب بالإشارة يفهم.

إريكا سبنسر

لم أنم طوال الليل. ففكرة أنه قد يكون بإمكاني أن أكفّر عن خطاياي لم تعد تفارقني، لكن أثقلني هول الالتزام. من يفعل شيئاً بهذا الجنون؟

أعدت قراءة رسالة إريكا؛ ولأول مرة، لم تعد تهديداتها تخيفني. كانت إريكا سبنسر تبتزني منذ عدة سنواتٍ. يا له من أمرٍ غريبٍ، كونه صادراً من معجبةٍ سابقةٍ، من مدوِّنة موسيقى روك سابقة تحولت إلى صحافيةٍ. أرادت أن تكتب تحقيقاً عني بعد وفاتي، فاتصلت بي في المرة الأولى، معتقدة أنها تتحدث إلى أختي. ورغم أنني تجنبتها، استمرتْ في مضايقتي حتى ارتكبتُ خطأً قبولِ موعد لقاء معها. كان ذلك قبل أن أزيل وشومي بالليزر، وأن أعتاد على عدم وضع المكياج، وأن أربط شعري حرصاً على ألا يتعرف إليّ أحد. كانت إريكا مهووسة بي منذ شهور، وكانت من محبي أغانيَّ، وكانت قد تبنّت أسلوبي في اللبس، وعرفت أدق تفاصيل حياتي حتى أفضل مني، إذ ذهبت لمقابلة أساتذتي وزملائي السابقين، وخصصت لي مدوَّنة ادعت فيها أنها تعرفني شخصياً. مجنونة. وعندما قابلتني أخيراً، أدركتْ بسرعة أنني لم أكن أليس.

وبعد أن أمضيت عاماً، عام إجازتي الشهير، محبوسةً في

المنزل لتعلُّم أساسيات التمويل، وجدت عملاً، إذ أقنعت سيرةُ أليس الذاتية أكثر من ربِّ عمل، ورحت أكسب مالاً وفيراً، وبدأت أتعلق بأنجيلا، فأردتُ إبعاد إريكا عن شبه الحياة هذه التي كنت أبنيها لنفسي، فعرضت عليها، بكل حماقة، أن أحرر لها شيكاً مقابل صمتها. إلا أنها عادت مرة، واثنتين، وعشر مرات، لتطلب المزيد.

وقد طاردتني ذات يوم حتى مكتبي في وول ستريت، فأصبت بنوبة هلع أمام زبون في منتصف عرضٍ تقديميٍّ، وكلفني هذا الحدث وظيفتي، فأفرغت حساباتي وأعطيتها كل مدخراتي، ثم هربت إلى فرنسا، على أمل ألا تلاحقني هناك. كان ينبغي لي أن أعرف أنها لن تتخلى بتلك السهولة عن الإوزة التي تبيض ذهباً.

كان بإمكاني أن أدفع لها، إذ تُضاف كل عام أرباحُ سيسترز إلى حساب مصرفي لطالما رفضت لمسه، إذ حاول مدير أعمالي السابق، هاري، وكاتبُ عدل، ظناً منهما أنني أليس، الاتصال بي عدة مرات للتوضيح أن هذه الثروة من حقي، إلا أنني لم أُعِد الاتصال بهما.

كانت لديّ ثلاثة أسابيع لإكمال الإجراءات الإدارية والحصول على ذلك المال. فبعد ثلاثة أسابيع، ستبلغ إريكا عني وسأصبح سكارليت من جديد.

أغمضت عينَي، وداعبت السوار على معصمي وأخذت نَفَساً عميقاً، ثم اتخذت أهم قرارٍ في حياتي، القرار الوحيد الممكن، القرار الذي كانت سترغب أليس في أن أتخذه لو كانت لا تزال على قيد الحياة. كان عليّ أن أتصرف قبل أن تكتشف إريكا هويتي ويعلم العالم بأسره أن سكارليت سميث-ريفيير عادت إلى الحياة. لأن، ولأول مرة منذ سنوات، كانت لديّ خطة رائعة لعينة، ولتنفيذها، كنت أحتاج أن أبقى أليس لبعض الوقت.

استيقظت فجأةً في مقعدي على متن اليوروستار[1]. كان المطر على الزجاج يغشّي المنظر. مزيج مبلل من الرمادي الخرساني والأحمر القرميدي. كان القطار قد عَبَر ضواحي لندن وسيصل قريباً إلى سانت-بانكراس.

لا يزال بإمكاني أن أتراجع.

في الظروف الحالية، لم تعد خطتي تبدو لعينة على الإطلاق. لكني لست من النوع الذي يقبل أنصاف الحلول، وكنت مدينة لأختي الكبرى. استقللت سيارة أجرة سوداء من المحطة، وللمرة الألف، أخرجت من حقيبتي الرسالة المجعدة التي تلقيتها من المستشفى قبل أشهر.

- لقد وصلنا، أعلن السائق بالإنجليزية.

انتفضت ومددت له بطاقتي الائتمانية. كان المطر قد توقف. انتصب مستشفى الملكة فيكتوريا الخاص أمامي، محشوراً بين كنيسة من الطوب الأحمر ومنزلٍ فيكتوري، كما لو كان قد سقط هناك عن

(1) Eurostar أي نجمة أوروبا هي خدمة دولية لسكك الحديد عالية السرعة تربط لندن بباريس من بين مدنٍ أخرى - المترجمة.

طريق الخطأ بنوافذه الكبيرة وهندسته المعمارية الحديثة للغاية. أخذت نَفَساً عميقاً وتوجهت إلى المدخل، ففُتح الباب أمامي. كانت الردهة بيضاء لا تشوبها شائبة، وكان هناك صف من الكراسي المريحة للانتظار، وطاولة عليها مجلات ونبات أخضر، كما وقفت مجموعة من الأطباء ببدلات العمل يتحدثون أمام آلة القهوة.

عند مكتب الاستقبال، ابتسمت لي امرأةٌ شقراء شابة بتسريحة كعكة مثاليةٍ. أخبرتها أن لدي موعداً مع البروفيسور ستون وناولتها جواز سفري. نظرت إليه وقامت ببحث سريع على حاسوبها.

- أليس سميث-ريفيير، موعدك على الساعة 2:15 ظهراً، ممتاز. قسم الإخصاب الأنبوبي في الطابق الثاني. أتمنى لك يوماً سعيداً.

أعادتْ لي جواز السفر مع ابتسامةٍ عريضةٍ وشكرتها قبل أن أتوجه إلى المصعد. لم أكن أعرف ما إذا كان ينبغي لنا أن نؤمن بالصدف، أو إذا كان كل شيء مكتوباً بالفعل، أو إذا كان كل واحد منا يحدّد مصيره بنفسه، أو إذا كانت الصدفة والحظ يحكمان الكون والمسار الهش لحيواتنا. لكن الشيء الوحيد الذي كنت أعرفه هو أنه كان لديّ موعد مع فريد وجورج. وهذه المرة، لن أصل متأخرة.

من: سكارليت سميث–ريفيير

إلى: إريكا سبنسر

في: 15 مايو 2019

الموضوع:

عزيزتي إريكا،

هل رأيت؟ لديّ عنوان بريد إلكتروني جديد.

أجيب من هذا العنوان إذاً على أسئلة رسالتك الأخيرة: نعم، لقد حصلت على أموالي (كان هناك الكثير منها، فأن تكوني نجمة موسيقى روك ميتةً يعود عليك بأموال طائلة، تكفي لشراء ضمير لكِ!). نعم، لقد أدركت أنك تنتظرين حوالتي، ولا، لا أنوي إرسالها.

افعلي ما تريدين، لا يهمني. لكن إذا اقتربت مني مجدداً، فسأبلغ عنك.

مودتي،

سكارليت.

ملاحظة: أوه نعم، لقد نسيت الشيء الأهم: اللعنة عليك.

مضى على حملي خمسة أشهر فعليّاً، لكنني شعرت وكأنها خمس سنوات ونصف. كنت أزن ما يقارب النصف طن وأقضي معظم وقتي ويدي على بطني، أتحسس حركات التوأم عندما أغني لهما أغاني البيتلز. كان إجراء الإخصاب الأنبوبي أبعد ما يكون عن الممتع، إلا أن الأمور سارت بسهولةٍ غريبة. ففي كل مرحلة، قامت العيادة الخاصة بالتأكد من جواز سفري، دون أن يخطر لهم أبداً أنه قد لا يكون لي. وبما أن طبيبة أليس النسائية، دولوريس، كانت قد تقاعدت، كان من غير المحتمل أن يتعرف عليّ أحد.

كانت أليس محقةً في كل شيء تقريباً. في حقيقة أن فريد وجورج سيريان النور، على عكس أختهما الصغيرة التي أصبحت نجمةً في السماء قبل سنوات. عدا تفصيل صغير: لم يكن فريد وجورج صبيين، بل صبيٌّ وفتاةٌ، وهو أمر ليس بالمهم حقاً، لأن فريد متاح للإناث في فرنسا، لذا سيحملان اسمَي فريديريك وجورج، وهما بالجمال نفسه.

كلُّ مَن عَلِم بما قمت به (ما عدا فيكتوار التي وصفتني بالـ«عملية والقوية جداً»)، أي أنجيلا وسرانيا ورضا، اعتبروني مجنونة، إلا أنهم وعدوني رغم ذلك أن يصطحبوني إلى المستشفى

وأن يساعدوني بعد الولادة، فأنا أعرف الآن الأسماء التي ينبغي لي وضعها في خانة «جهات الاتصال في حالة الطوارئ».

أما إريكا سبنسر، فنفّذت تهديدها ونشرت صحفُ المشاهير الخبر. اختفيت لمدة شهر وقصصت شعري وغيّرت مسكني، وقد أحدث الخبر بعض الضجة، قبل أن ينكمش مثل سوفليه[1] نباتي من صنع أنجيلا. خبر أم إشاعة؟ لم يعلم أحد، ولم أسمع عن إريكا منذ ذلك الحين. أرسل لي هاري رسالة إلكترونية على عنوان أليس. رسالة مقتضبة. لم يكن يعرف ما إذا كانت الشائعات صحيحة، لكن إذا كنت على قيد الحياة، كان يتمنى أن أكون سعيدةً وألا أتردد في الاتصال به في حال رغبت في العودة إلى الموسيقى. كان لا يزال يأمل في إصدار ذلك الألبوم الثاني.

لم أجب.

أنا جالسة الآن في شرفة مظللة لمقهى على ضفاف قناة سان مارتان، أنتظر أن تلحق بي سرانيا. انعكست الأوراق البرتقالية في المياه الخضراء وتقدم زورق ببطء تحت أشعة الشمس الباردة لنهاية شهر سبتمبر. حرصت على أن أحاول دائماً أن أرى باريس بعينَي الفتاة الأمريكية الصغيرة التي كنتها وألا أعتاد على جمالها لأحافظ على سحر البدايات، وهو نهج يعمل على نحوٍ جيد حتى الآن.

وصلت سرانيا لاهثةً، متأخرة باثنتي عشرة دقيقة فقط، وهي معجزة في حد ذاتها، إذ منذ حملتُ، هي تتصرف معي كما لو كنت في السادسة والنصف من عمري وبحاجة إلى رعايةٍ مستمرةٍ.

- هل أنت وحدك؟ سألت وهي تنظر من حولها.

---

(1) Soufflé هي كعكة خفيفة من المطبخ الفرنسي - المترجمة.

- نعم، لماذا؟ أتنتظرين أحداً ما؟

اقترب النادل ليسألها عما تريد، لكنها هزت رأسها.

- لا شيء، شكراً.

بدت متألقة ولمعت عيناها في وجهها المحاط بشعرها البني المجعد.

- تبدين في مزاجٍ جيدٍ، قلت مبتسمةً...

- نعم، لقد عرّفني جيرمي على رئيسك السابق، كريس.

وكما هي الحال كل مرة تذكر فيها سرانيا اسم جيرمي، الذي كانت تراه بانتظام، اعتصر قلبي قليلاً، فلا تزال ذكراه مؤلمةً، حتى لو لم أسمع أي أخبار عنه منذ أكثر من ستة أشهر. لكن لم يكن هذا موضوعنا فرفعت حاجبَي مندهشةً.

- أنت تواعدين كريس؟

حدقت بي بدهشةٍ قبل أن تنفجر ضاحكة.

- بالطبع لا، يا لها من فكرة! إنه ثرثار لدرجة لا تطاق. لكن، هل تتذكرين استبياناتي لتسهيل العلاقات بين عجائزي الصغار؟

- نعم...

- حسناً، مبدئياً، سنحوّله إلى تطبيق يسمح لكبار السن أن يعثروا في حيّهم على أصدقاء لديهم نفس الاهتمامات.

- موقع تعارف لكبار السن؟

استغرقت سرانيا بضع ثوانٍ للإجابة، لأنها كانت تكتب رسالة نصية وتنظر حولها، كما لو كانت تبحث عن أحدٍ.

- نعم، لكنه موقع تعارف لتكوين الصداقات يأخذ بعين الاعتبار أوجه التشابه بين شخص وآخر...

- وهل ستنشئينه مع كريس؟

- تماماً، نحن شريكان! أمامك امرأة أعمال لامعة ستُحدث ثورةً في الحياة اليومية لكبار السن.

- هل ستتركين وظيفتك في دار المسنين؟

- أتمزحين؟ أنا أعشق عملي ولن تصدقي كم عجائزي الصغار متحمسون لفكرة هذا التطبيق. لقد استثمروا فيه جميعاً بعض اليوروهات وهم يقدمون لي الكثير من النصائح، إنه أمرٌ رائعٌ، أشعر أنني تمكنت من جعلهم أصغر بعشر سنوات بفضل هذا المشروع!

انفجرت ضاحكة، إذ كنت سعيدة من أجل كريس وسرانيا وعجائز دار المسنين الصغار.

- هل كريس بخير؟

- في أفضل حالٍ. لقد أقنع مديرتي بالسماح له بإلقاء محاضرةٍ بعنوان «محاربة الرداءة والنهوض بعد الفشل»، بل وقرر تأليف كتابٍ عن الموضوع... لديه الكثير من الأفكار وحماس رهيب، إنه ملهمٌ حقاً... بصراحة، نحن بحاجة إلى المزيد من الناس من هذا النوع.

استدارت سرانيا للمرة الثالثة وتفحصت الحشد.

- ما الذي يفعله بحق الجحيم؟ تمتمت.

- من؟ هل لديك موعد آخر؟

كنت بالكاد قد تفوهت بتلك الكلمات عندما انتفضت من مكاني، إذ ظهر ظل ذكوري مألوفٌ على نحوٍ رهيب على طاولة القهوة الصغيرة.

- آه، ها أنت ذا! صاحت سرانيا.

مرّر جيرمي يداً مترددة في شعره البني. توقفت عيناه المذهولتان على بطني البارز. كنت قد منعت الآخرين من إخباره عن حملي ومن

الواضح أنه كان مرتبكاً مثلي تماماً. نهضت سرانيا عن الكرسي المقابل لي.

- اجلس! أمرتْه.

أطاعها، مندهشاً لدرجة لا تسمح بالمقاومة. أما أنا، فالتزمت الصمت، غير قادرةٍ على قول أي شيء.

- حسناً، واصلت سرانيا، لست بحاجة إلى استبيان لأعرف أنكما خُلقتما أحدكما للآخر، وأنا لا أخطئ أبداً. أعلم أنكما لستما ثرثارين، وأنكما تتبادلان الكثير بنظرة، أو بصمت وكذا، وكذا، وكذا، ولكن هناك وقت للسكوت ووقت للكلام. جيرمي عازب من جديد، ورغم أنه لن يعترف بذلك، إلا أنه يفتقدك كثيراً. أليس حامل بتوأم، ورغم أنها لن تعترف بذلك أيضاً، إلا أنها لا تتوقف عن التفكير فيك يا جيرمي. وبهذا، لديكما ما يكفي لبدء محادثة. فتحدثا الآن!

وعند هذه الكلمات الطيبة، وضعت سرانيا نظارتها الشمسية فوق أنفها، ثم استدارت وابتعدت بخطوةٍ حازمةٍ تحت أعيننا المذهولة.

حدقنا أنا وجيرمي أحدنا في الآخر لبضع ثوانٍ، مشدوهَين تماماً. كانت عيناه بالزرقة والصفاء نفسيهما. لم يتغير. قد تكون لحيته أقصر قليلاً، فهي أضحت مجرد ظل على فكه. كان يرتدي سروال جينز وقميصاً رمادياً فاتحاً. عَبَر المارة أمامنا، وجلست إلى الطاولة المجاورة فتاتان تقهقهان وتتلوان عن ظهر قلب أسطراً من فيلمٍ ما. فتحنا فمَيْنا في نفس الوقت لنقول شيئاً، وأغلقناهما بعد ذلك للسماح للآخر بالبدء.

- أنا مسرور برؤيتك، قال أخيراً.

ثلاث كلمات صغيرة من صوته الأجش جعلتني أذوب. أومأت برأسي.

- منذ متى أنت حامل؟ سأل بحذرٍ مشيراً إلى بطني.

وتخيّلت الحسابات الجارية وراء تلك النظرة الزرقاء والتي تحاول تحديد ما إذا كان من الممكن أن يكون الأب، وإذا لم يكن كذلك، فكم من الوقت استغرقتُ لأعثر على شخص آخر بعده. كنت أعلم أنني لن أفلت هذه المرة من شرحٍ صادقٍ. فأخذت نَفَساً عميقاً وباشرت في الكلام:

- لقد فقدتُ أختي قبل بضع سنوات، وينبغي أن تعلم أنني مكسورة قليلاً منذ ذلك الحين...

اختنق صوتي. في الطاولة المجاورة، راحت الفتاتان تتحدثان عن الكرة الطائرة، ومرَّ من أمامنا زوجان متعانقان، يتبعهما طفل صغير يسأل متى سيصلون. مال جيرمي نحوي، ووضع يديه حول يدَي برقّة، كما لو كانتا أغلى ما لديه في العالم. وأخيراً، بدءاً من البداية، أخبرته بالحقيقة كاملة.

بعد خمس سنوات

أشاهد من نافذة مقهى بيتش كافيه العبَّارات وهي تتقدم ببطءٍ في البحر الأزرق الداكن، وأستمع إلى صراخ طيور النورس وصوت اصطدام الأمواج على رصيف الميناء. رفعت الشوكولاتة الساخنة إلى شفتَي وارتشفت رشفةً وتركت الذكريات تتدفق.

بعد ثلاث سنوات من العمل في شركةٍ صناعيةٍ كبيرة في فرنسا، استطاع رضا أن يجعلهم ينقلونه إلى الولايات المتحدة، فهو يعيش في أوديسا الآن، بعمق ولاية تكساس. حاولت أن أشرح له أن لا علاقة لأوديسا بنيويورك، لكنه لم ينصت. استبدل قبعة يانكيز بقبعة رعاة البقر واستقل أول طائرة إلى هيوستن. وبعكس كل التوقعات، لقد وقع في حب التكساسيين... ما جعلني أستنتج أن مستواه في اللغة الإنجليزية لم يتحسن كثيراً منذ استراحات القهوة التي كنا نأخذها معاً. وأنشأت فيكتوار خوارزميةً تحلل السلوكيات الاجتماعية وتقترح إجابات مناسبة لكل موقف وثقافة. هي لا تستخدمه أبداً، فهي لا ترى الفائدة من عدم قول الأمور كما هي، إلا أن مشروعها حقق نجاحاً كبيراً، خاصة لدى المغتربين الذين يسعون إلى تبنّي الثقافات المحلية.

وأطلق كريس وسرانيا تطبيقهما أيضاً، الذي أثمر عشرات

الآلاف من التحميلات منذ إصداره، إلا أنهما لم يكسبا يورو واحداً لأنهما قررا تركه مجانيّاً. كانت هذه طريقة أخرى لِلَمِّ شمل الجوارب اليتيمة، أوضح كريس خلال مقابلة أجراها مع مجموعة من الصحافيين المذهولين. كما استمر في إنشاء الشركات الفاشلة، الآن أكثر من أي وقت مضى، بعد أن أصبح مليونيراً بفضل كتابه **دعوة للفشل أو كيف كادت الرداءة تنال مني**، الذي تُرجم في تسعة عشر بلداً وبيعت منه ملايين النسخ حول العالم. لكنه رفض تأليف كتاب آخر. ويجدر الذكر هنا أنه تشاجر مع ناشره حتى الموت، لأنه رفض، بحجة أنه لا معنى له ولا علاقة له بالموضوع، العنوان الأصلي لعمله: **حياة الأحلام للجوارب اليتيمة**. خسارة، لقد كان عنواناً جميلاً.

أما أنا، فقمت قبل عامين بتجديد جواز سفري الفرنسي باسمي الحقيقي، ما أسعد موظفة الإدارة التي كانت قد تابعت في الصحف قصة عودتي إلى الحياة، فأصبحتُ رسمياً سكارليت من جديد، واحتفظت بلقب أمي وتنازلت عن لقب أبي، فعدت إلى الولايات المتحدة لأول مرةٍ تحت اسم سكارليت ريفيير، حاملة الجنسية الفرنسية. حبست أنفاسي وأنا أقوم بإجراءات مراقبة الهجرة في المطار وشعرت بالفخر لأنني خدعت النظام، كما شعرت في سن المراهقة عندما حاولت جاهدةً خرق قواعد المدرسة الثانوية.

ذهبت لزيارة أمي، فقد أردت أن يعرف فريد وجورج جدّتهما. أعلم أن أليس كانت ستحب ذلك. وكما كانت الحال في صغري، كان الباب أسفل الشرفة مفتوحاً. أمسكتُ بيد التوأمين، ليمدّني وجودهما بالشجاعة. كنت مرعوبةً. لم يتغير شيء، لا الأوراق الذهبية لأشجار القيقب التي بلغ عمرها قرناً من الزمن، ولا الستائر

الباهتة أمام نوافذ الوشاح، ولا صرير الأرجوحة على الشرفة. كان الفرق الوحيد أنّ العَلَم الأمريكي لم يعد يرفرف في الفناء الأمامي منذ انتُخب ترامب. دفعت الناموسية ودخلت من المطبخ. كانت أمي تعمل على حاسوبها، كعادتها. نظرتْ إليّ، ثم نظرت إلى فريديريك. في سن الثانية، كانت فريديريك نسخة من أليس، بحيث شعرتُ وكأنني أراها هي في كل ابتسامة من ابتسامتها. خلعت أمي نظارتها ثم فركت عينيها المرهقتين بسبب الشاشة، وعندما أدركت أنها لا تحلم، أجهشت بالبكاء. ظلت علاقتنا فاترةً، إلا أنها أصبحت أكثر وداً مع مر السنين، فأنا أحضر لها حفيديها لزيارتها مرةً في السنة، في الخريف. كانت مولعةً بهما.

أشاهد من النافذة جيرمي وهو يركض على الشاطئ، تطارده فريد وجورج. صرخاتهم الفرحة تصلني، تحملها الرياح. جلست أمي على الحائط الحجري، تراقبهم وتبتسم.

لقد استغرق جيرمي بضعة أيام ليستوعب صدمة خبر حملي. يومين ونصف بالضبط، أطول يومين في حياتي. ثم عاد ليطرق بابي ويقول إن عليه أن يرضخ للواقع: لم يكن قادراً على العيش من دوني. فالحياة بمثابة أحداث غير متوقعة وكانت له ابنةٌ هو أيضاً. سنكون مجرد أسرة ربائب[1] باريسية أخرى. فهو الذي رافقني إلى المستشفى وأمسك بيدي في غرفة الولادة، بينما كنت أصرخ بكلمات نابية بالإنجليزية. وهو الذي وضعت القابلةُ بين ذراعيه فريد وجورج بضع دقائق فقط بعد ولادتهما، غير مدركة للموقف. واستغرق الأمر

---

(1) أسرة الربائب هي أسرة يكون لأحد الوالدين أو كليهما أطفال من علاقة سابقة - المترجمة.

منه أقل من ربع ثانية لينسى أننا لم نكن والديهما البيولوجيين، ولم نستخدم كلمة «أسرة الربائب» بعد ذلك، فنحن عائلة، فقط لا غير.

نعيش في الدائرة الثامنة عشرة، في شقةٍ في العلية بها عوارض وإطلالةٌ على الساكريه كور. «كمين موجه للسياح الأمريكيين»، هكذا وصفها جيرمي في المرة الأولى التي زرناها فيها، إلا أننا اشتريناها رغم ذلك. كان العامان الأولان مع التوأمين صعبين. عشنا الأول مدفونين تحت الحفاضات والملابس المتسخة، عيوننا حمراء ومحاطة بالهالات وملابسنا ملطخة ببقع هريسة الفواكه والقيء، والثاني محاولين تعويض النوم الذي فاتنا. لا أعتقد أنه كان بإمكاني أن أتحمّل ذلك وحدي. تقبّلت زوي أخاها وأختها غير الشقيقين تماماً. هي تنعتهما بالنصفين لأنهما لا ينفصلان أحدهما عن الآخر أبداً، وقررتْ أن تعلمهما كل الهراء الذي يمكن تخيله تكريماً لبطلَي **هاري بوتر** اللذين يدينان لهما باسميهما. وهما يبديان إبداعاً مميزاً فيما يتعلق بالخطط اللعينة. إنه أمر مرهق ولكنه مضحكٌ في آن واحد. بدأت زوي للتو أزمة مراهقةٍ تبدو عاصفةً مثل أزمتي، إلا أنني لا أقول شيئاً، بل كلما صرختْ أكثر، داعبتُها وعانقتُها أكثر. أعرف جيدّاً الشعور الذي ينتاب طفلاً يحاول على نحوٍ يائس لفت انتباه أمٍّ غائبةٍ.

أفكر في أليس كثيراً. أعلم أن جزءاً مني سيظل يتيماً إلى الأبد من جهة أختي الكبرى، مثل الجوارب التي أراد كريس لمَّ شملها بشدة. فأداعب السوار على معصمي وأشكرها على منحي أجمل هديةٍ يمكن أن تقدمها لي الحياةُ: عائلة مليئة بالجوارب غير المتطابقة وتفيض بالحب، لملء الفراغ الهائل الذي تركه رحيلها. عائلةٌ مثاليةٌ، أصبحت كوني كله. أريدها أن تعلم مدى روعة أطفالي

ومدى سعادتهم، أن ترى زوي، الأخت الكبرى الحريصة، تعتني بهما كما كانت هي تعتني بي عندما كنا صغيرتين. وودت أن تكون أول من يعلم أنني استأنفت العزف على الغيتارة وأن أول أمس، في مقهى في بروكلين، التقيت بهاري، مدير أعمالي السابق، وأعطيته عينة جديدة من أعمالي على شريحة يو إس بي. هذا الألبوم الثاني الذي انتظره لأكثر من عشر سنواتٍ. أريدها أن تعلم أنني لم أعد خائفةً وأنني سعيدةٌ. وأنه إذا تهت من جديد، فسآتي إلى هنا وأستمع إلى همس الرياح وأشاهد العبَّارات التي تقلّ السياح إلى بلوك آيلاند. أنا أعلم الآن أن هذا هو المكان الذي سأشعر فيه دائماً بأنني في الديار، على شرفة مقهى بيتش كافيه في ناراغانسيت، حيث تشاركت ذات مرةٍ الشوكولاتة الساخنة مع أختي الكبرى، وحيث حُفِر اسمانا معاً على الخشب إلى الأبد.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قائمة بالأغاني الرائعة التي تبدأ ببطء ثم تتسارع

(بقلم سكارليت سميث-ريفيير، 13 عاماً

76 فيلدوود درايف، كوينزتاون، رود آيلاند، 02879)

Tina Turner – *Proud Mary*
Queen – *Don't Stop Me Now*
Nirvana – *Lithium*
Supertramp – *C'est What*
Aerosmith – *Dream On*
Alanis Morissette – *Ironic*
Billy Paul – *Your Song*
Nina Simone – *Feeling Good*
No Doubt – *Don't Speak*
Queen – *Bohemian Rhapsody*
Deep Purple – *Child in Time*
Led Zeppelin – *Stairway to Heaven*
Lynyrd Skynyrd – *Free Bird*
Metallica – *Enter Sandman*
Foo Fighters – *This is a Call*
Green Day – *Basket Case*
Björk – *It's Oh So Quiet*
The Who – *Behind Blue Eyes*
Pulp – *Common People*
Bruce Springsteen - *Thunder Road*
Blur – *Song 2*

شكر وتقدير

شكراً لفانسان، زوجي الرائع والمصاب بوسواس المرض، لكونه قوياً وموثوقاً به وداعماً للنساء دائماً، ولتحمّله المنحنى الجيبي لمزاجيتي كفنانةٍ ملعونةٍ، ولمشاهدته **ذا هاندرد**[1] معي حتى النهاية، وخاصة لمنحي أجمل طفلٍ في العالم عام 2018.

شكراً لأمي لعدم وجود أي قاسم مشترك بينها وبين أم أليس وسكارليت، ولأنها استطاعت أن تضاعف حبها الأمومي أربعة أضعاف، رغم قدرة إخوتي الثلاثة على إحداث الدمار والفوضى والضوضاء والغضب من حولي (بما أنني كنت نموذجاً للفتاة الحكيمة والرصينة والهادئة طبعاً ههههههههه).

شكراً لأبي لتعليمي أن كل الأحلام قابلة للتحقيق، شرط أن نستيقظ باكراً وأن نعمل بلا كللٍ لتحقيق أهدافنا.

---

(1) **The 100** هو مسلسل دراما تلفزيوني أمريكي يحاكي نهاية العالم وما بعدها - المترجمة.

شكراً لأوليفييه وكليمان وبول لكونهم، حتى يومنا هذا، أروع إخوةٍ في العالم ولتزويدي بأفكار سخيفة لرواياتي. وشكراً لزوجة أخي كامي، لتحمُّلها وجودنا المتطفِّل، ولدعوتنا باستمرار، ولتنظيمها الكثير من الأنشطة، دون أن تصرخ فينا (كثيراً) عندما نتصرف على نحوٍ لا يطاق.

شكراً لعمّي وعمّتي، آن ومارتان، لاستضافتي خلال زياراتي العديدة لرود آيلاند، وللكعك بالجبن والنزهات بالمركب، ولوجبات عيد الشكر الرائعة التي كانت سبباً في وقوعي في حب هذه المنطقة الخلابة من الولايات المتحدة. وأشكر آن على وجه الخصوص على قراءتها هذا النص وملاحظاتها حوله، ما سمح لي ألا أتفوّه بالتفاهات (أو ليس كليّاً على الأقل).

شكراً لعائلة زوجي الكبيرة وخاصةً والدَيه، ماريز وإمانويل، لتحمسهما لصدور كل روايةٍ من رواياتي.

شكراً لفريق منشورات شارلسون: لناشرتي لوري-آن فرو لدعمها وصبرها ولد 72029028 تصميم غلاف، ولكارين بايى دو روبيان وبيير-بونوا دو فيرون على ثقتهما، ولكارولين أوبرانجيه على طاقتها وشغفها، ولكريستين كامو وأليس بيركر على تحريرهما الدقيق والحريص لهذا النص، ولفيرجيني لانسيا، وإيكلانتين كاباغ، وأوريليان فلورو، ولور بارادي، على جهودهم لتسويق جواربي اليتيمة.

شكراً لصوفي هنريونيه، وماريان ليفي، وطوني بيهار، وكارين بونت، على قراءتهم المتأنية ونصائحهم الحكيمة والكريمة، وعلى دعمهم اليومي والمناقشات البناءة حول الكتابة.

شكراً لفريديريك غاي ودافنيه بولار لتخصيص وقت للإجابة بالتفصيل عن أسئلتي حول الإخصاب الأنبوبي.

شكراً للقراء الذين يدافعون من قريبٍ أو من بعيدٍ عن قصصي وشخصياتي، وللذين يراسلونني ويدعمونني ويحفزونني بشكلٍ يومي: بائعي الكتب الشغوفين، والمدونين والمدونات، والأصدقاء وأفراد الأسرة الذين يوصون برواياتي أو يهدونها.

وأخيراً، شكراً للقراء والقارئات لقضائهم بعض الساعات مع أليس وسكارليت ولقراءة أفكار عقلي الغريب الأطوار. بفضلكم أنتم أنا قادرة اليوم على ممارسة هذه المهنة التي أعتبرها منذ نعومة أظافري أجمل مهنةٍ في العالم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ماري فاراي

حياة الأحلام للجوارب اليتيمة

«لا وجود للصدف، لا وجود إلا للمواعيد».

❖ ❖ ❖

«- الأرقام والإحصاءات هي أمور تروق لكِ، أليس كذلك؟ مثل تصفيف الأقلام؟

- أحب الأرقام لأن لا لبس فيها. في الواقع، الأرقام تقول الحقيقة دائماً.

- على عكس الناس، تقصدين؟

- تماماً.

- من المضحك أنك تهتمين بالحقيقة، لأنني أجد صعوبة في تصديق أيٍّ مما قلتِه...

انتابني فجأة تعب هائل. فأنا التي تساءلت، في آخر مرة أتيت فيها إلى هنا، كيف يمكن للمرء أن يبكي عند الطبيب النفسي، عرفت الآن الجواب على هذا السؤال: إذا لم تظهر الحقيقة، فسوف تخنقني من الداخل».

❖ ❖ ❖

انتقلت أليس من نيويورك إلى باريس لتعيد ترميم نفسها وتبدأ حياتها من جديد، وقد أحاطت نفسها «بأسلاك شائكة» لتردع كلَّ مَن حاول الاقتراب منها، خشية أن يُكشف سرها، إلا أن الأشخاص الذين ستلتقي بهم هناك سيقلبون حياتها رأساً على عقب. فإلى متى ستستطيع أليس إخفاء ماضيها؟

رواية آسرة وعاطفية، مؤثرة ومشوقة، تجعلنا نقلِّب صفحاتها على إيقاع موسيقاها المتسارع.

ISBN 978-9920-657-75-4
9 789920 657754

مكتبة
t.me/soramnqraa

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
markaz.casablanca@gmail.com